

رئيس المخابرات المصرية

الأسبق

أحمد كامل

يتذكر

بقلم: أحمد عز الدين



دار الهلال

اهداءات ٢٠٠٣

أصرة أ.د/رمزي حكي

القاهرة

أحمد كامل
يتذكر

من أوراق

رئيس المختبرات المصرية
الأبى

بقلم
أحمد عز الدين

دار الهلال
مكتبة الأستاذ الدكتور
عبد العزيز زكي بطرس

الغلاف بريشة الفنان : حلمي النوبى

عن المحاولة وعن الرجل

بقلم : أحمد عز الدين

١ - عن المحاولة :

● ● أعترف أنني ركضت وراء هذه الأوراق وصاحبها كثيرا .. وأنا اعترضتني قبل وأثناء وبعد تدوينها أكثر ..

وأعترف أيضا - أن هاجسا في ذلك كله لم يكن مهنيا بحثا ، بحثا عن سبق صحفي أو شغفا ذاتيا بالغوص في أعماق مرحلة .

ذلك أنني أحد الذين يؤمنون بأن التاريخ في حياتنا قد تحول إلى مخزن للتحف والآثار ، يلج بعضنا بابه من أجل حاجة مؤقتة أو موقوتة ، إما ليلتقط من فوق رفوفه ما يزين به صدره العاري ، وإما ليقنع الآخرين بأنه لا يزال قادرا على البقاء والتنفس ، كما كان يبدو في الصور التذكارية ، وإما ليحاول استنهاض مشاعر غافية ، أو إحياء خلايا تأكلت بحكم عوامل التعرية وقوانين الطبيعة .

أكاد أجزم أننا وصلنا إلى حالة أصبحت فيها وظيفة التاريخ معكوسة في حياتنا ، بالقياس إلى وظيفته في حياة سوانا من الأمم .

فعلى ساحة الحياة السياسية المصرية ، يبدو التاريخ في الغالب ، أكثر سطوة على الوقائع والمتغيرات من الحاضر نفسه ، وتبدو أغلب التيارات السياسية محتجزة في أسر هذا التاريخ ، وكأنها بقايا نبضه المتراجع ، أو ظل شعاع تخلف من شمس الغاربة .

في كل ما نعيش ونتخاصم ونتجادل ونتفق ونختلف ، يبقى التاريخ هو الحاكم المستبد ، ويبقى هو شيخ القبيلة السياسية الذي يشيع في معارك اليوم ، حسا قبليا مغلقا ، ونزعة تمركز على الذات تمزق أوصال الحوار ، وتنسف جسور اللقاء والاتصال ، بين القوى السياسية وبين الأجيال على السواء ..

وتكون النتيجة فى النهاية ، بقايا مدارس سياسية وفكرية تهرب من فشلها ويأسها فى أن تحاول أن تحتكر لنفسها دورا فى غير زمانها ومكانها .. دون أن تتفاعل مع الزمان والمكان الجديدين ، وبقايا نظريات واجتهادات ، تتوقى الاعلان عن إفلاسها بمحاولة أن تبرهن لنفسها قبل غيرها أنها لاتزال الأقدر والأجدر على حمل اللواء ، وتقدم الصفوف ، دون أن تبذل جهدا حقيقيا من أجل انتزاع مقدرة أو جدارة . وتكون النتيجة أيضا ، عجزا عن التعبئة السياسية والاجتماعية ، تتبدى أهم مظاهره فى معادلات خلل مركب بين الانتاج والاستهلاك ، أو بين عبقرية المكان ، واشكال التعبير السياسى عنها ، أو بين الأجيال القديمة والجديدة ، أو بين النظريات فى انساقها النظرية المجردة ، والممارسات اليومية فى قوالبها العملية ، أو بين الثروة بمعناها الحقيقى ، وبين أدوات استثمارها الانسانى .

وتكون النتيجة فى النهاية - أيضا - حالة عامة من السلفية الفكرية من المؤكد أنها ليست حكرا على بعض الجماعات الدينية وحدها .

أريد أن أجزم أيضا - أن الأجيال الجديدة - والتي أطمع أن أكون ولازال أنتسب إليها - قد أدركها كثير من السأم ، وقد أصاب جذوتها كثير من الشحوب ، بعد أن سقطت - بالتعبير العسكرى - فريسة بين أقواس نيران القبائل المتحاربة ، فأصابها من رشق البنادق ودانات المدافع ، وشظايا القنابل ، النصيب الأوفر ، والوبال الأشد ، وقد انعكس ذلك كله عليها ، فى شكل عذابات روحية عميقة ، لعلها أشد وطأة من العذابات المادية المقيمة ، بحثا عن دور وعن حضور وتأثير ، بل وعن يقين .

فى الوقت الذى يصر فيه ممثلو الوقائع التاريخية القديمة على احتكار مفاتيح العمل السياسى ، من خلال أدوارهم التى تمتد خيوطها متصلة أو متقطعة بعمق يربو على نصف قرن أو يزيد ، لقد كررت على نفسى وغيرى طويلا وكثيرا نفس السؤال التاريخى الخالد : « ما العمل ؟ » إذا كان الجديد - أى جديد - يبدو فوق

تلك البركة ، وكأنه مجرد أحجار تلقى فى أليم ، لتخلف وراءها دوائر - سرعان ما تنحل دون أن تبقى أثرا .. وإذا كان اليقين - أى يقين - سرعان ما تستقوى عليه الأشباح بنفسها وبغيرها فى كل مرة لتطرده من فوق خشبة المسرح .

أظن أننى لم أجد بديلا صحيحا سوى فى أن أكون من بين تلك الأصوات البازغة فى حياتنا الفكرية والتي تغالب تلك النزعة القبلية العامة ، بالدعوة إلى إشاعة منهج نقدى صحيح فى هذه الحياة .

وأظن - أيضا - أنه دون أن يتحول هذا المنهج النقدى الصحيح إلى سلاح حقيقى ، فسوف يبقى المسرح السياسى على ما هو عليه : مباريات معزولة بين بقايا تواريخ ، وفضلات أدوار ، وأشباح أبطال ، وموتى يبعثون فى الحاضر ، ليفرضوا عليه تجارب الماضى سطوة وسلطة .

من أجل هذا كله كان هذا الخيار ..

ومن أجل هذا كان اختيار أن يتم استخدام هذا المنهج النقدي من خلال تلك الوقائع مع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

اننى لست مضطرا لأن أؤكد انتسابى إلى التيار العريض لثورة يوليو فذلك طبيعى بحكم الميلاد والنشأة والوضع الاجتماعى ، لكننى قد أكون مضطرا لأن أقول أن ثورة يوليو ١٩٥٢ التى غيرت وجه الحياة على أرض مصر ، ووصلت أصداؤها وتفاعلاتها الى تخوم واسعة فوق خريطة الدنيا ، ليست فى الحقيقة ظللا لنبيكه ، وليست تمثالا لنضع عند قدميه الزهور ، كما أنها ليست جدارية من الفسيفساء تنحصر وظيفتنا وأدوارنا فى أن نمسح ما قد علق أو يعلق بها من غبار المسافات أو الاوقات أو العواصف .

أعرف أن كثيرا من السلفيين على جبهة يوليو لن يرون من أبعاد هذه الصورة وأعماقها سوى بعض الغبار ، الذى يخشون من أن يلطخ الصور الملونة فى الألبومات .

وأعرف أن كثيرا من السلفيين على جبهتي اليمين واليسار لن يرون من أبعاد هذه الصورة وأعماقها ، سوى فرصة سائحة لالتقاط بعض البارود الذى يمكن أن تشحن به أسلحة الثأر القديمة ذاتها .

ولكن المشكلة الحقيقية ليست النجاح فى حفظ الصور نظيفة وسط هالة الذكريات . ولا فى منع أسلحة الثأر وأصحابها من الحصول على وقود جديد ، وإنما فى إشاعة زاوية جديدة للرؤية ، ومنهج جديد للمراجعة ، لعله يكون دعوة قابلة للتعميم على الأقل بين ممثلى الأجيال الجديدة على اختلاف انتماءاتهم السياسية والاجتماعية .

إن هذه المحاولة ليست دعوة إلى تفكيك التاريخ ، وإنما إلى إخراجه من المتاحف أو رفع جدران المتاحف عنه ، ليكون بمقدور شمس الحقيقة أن تسرى فى عروقه ، حتى يتأتى لنا أن نميز الطيب من الخبيث ، والحقيقى من الزائف ، والجواهر من الزجاج .

ودون ذلك لن يتقدم فكر جديد ..

ودون ذلك لن تتاج للأجيال الجديدة فرصة أن تصوغ تجربتها الذاتية باجتهد وابداع .

٢ - عن الرجل :

قدرلى أن أعرف أحمد كامل عبر مواقف ومراحل مختلفة .. وقدرلى أيضا أن أراه من خلال أكثر من زاوية .. وظيفية وإنسانية .. ومن خلال عيون أكثر من صديق انتسب الى عمله أو عمل قريبا منه أو عمل إلى جواره .

ويخيل إلى بعد حصاد سنوات طويلة أنه يشبه أحد أبطال الدراما الأغريقية القديمة : قلب مفعم بالفروسية نقاء وجسارة ونبل ، وعقل متجدد يمزج الممارسة الحية بالمعرفة النظرية .

ولذلك فإنه يبدو خلال كثير من المواقف كما لو كان استثناء جاء فى غير مكانه وزمانه .. وفيما يبدو فقد كانت تلك هى مشكلة حضوره المزمته .. عسكرى محترف فوق أنه ينتسب إلى عائلة عسكرية .. فقد كان والده من كبار قادة سلاح المدفعية ، وهو أقدم أسلحة الجيش المصرى ، ومع ذلك فإن قلبه ظل معلقا بالفنون الجميلة والأدب حتى يخيل إلى أنه لم يمارس القتال الا وإيقاع موسيقى فاجنر وبيتهوفن وموزارت يخرج من فوهة مدفعه قبل الدانات .. وأن أوامره العسكرية فى الميدان ، أخذت دائما نبرة قصائد الحماسة فى الشعر العربى القديم .

ثم إن جزءا من هذه الدراما الأغريقية فى تكوينه ، ومواقفه منحته فرصة أن يكون دائما قريبا من كبريات الأحداث الوطنية والقومية .. ففى حرب ١٩٤٨ وجد نفسه فى المجدل ، وفى ذروة أزمة الديمقراطية بعد الثورة ، وجد نفسه فى معسكر ضباط المدفعية المتمردين ، وفى قلب الوحدة كان فى الجيش السورى ، وفى محاولة البناء الكبير فى الستينات وجد نفسه محافظا لمحافظة أسىوط ، والمنيا .. ثم محافظة الاسكندرية ، وفى قلب محاولة هزيمة الهزيمة مع تمرد أجيال من الشباب وجد نفسه مسئولا عن منظمة الشباب ، ثم اختاره السادات بعد رحيل عبدالناصر رئيسا لجهاز المخابرات العامة ، وفى غمرة أحداث مايو ١٩٧١ ضبط نفسه داخل جدران السجن .

عرف عبدالناصر عن قرب وعرفه عبدالناصر عن قرب واقترب من أنور السادات ، واقترب منه أنور السادات كثيرا .. وعاشر عبدالحكيم عامر ، ومحمد فوزى وكمال الدين حسين ، ولذلك فإن اليوم يضم صورا واضحة وملونة لهم جميعا .. فوق صور أخرى كثيرة لمحمد نجيب وصالح سالم وذكريا محيى الدين ثم على صبرى وشعراوى جمعة ، وسامى شرف إضافة إلى محمد حسنين هيكل ومصطفى أمين وعلى أمين وغيرهم .

ورغم ذلك فإنه ليس معنياً في هذه الأوراق برسم ملامح هذه الصور الشخصية أكثر مما هو معنى برسم حدود الأدوار وانعكاساتها على مسارات الأحداث والتجارب .

بعد كل هذه السنوات فما زال العثور على أحمد كامل صعباً .. ذلك أنه رغم ضغوط المرض ظل واثب الحركة والتجوال عندما كان في القوات المسلحة المصرية ، كانوا يبحثون عنه في صفوف جنوده ، وعندما كان محافظاً لم يكن البحث عنه يبدأ من مكتبه في ديوان المحافظة وإنما كان يتم على محطات الأتوبيس ومنافذ توزيع الخبز وأسواق الخضروالفاكهة ، وتجمعات العمال والطلاب والموظفين .

وعندما أصبح رئيساً للمخابرات العامة ، ظلت تسيطر عليه فكرة فتح الحدود بين المخابرات بطبيعتها الخاصة وبين المواطنين في المناطق حتى أن أحد مساعديه قال لى : أنه كان ينوى أن يقيم مكاتب أنيقة لجهاز المخابرات في المناطق الرئيسية لتحقيق قدر من الألفة والطمأنينة العملية بين الجمهور وبين جهازه الوطنى .

وكما قال لى أحمد كامل نفسه - فإن قوة أى جهاز مخابرات تقاس بمدى إيمان الناس به ، وتفهمهم لدوره ، وبالتالي تعاونهم معه ، ولذلك فأننى كنت أعتبر أن الخمسين مليون مواطن ينبغى أن يكونوا بشكل أو بآخر أعضاء فى جهاز مخابراتهم الوطنى .

وفى هذه الصفحات يتحدث أحمد كامل لا عن تجربته الذاتية ، ولكن عن تجربة الثورة المصرية وهو لا يغطى على خطأ ، ولا يدارى أعوجاجاً أو سلبية .. إنه فى النهاية يتعامل مع الأحداث والوقائع بضمير القاضى وبنزاهة الفارس ، الذى « يغشى الوغى ويعف عن المغنم » .

أحمد عزالدين

هذه شهادتى للأجيال القادمة والتاريخ

لماذا أتكلم بعد طول صمت ؟

لقد فرضت على نفسى حاجزا من الصمت .. وأغلقت أبوابى ونوافذى دون وسائل الاعلام المختلفة ، وأقنعت نفسى طويلا بفضيلة السكوت . فما الذى يجعلنى أخرج الآن بعد ثمانية عشر عاما عن قناعتى ؟
لا أستطيع أن أزعم أن الأشياء الغافية القديمة قد استيقظت فجأة وأطلت برعوسها ، وأنها هى التى تفرض على الآن أن أخرجها من داخلى إلى أفق الراى العام ، ذلك أن شخصا فى مثل ظروفى وتجربتى قدر له منذ نهاية الأربعينات إلى بداية السبعينات أن يلتحم كليا فى النبض الوطنى المصرى ليحمل جانبا من مسئوليات العمل الوطنى العام عبر مراحل مختلفة ، وأن يكون قريبا فى لحظات تاريخية هامة من مركز قيادة هذا العمل بل وأن يكون مشاركا حسب القدر والجهد والامكان فى صنعه ، لا يمكن لدوره ومسئوليته وبالتالي ذاكرته أن تحال إلى التقاعد ، وتنتهى إلى غفوة طويلة بناء على قرار إدارى أو سياسى .

لقد مضى ١٨ عاما منذ غادرت مكتبى كرئيس للمخابرات العامة ، لكننى لم أشعر على امتدادها للحظة واحدة وحتى حين غبت أو غيبت بين جدران سجن اتصل عدة سنوات ، أن دورى الوطنى قد أفل وأن على أن أقنع نفسى بالسلوى ، وأن أعيش على اجترار الذكريات .

ربما يكون عدم عودتى إلى الذكريات كتابة أو تسجيلا أو تحليلا طوال هذه السنوات نابعا من هذا الاحساس ذاته ، فالانغماس فى الماضى قد يعنى فى لحظة نوعا من السلوى أو محاولة للابتعاد عن الحاضر تحت ضغط عدم القدرة على التأقلم معه .

وبالنسبة لى فقد كان الأمر معكوسا فقد تنفست خلال هذه السنوات الثمانى عشرة كل المتغيرات من حولى ، وعشت حتى أعماق الأعماق مشكلات ومعاناة ومتاعب وانتصارات واحباطات وطنى الكبير ، ولم أنفصل يوما واحدا عن شئون

وشجونه .. بل ان حياتى سمحت لنفسها على امتداد هذه السنوات ان ترتب أيامها كما لو كنت فى الموقع الذى عليه فى كل يوم أن يتابع ويرصد ويقترح الحلول ولو حتى لنفسه وسط الناس .

وهكذا كانت تجربتى كلها ، ضابطا فى الجيش أو محافظا أو أمينا للشباب ، أو رئيسا للمخابرات ، انغماس كامل فى الشارع ، ولم يكن من الممكن بعد أن ذهبت الوظيفة أن انفصل عن هذا الشارع الذى تنتمى اليه كل خلية فى كيانى .

إن أصدقاء كثيرين لم يتوقفوا عن تحريضى طوال هذه السنوات على أن أكتب شيئا عن تجربتى ، ولقد كنت دائما مع ثقى فى صحة وشرف مقاصدهم ، لا أعدم وسيلة للالتفاف حول الموضوع .. لكننى هذه المرة استسلمت طائعا .. لأسباب عدة :

أعتقد أن حوائط كثيرة وعالية قد بنيت بين الأجيال الجديدة فى مصر وبين تاريخها وذلك أمر بكل المقاييس لايعين على اتصال الأجيال ولا على تواصل التجارب .. لقد وجهت إلى فصول التاريخ المصرى المختلفة حملات ثأر مستمرة شاركت فيها مع الأسف الشديد كل القوى السياسية .. ولم تلحق حملات التشويه هذه بثورة يوليو ١٩٥٢ وحدها ولا بجمال عبدالناصر ، ولكنها لحقت قبل ذلك بثورة ١٩١٩ ، كما لحقت بسعد زغلول ومصطفى النحاس وغيرهما ، وكما لحقت بعد ذلك بأنور السادات ، وفى المرحلة النهائية هدمت فى عيون الأجيال الجديدة كل تجربة فى التاريخ المصرى الحديث ، بل وقد جرم الجميع - كل حسب دوره - دور غيره فى هذا التاريخ .

ولذلك فإن الذين يتساعلون عن ضعف الانتماء بين الأجيال الجديدة عليهم أن يفتشوا عن إجابة فى هذه المساحة .. أن الانتماء ليس « صلة بالجغرافيا » ، وليس ارتباطا بالحاضر ولكنه نسب للتاريخ أيضا .. ارتباط بالماضى الذى لا بد من أن يكون فيه قصوره ، إلى جانب أنه من المستحيل أن يخلو من أخطاء ..

إن تاريخنا ليس سلسلة متصلة من الأخطاء والاحباطات والفشل ، كما أنه أيضا ليس جسرا متصلا من التقدم والنجاح .. لكنه تاريخنا فى النهاية ، وبصفتى النجاح والفشل فيه ، فإنه لا يتضمن ما يشيننا أو يدفعنا إلى إنكاره أو تجاهله ، بل ما يستحق أن نستخلص دروسه وذلك لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال أمانة ودقة فى نقل وقائعه إلى الناس .. مهما تكن هذه الحقائق سيئة أو مؤلمة .

وعلى الرغم من أخطاء بعض المسئولين التى قد تصل حد الخطايا فإنه يجب أن ينظر إليها على أنها جزء من طبيعة الحياة ، خصوصا إذا كانت المهام أكبر من القدرات ، أو كانت الاعباء أكبر من الإمكانيات .

كما أنه ينبغي التعامل معها على أنها أجزاء من التجربة ، ولكنها ليست تلخيصا للتجربة كلها بأي حال من الأحوال ، بحيث لا تغطي الخطوط القاتمة هنا أو هناك على بقية الألوان المشرقة التي تملأ جوانب تجربة الثورة في حياة مصر .

ومن المؤكد أن هذه المجموعة من الأوراق لا تمثل الأوراق الكاملة ، أو الوقائع المتراكمة التي تغطي ثلاثة أحقاب من الزمن .. ولكنها استقطار شديد لعدد من دروسها التي تضغط على عقلي ووجداني الآن .. والتي أشعر أنها قد تكون مفيدة للأجيال الجديدة ، وفي الوقت نفسه فإنها قد تساهم في طرد بعض الأكاذيب التي احتلت المسرح من طول الإلحاح عليها .

لقد راعني عندما كنت في زيارة لاحدى المكتبات الانجليزية العريقة ، أن وجدت صفوفًا طويلة من الأرفف تصطف فوقها كتب تلخص تجربة كل القادة السياسيين والعسكريين وقادة العمل الوطني في مجالاته المختلفة في جميع الحقب التي عاشتها إنجلترا ، من مونتجمرى حتى قائد كتيبة مجهولة لا يعرفه سوى جنوده ، ومن تشرشل الى ماكميلان ، إلى كثير من قادة السياسة والاقتصاد .

أما بالنسبة لنا فإننا لا نترك رصيد خبراتنا للأجيال الجديدة كي تتأملها لتأخذ منها ما تريد وترفض ما تريد ، كي تتوقى السقوط في الأخطاء الكبيرة الى وقعنا فيها ، وإنما نحاول أن نفرض أنفسنا من منطلق ذكر نصف الحقيقة أو ذكر ما نعتقد أنه الصواب .

إن منطق تواصل التجربة التاريخية في حياة شعب من الشعوب ينبغي أن يكون منطق استخلاص دروس معارك ، انتصارا وانكسارا ، ودون ذلك فإننا سنظل ندور في حلقات مفرغة ، ولن نتجاوز في كل ما نفعل أحد موقعين أو حالتين .. الجلوس في متحف التاريخ أو البدء كل يوم من نقطة جديدة .. بلا سند أو حكمة أو مقود ..

إن نجاحاتنا ليست ملكا لنا .. ولكنها ملك للشعب .. ولكن اخفاقاتنا تحسب علينا وحدنا .. فقد صنعناها بأنفسنا وإن كان الشعب هو الذى دفع ثمنها في النهاية ..

أحمد كامل

كيف أصبحت رئيسا للمخابرات العامة .. وماذا حدث ؟

ظلت قصة اختياري رئيسا للمخابرات العامة موضع استقهام بالنسبة لى فلم يقدر لى أن أعرف من هو صاحب الاختيار ولا ما هى أسبابه ودوافعه .. ولقد تبدد نصف الاستقهام بعد ذلك بسنوات .. أما نصفه الآخر فما زال لغزا حتى الآن .

لقد عرفت فقط فى السجن من الفريق أول محمد فوزى أن الرئيس السادات هو الذى أصر على اختياري رئيسا للمخابرات وأنه رفض ترشيحي لمنصب وزارى آخر .

فقد رشحت فى البداية وزيرا للشباب فى أول تشكيل وزارى ، فى أعقاب توليه منصب رئيس الجمهورية ، بعد رحيل الرئيس جمال عبدالناصر ، ووصلتني معلومات الترشيح بالفعل ، ووجدت أن المنصب الجديد يتفق مع خبرات عملى السابق كأمين لمنظمة الشباب ، لكننى فوجئت بعد أربعة أيام بسامى شرف يطلبنى على التليفون وينقل لى رسالة محددة :

لقد صرف النظر عن تعيينك وزيرا للشباب .. وسوف تعين رئيسا لجهاز المخابرات العامة .

أخذتني المفاجأة .. فقد كان ذلك خارج تصورى أو توقعي ، أو حتى خبرة عملى الطويلة المكتسبة ، ولذلك وجدتني أصرخ على الطرف الآخر من التليفون فى أذن سامى شرف :

مخابرات .. إنها أبعد الأمور عنى ..

لكن سامى رد بيقين :

لقد انقضى الأمر وصدر القرار وسوف تتسلم المخابرات .. امتلأ رأسى بعلامات الاستقهام .. وسرعان ما تحولت علامات الاستقهام حول القرار وصاحبه ودوافعه أو أسبابه إلى علامات استقهام أخرى حول المهمة الجديدة .. وأعبائها .. وظروفها .

كنت ما أزال ألتقى التعليمات بروح الجندية التي عاشرتها أغلب سنين عمرى ، وكان على أن أعد نفسى - كالعادة - لتنفيذ الأمر مهما كانت درجة قناعتنى به .. أو إحساسى بملاءمته لى أو تلاؤمه معى .. وهكذا تبددت المفاجأة بسرعة ووجدتنى مستغرقا فى تخيل مهام التكليف الجديد ، الذى كان بعيدا تماما عن ذهنى حتى لحظات سابقة .

لم أعرف تفاصيل الحوار الذى دار بين السادات وبين شعراوى جمعة والمجموعة الا بعد سنوات فى السجن كما قلت .. عرفت أنهم عرضوا عليه ترشيحى وزير دولة للشباب .. وفوجئوا جميعا - وهم يعرفون خصوصية علاقتى به - وهو يقول بشكل قاطع : لا .. حتى أن أكثر من واحد منهم سأله بصوت واحد وبنبهة واحدة :

وهل هناك اعتراض عليه فى شىء يا أفندم ؟

ورد السادات دون أن يفصح :

لا اعتراض .. لكن أنا أريده فى موقع آخر .

وازدادوا دهشة ، فقد كانت جميع مقاعد الوزارة والاتحاد الاشتراكى قد انتهت ترشيحاتها وتم الاتفاق عليها ..

فى اليوم التالى مباشرة ، اتصلت بفوزى عبدالحافظ سكرتير الرئيس قلت له : انقل للرئيس أننى أريد مقابلتين معه .. احداها قصيرة والأخرى طويلة ..

أما الأولى فهى للشكر .. وأما الثانية فهى للمناقشة فلا أريد أن أبدأ عملى فى الجهاز قبل أن أعرف ماذا يريد بالضبط منه فى هذه المرحلة ولا كيف يتصور وظيفته وعمله ومهمته .. وما هو المستهدف بالدرجة الأولى .. خاصة أننى تابع لرئيس الجمهورية ، وليس لأحد غيره أو سواه .

وقال فوزى عبدالحافظ : سوف أنقل نص الرسالة للرئيس .. ومن المؤكد أنه فعل ...

لكن المفارقة أننى تسلمت عملى فى جهاز المخابرات ولم أقابله بخصوص هذه الأسئلة مرة واحدة ، وبالتالى لم أتلق أية إجابة عليها ، ولم أعرف خلفيتها ، ليس فقط حتى تركبت منصبى وأودعت السجن ، بل وحتى توفاه الله .

باختصار ، فقد تسلمت الجهاز وطلبت مقابلة رئيسى لمناقشة تفاصيل عملى ، ولم يمنحنى الرئيس هذه الفرصة وتركنى بالتالى اتصرف وفق ما أتصور وأعتقد أنه المهمة المطلوبة أو الصحيحة .

ولقد عذبنى تفسير ذلك لفترة طويلة ، ولم أعرف على وجه التحديد لماذا رفض السادات عمليا أن يقدم إجابة أو تصورا لأسئلتى ومهمة الجهاز الكبير الذى وضعتنى فوق رأسه .. وتراوحت اجاباتى بعد ذلك بين عدد آخر من الاستفهامات .. أصدر ذلك عن ثقة فى حسن تقديرى ورؤيتى لمهمة الجهاز فى هذه المرحلة وادراك منه لأنها ستتطابق مع رؤيته وهدفه ؟ أم تراه أراد ألا يقيدنى بتصوير ويترك لى فرصة التصرف والاجتهاد .. ثم تأتى مرحلة الحوار أو الترشيد بعد ذلك ؟ أم أنه كان يدرك منذ البداية أنه دور مؤقت أو موقوت وبالتالي لا يحتاج الى صياغة تصور مشترك ؟ .. أم أن دور الجهاز كله لم يكن يحظى فى هذه المرحلة بأولوية خاصة وفق تقديره ؟

لست أعرف الاجابة على هذه الأسئلة بشكل يقينى .. لكننى لمست فى أوقات كثيرة راحة بينى وبين نفسى فى أن تكون الاجابة الأولى الأكثر احتمالا ، متذعرا بعلاقتنا التى كان فيها قدرا كبيرا من الثقة والطمأنينة والتفهم المشترك .

لقد قابلت الرئيس السادات بعد ذلك وحتى انتهاء عملى ثلاث لقاءات عامة ، ولقاء أخير منفرد فى بيته قبل أيام معدودة من الزج بى فى السجن وهو لقاء على درجة عالية من الغرابة ..

تمت اللقاءات الثلاثة العامة فى اطار مؤتمرات مجلس الدفاع الوطنى ، وقد اعتذر لى بركة عندما اقتربت منه مصافحا قبل الاجتماع الأول الذى تم فى المجلس الأعلى للقوات المسلحة بأنه حريص على أن نلتقى لقاء موسعا لمناقشة أسئلتى لولا انشغاله فى مسائل أخرى لا تحتمل التأجيل ، وعندما لاحظ على ملامح وجهى بقايا علامات دهشة أضاف قائلا :

على كل فسوف نكون لجنة عمل دائمة فى مجلس الدفاع الوطنى وسوف يتيح لنا ذلك أن نتقابل كل يوم ..

وتكونت لجنة العمل الدائمة ولكنها لم تجتمع سوى اجتماعين : الاجتماع الأول فى قصر الطاهرة ، والثانى فى استراحة الرئيس بالقناطر الخيرية ولم يحضر الرئيس أيا منهما .

وهكذا لم نتقابل كل يوم كما قال بل التقينا مرة فى اجتماع مشترك مع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ثم مرة واحدة أخيرة هى ذلك اللقاء المنفرد الأخير الذى كان أقرب إلى لحن وداع بين صديقين قديمين .

وبين اللقاء الأخير واللقاء الأول ، أو بين تسلمى لمهام عملى وانتهاء هذه المهمة لم تحدث مكالمة واحدة بينه وبينى ، فلم يتصل بى تليفونيا ولا مرة .. ولم يكن لدى ما يبرر اتصالا تليفونيا مع الرئيس .. فقد كنت أسجل له كل شىء يوميا على الورق .

لقد سألت الرئيس فى الفرصة الوحيدة التى أتاحت لى على هامش الاجتماع الأول :

هناك يا أفندم أعمال مخابرات يومية .. إلى من أرسلها ؟ .

قال بدون تفكير : أرسلها إلى سامى شرف .

قلت : يا أفندم لكنى أريد رذك المنتظم عليها .

قال بحسم : أرسلها إلى سامى .. وما لكش دعوة .

وهكذا كان كل شىء يذهب إليه يوميا - عن طريق سامى شرف - ابتداء من تقارير الأمن القومى ، ولقد كانت جميع التقارير الخاصة بما أسمى بمؤامرة مراكز القوى أو انقلاب مايو .. ضمن هذه التقارير المرسلة بانتظام .

ولعلنى تسألت طويلا بينى وبين نفسى : هل يمكن أن يكون سامى شرف قد دارى عنه شيئا مما أرسلت .. فلم يكن من الممكن أن يحجب شيئا عن رئيس الدولة .. بل لعلنى أضيف بشكل قاطع : أن سامى شرف بحكم تركيبته كان يطلع رئيس الدولة على كل قصاصة أو ورقة أو تسجيل تصنت أو معلومات أمن قومى ، حتى لو كانت تعرض به شخصا .

أجىء إلى اللقاء الأخير .

لقد تم هذا اللقاء بين الرئيس وبينى مساء يوم الأربعاء ٩ مايو أى قبل أن تصعد الأحداث إلى ذروتها الأخيرة بأربعة أيام .. وفى أعقاب اجتماع اللجنة المركزية الذى أطلق عليه هو بعد ذلك « اجتماع سيما أونطة » .

كنت فى هذا اليوم فى اجتماع مع المبعوثين المصريين بالخارج ، وتم الاجتماع فى قاعة الاتحاد الاشتراكى على النيل ، وكان هذا الاجتماع تنويجا للمؤتمر الخاص بالمبعوثين حيث كان دورى أن أعطيهم التلقين الأخير بالتوعية الأمنية قبل سفرهم إلى أماكن تواجدهم فى الخارج .

وفى أعقاب الاجتماع مباشرة .. كان موعدى مع الرئيس فى بيته بالجيزة .. استقبلنى الرئيس بود واضح كعادته وهو ود كنت أتصور أنه يستند الى معرفة شخصية دقيقة ومستقرة .. فقد كان كل منا يعرف الآخر جيدا ، كان يعرف رأى فى المجموعة منذ فترة طويلة وفى وجود جمال عبدالناصر .. وكنت أيضا أعرف رأيه فيهم ، فقد كان دائب الشكوى منهم عندما كان نائبا للرئيس .. بل وأزعم أنه كان يأتمنى على أدق الأسرار التى يعرفها حول تصرفاتهم وأفعالهم .

وكلما جاء الى الاسكندرية - وأنا فى موقع المحافظ - كان يبدأ يومه بالاتصال بى وكانت الجلسات بيننا طويلة ومفتوحة وبلا تحفظات أو غياهب أو أسرار .. كنت أشكو له كثيرا ، وأعطيه ما ينقله إلى الرئيس عبدالناصر .. وكنت أحيانا أبدى له دهشتى من أن الرئيس عبدالناصر لا يتصرف معهم بدرجة من الحسم . ولكنه كان يدافع عن الرئيس ويقول :

« إنه يعرف كيف ومتى يتخذ قراره .. إنه أفضل من يختار الوقت المناسب » .

إننى لن أشرح تفاصيل علاقاتى بأنور السادات فى هذه المساحة وسوف أعود إليها فى مساحة أخرى .. ولكننى أجد أن هذا التحديد ضرورى لكى تبدو الأحداث التالية على ذلك .. نسيج كامل من المفاجأة والدهشة بالنسبة لى ..

تحدثنا فى بداية اللقاء عما حدث فى اجتماع اللجنة المركزية .. وكان يشعر بمرارة شديدة ..

عند نقطة على مسار الحوار قلت له :

سيادة الرئيس : إن أهم شئ فى البلد اليوم هو إتمام عملية تحرير الأرض .. إن كل الخلافات الداخلية فى فقاات سرعان ما تنتطير ، ولو بدأت عملية التحرير ستصبح البلد كلها يدا واحدة ، .

أذكر أنه كان يضع قدما فوق قدم ، ووجدتنى فى لحظة انفعال للموقف اضيف « الباقي كله فى حذائك » .

امتص ما قلت فى هدوء ثم سألنى - وهو يضغط على حروفه :

وما رأى الناس ؟

أجبت دون تردد : التحرير يا ريس .. التحرير .

غمغم وهو يهز رأسه : إن شاء الله .

مرت لحظات صمت مفعمة بأحاسيس مختلفة ثم سألنى بفتة :

ماذا كنت تريد ؟

قلت : جئت أستاذن للسفر إلى موسكو لمقابلة مع اندريوف - رئيس المخابرات السوفيتية والرئيس السوفيتى بعد ذلك - قال :

لقد سبق أن صدقت لك على السفر ..

قلت : جئت أستاذن لتحديد موعد السفر .. لم يرد .

كان اللقاء قد انتهى وخرج معى من غرفته الى الصالة ووقف على الباب الخارجى لبيته وهو يوصلنى بود واضح .. لم يبدو عليه شىء .. لكننى كنت أحس أن أمرا ما يعتمل فى داخله وأنه يوشك أن يتخذ بشأنه قرارا .

على باب السيارة وأنا اضع يدى فى يده مصافحا بود .. سألتنى :

متى تعتقد أنك ستسافر لموسكو لتقابل أندروبوف ؟

قلت : سيادة الرئيس - خلال أسبوعين .

استطرد بصوت عميق دون تفكير :

لا .. مش حتلحق تسافر ..

انفجرت أسارىرى ، فقد فهمت أن قرار الحرب سوف يتخذ قبل مرور هذين الأسبوعين .. ولذلك قلت له ضاحكا وأنا أحياه التحية الأخيرة :

« والله يا أفندم طالما التحرير سيتم فى هذا التوقيت فلا أهمية للسفر »

ركبت السيارة ، والتفت إلى الخلف وهى تتحرك .. رفعت يدى بالتحية .. وبعد أمتار كان مايزال واقفا وكأنه تسمر فى مكانه على باب المنزل .. وأنظاره معلقة بنقطة بعيدة فى الفراغ .

كنت أشعر باطمئنان مضاعف فقد كنت على يقين أن قرار تحرير الأرض يمكنه أن ينهى كل الخلافات .. وأن يحول الوطن كله إلى قبضة واحدة ، وكنت على يقين - أيضا - أن السادات كان يقصد شخصا هذا المعنى عندما قال لى اننى لن أجد وقتا للسفر .

أحسست أن على - بسبب ضغط هذا الفهم على رأسى ووجدانى - أن أساهم فى تخفيف حدة الخلاف .. ذهبت الى عبدالمحسن أبوالنور وقلت له ما حدث وما قاله السادات وما فهمته من كلامه .. وأن عليهم أن يلزموا الهدوء ..

استمع عبدالمحسن أبوالنور جيدا ثم غغم بصوت عميق : ياريت ..

ذهبت بعدها إلى سامى شرف لكى أوصل إليه نفس الرسالة .. ثم جحظت عيونى غير مصدق وأنا أسمع سامى شرف يعلق على ما قاله السادات ضاحكا وهو يقول :

« إن ذلك يعنى أمرا واحدا .. إنه سوف يخلعك من رئاسة المخابرات قبل مرور أسبوعين » .

زادت ضحكاته وزاد عبوسى ودهشتى .. فلم يكن على الجانب الشخصى بينى وبين أنور السادات ما يمكن أن ينبىء بذلك مطلقا .. ثم ثبت بعد ذلك بأيام قليلة أن تقديرى لم يكن صحيحا ، وأن تقدير سامى شرف لم يكن دقيقا أيضا .. فلم أخلع أو أذهب وحدى وإنما ذهبت بنا الذروة الميلودرامية بعد ذلك جميعا وفى مقدمتنا سامى شرف نفسه إلى السجن بتهمة مكررة هى : « محاولة قلب نظام الحكم بالقوة » .



ذروة ميلودراما ١٥ مايو ١٩٧١ :

من قمة جهاز المخابرات الى قاع الجن

بعد مقابلتي مع الرئيس السادات بأربعة أيام تصاعدت الخلافات بينه وبين المجموعة وعلى أثرها أقال الرئيس شعراوي جمعه نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية . وفي اليوم نفسه الذي كان الرئيس قد قام خلاله باستدعاء ممدوح سالم لمقابلته ، حيث كان يشغل منصب محافظ الاسكندرية .. وباستدعائه كانت الصورة قد اتضحت لي ، فقد أصبح واضحا أن الرئيس سوف ينهى الخلاف على طريقته .

كانت جميع التقارير الخاصة بالمجموعة قد أرسلت من قبل المخابرات إلى مكتب الرئيس . كما قام أحد الضباط وكان يعمل في غرفة الأشرطة الخاصة بالداخلية وجمع الأشرطة الخاصة بمكالمات المجموعة وذهب ووضعها على مكتب فوزي عبدالحافظ ..

أما بالنسبة لهذا الضابط فقصة معروفة ومتداولة ولا تحتاج إلى إضافة .. لم تكن التقارير التي حملها رسول السماء - كما قيل بعد ذلك - هي التي كشفت عن تفاصيل الاتصالات بين مجموعة الوزراء ، ولكن كانت تقارير المخابرات والتي وضعت تحت تصرف الرئيس قبلها هي التي أدت هذه المهمة .. والحقيقة أنه إذا تجاوزنا عن هذه النقطة ، فلم يكن لدى المجموعة إمكان صنع انقلاب حتى لو أرادت .

أذكر مرة في أوج مناقشات مع سامي شرف وشعراوي جمعه في هذا الوقت وفي أوج الأزمة أنني قلت لهما بالنص :

حتى إذا افترضتم أن هناك انقلابا يمكن أن يصنع في الجيش .. فهل تتصورون أنه - حتى لو بدا لمصلحتكم - يمكن أن ينتهي كذلك .. كونوا على يقين أنه ليس ثمة أحد في البلد كلها يحبكم ، ولذلك فإن أي انقلاب سيتحرك أو سيتمكن تحريكه ، سينتهي لمصلحة القائمين به تماما .. ولهذا فينبغي التخلي عن أية أفكار من هذا النوع .

عدت إلى بيتي مساء ، ولم تمض غير نصف ساعة على عودتي حتى فوجئت بمحمد سعيد - سكرتير سامي شرف - يسألني تليفونيا إذا كان لدى أية معلومات

عن أن السيد شعراوي جمعه قد قدم استقالته أم لا .. ولم يكن لدى أية فكرة عن الموضوع ، لكنه أخبرني أن السيد سامي شرف قد استدعى لمقابلة الرئيس في الساعة الرابعة وأن السيد معدوح سالم موجود عند الرئيس . وأن الرئيس قد طلب من رئيس الوزراء د . محمود فوزي أن يقابله في الساعة الخامسة ، وأنه طلب مصورا للقاء .

كان المتوقع أن شعراوي قد استقال بالفعل لأن هذه المظاهر كلها كانت تعنى تعيين وزير جديد للداخلية .

بعد فترة اتصل الفريق أول محمد فوزي ونقل لى الأخبار نفسها .

وبعد نصف ساعة أخرى ، علمت أن الرئيس قبل استقالة شعراوي جمعه ولم تكن هناك أية تفاصيل إضافية .

في التاسعة مساء عاود محمد سعيد الاتصال بى وقال : السيد سامي شرف يطلب منك أن تقدم استقالتك .

وجدت نفسى أقول له بالحرف الواحد : ماذا ؟ هل هانت الأمور إلى هذه الدرجة ولماذا أقدم استقالتي ، لأن وزير الداخلية استقال أو أقيل ؟ .

بعد فترة اتصل بى السيد خالد فوزي - وكان قد عين قبل فترة في رئاسة الجمهورية وأفهمنى أن السيد سامي شرف اتصل به طالبا أن يقدم استقالته أيضا .

وخالد فوزي أخ وصديق وزميل سلاح ، ولذلك لم يجد بديلا أن يحضر الى منزلى ليناقدش معنى التطورات ، تذكرت أيامنا قبل ٢٢ عاما مضت حين جاء إلى خالد فوزي في العريش ، كنا ضباطا صغارا مملوئين حماسا للدخول إلى فلسطين وكنا ننتظر الأوامر للتقدم الى فلسطين في ١٥ مايو أيضا . وفي هذا اليوم وجدت خالد عندي فقد كان مقداما شجاعا وطنيا وقال لى أنه قد قرر أن يتطوع في صفوف الفدائيين تحت قيادة البطل أحمد عبدالعزيز .

بدأت أحس أن الموقف يتطور تطورا غير سليم . فما معنى طلب هذه الاستقالات وما لزومها ؟ وتناقشنا وكان رأى خالد مثلى .. لا استقالة ، وبدأت أمارس عملى كرئيس للمخابرات لجمع المعلومات حول الموقف وتحويلها إلى الرئاسة لكي تكون تحت بصر الرئيس .

فجأة سمعت أن خمسة وزراء قد قدموا استقالاتهم وأن ثلاثة من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا قدموا استقالاتهم أيضا ، وكان تقديرى أن هذه الاستقالات الجماعية لا تعنى إلا الضغط على الرئيس تضامنا مع شعراوي ، وكان فى تقديرى أيضا أن إذاعتها أكبر خطأ ، لأن جميع المتقدمين بها يشغلون مناصب قيادية

حساسية فماذا يتصورون ؟ ليس بمقدور الرئيس - حتى لو أراد - ألا يقبل هذه الاستقالات وإلا أصبح هو نفسه فى موضع حرج شديد .

قبل ذلك بأيام قليلة كان هناك اجتماع بمكتب التنظيم الطليعى بالقاهرة - وكان يضم ١٢ عضوا - وعلى هامش الاجتماع تناقشنا جميعا فيما يمكن أن يفعله الرئيس ، وعند نقطة فى مناقشة التوقعات قلت لشعراوى جمعه .

« الرئيس يمكن يشيلك »

قال : كيف .

أضفت : يرسل ورقة صغيرة لمحمد فايق يضمنها الاقالة ويقول له أذع هذا الخبر وتنتهى القصة ..

وتوجه شعراوى جمعه بالسؤال إلى محمد فايق الذى كان من بين حضور الاجتماع :

هل يمكن فعلا أن يذاع هذا الخبر ؟

وأجاب محمد فايق : يمكن أن تعطل إذاعته قليلا .. لكنه سيذاع على كل حال .

بدا على شعراوى جمعه وكأنه مفاجأ بما يقول .. صمت برهة ثم تساعل :

وتفكر يأتى بمن فى مكانى ؟

قلت دون تردد : يأتى بممدوح سالم .

قال شعراوى وكأنه يبحث عن طمأنينة جديدة غير مصدق :

وهل هذا معقول .. ليس معقولا أن يقبل ممدوح سالم .. ثم استطرد وهو يعيد التأكيد لنفسه :

اننى لم أصطدم مرة واحدة معه ، إضافة إلى أن علاقتى الشخصية به لا يمكن أن تسمح له بأن يقبل .

فى اليوم نفسه - الخميس ١٢ مايو وكان قد تم تعيين ممدوح سالم بالفعل وزيرا للداخلية اتصل بي فوزى عبدالحافظ سكرتير الرئيس وقال :

الرئيس السادات يطلب إرسال جهاز خاص من المخابرات العامة للكشف عن أجهزة التسجيل والتنصت التى يعتقد أنها زرعت فى بيت الرئيس ومكتبه .

تحركت بسرعة ، واستدعيت نائب رئيس المخابرات شخصيا ، وكلفته بأن يذهب بنفسه ومعه طاقم عمل إلى بيت الرئيس ، وأن يمسحوا البيت بحثا عن أى

جهاز تسجيل أو تنصت مهما تكن دقته ، وطلبت منه أن يحدثنى تليفونيا من بيت الرئيس وقبل أن يغادره وينقل لى نتيجة عملية البحث .

وذهب نائبى ومعه طاقمه ، واستغرق البحث فى البيت وقتا طويلا جدا ، وفى تمام الساعة الثامنة و النصف اتصل بى نائبى قبل أن يغادر بيت الرئيس وقال لى : إنهم قاموا ببحث شامل ودقيق وأنهم لم يجدوا فى بيت الرئيس أية أجهزة تسجيلات أو تنصت من أى نوع وأن البيت والمكتب نظيفان تماما .

أى أن ما أشيع بعد ذلك عن زرع أجهزة تسجيل أو تنصت فى بيت الرئيس السادات ، كان مجرد كذب وإفتراء وذلك ثابت وموثق فى دفاتر المخابرات العامة .

لقد ورد فى تحقیقات القضية انه قد تم ضبط أجهزة تسجيل فى مكتب سامى شرف بالدور الثانى عشر فى مبنى الاتحاد الاشتراكى ، ولاشك فى أن وضع هذه الأجهزة كان أمرا طبيعيا جدا ويعبر عن حقيقة من حقائق الزمن الذى نعيشه ، فأجهزة تليفون ومكتب الرئيس الأمريكى مرتبطة بأجهزة تسجيل تحقق وظيفة تسجيل كل المناقشات والمفاوضات كمستندات رسمية للدولة ، إذ ليس من المعقول أن يتذكر الرئيس وسط ضغوط العمل وأعبائه اليومية جميع التفاصيل والأحداث اليومية حتى بغرض المتابعة ، وهذا الاجراء ليس سرا كما هو ثابت فى وثائق « ووترجيت » الأمريكية .

لقد تلقيت مكالمة نائبى فى بيتى ، فقد كنت أضع فى بيتى مجموعة موازية لتليفونات مكتبى ، بحيث أسمع الرنين وأتمكن من الرد فى الحاليتين سواء كنت فى البيت أو المكتب ، وكان لدى فى هذا اليوم عدد من الأقارب على دعوة عشاء ، وبعد مكالمة نائبى وقبلها مدير مكتب سامى شرف أصبح ذهنى مشتتا ، وانقبض الجو فوق المائدة .. وظل الطعام فى مكانه دون أن تمسه يد - قبل أن يستأذن الضيوف واجمين فى الانصراف .

خلوت لنفسى بعض الوقت ، ولم يعاود سامى شرف أو مكتبه الاتصال بى ، وظللت أتأمل مجموعة التليفونات فوق مكتبى فى المنزل وقد أصيبت بخرس مفاجئ طویل .

تلقيت أول مكالمة بعد ذلك فى تمام الساعة الواحدة .

كان المتحدث هو الفريق أول أحمد إسماعيل .

قال : إننى أتكلم لأننى قد عينت رئيسا لجهاز المخابرات ..

قلت له : مبروك .. على العموم لقد أصبح الوقت متأخرا .. تلتقى صباحا فى المخابرات لأسلمك المكتب والشغل وجميع ما يتعلق به .

اتصل صمت جليدى على الجانب الآخر للحظات قبل أن أسمعه يقول :

اطمئن .. أنتى أتحدث إليك من مكتبك بالفعل .. لقد تسلمت العمل ثم أغلق
الخط .. قمت بسرعة ، وأحضرت حقيبتى وضعت بعض الملابس واللوازم
الشخصية ، ثم جلست محققا فى الفراغ منتظرا طرقات مفاجئة على باب بيتى
وبين لحظة وأخرى ، ولما لم يحدث شيء حتى الصباح ، فقد ذهبت بنفسى إلى
رئاسة المخابرات .. قلت للرئيس الجديد : أردت أن أسألك .. إذا كانت لديك
تعليمات من الرئيس بخصوصى فأنا جاهز وفى الانتظار .. لقد قمت بإعداد حقيبتى
بالفعل ..

رد بنبرة عتاب واضحة :

كيف ؟ إننا نعد حفل تكريم يليق بما قدمته من خدمات للمخابرات وهنا اتفاق
بيننا على ذلك .

تجاوزت عن قوله واستطردت :

بالطبع أنا لن أخذ شيئا من الأوراق .. أية أوراق .. لكن هناك بعض الأشياء
الشخصية أرجو أن ترسلها لى غدا .

ثم سلمت على الرئيس الجديد ، وعانقت مساعدى ، وصافحت جميع الضباط
الذين عملوا معى وتفانوا فى عملهم ، ورغم أن صحف الصباح نشرت أخبار
الاستقالات وقبولها وخلت من أية إشارة تتعلق حتى بأعفائى من منصبى وأن
خطاب الرئيس فى المساء الذى تناول كثيرا من التفاصيل لم يتناولنى أو يتناول
المخابرات من قريب أو بعيد ، إلا أنتى عدت الى المنزل وكررت جلستى المتأمله
مترقبا طرقات على بابى ..

ثم جاءت الطرقات فى المساء المتأخر .. فتحت الباب وأنا فى كامل ثيابى
وحقيبتى قربى حيث وجدت ضابطا برتبة عميد ..

قال باقتضاب وفوق وجهه سحابة توتر وانشداد :

أسف يا أفندم .. نحن نريدك معنا ..

التقطت الحقيبة .. وهبطت إلى جواره درجات السلم صامتا .

قد لا أكون مبالغا إذا قلت أنتى لا أفهم حتى الآن تفسيراً لقضية ١٥ مايو ، فقد
كان بمقدور الرئيس السادات بموجب سلطاته أن ينهى الأمر لصالحه دون سجن أو
محاكمات أو خلافه ، ولم يكن فى نية الآخرين عمل حاسم يقومون به ، بل لعل
أضيف - حتى مع توفر النية للعمل الحاسم هذا - وهذا ليس صحيحا - فإنهم لم
يكونوا قادرين على ترجمة هذه النية إلى فعل .

أما بالنسبة لى فأنا لا أعرف لماذا دخلت السجن ، كانت التهمة « علم ولم
يبلغ » لكننى لست مضطرا لأن أكرر نفس الأسئلة القديمة .. علمت بماذا ؟ ولم
أبلغ عن ماذا ؟ .

بعد أسابيع قليلة من الزج بي في السجن ، وفي أحد المؤتمرات بالقوات المسلحة سأل بعض كبار الضباط الرئيس السادات : قالوا له :

لقد ألقيت القبض على فلان وفلان وفلان .. ولكن ما علاقة أحمد كامل بذلك ؟

وقال الرئيس السادات : بصراحة قبضت عليه لأنى زعلان منه .

واصل أحد الضباط سؤاله : ولماذا ؟

قال السادات : لأنه عرف أشياء ولم يبلغنى بها .

ولقد ناقشت ذلك فى أقوالى فى محاكمات ١٥ مايو : قلت أننى رجل تم اختياري لرئاسة المخابرات ، لكن ذلك لا يعنى أننى أعمل سكرتيرا لرئيس الدولة ، فأنا مسئول عن جهاز أمن كامل .

وعندما يختارنى رئيس الدولة ويضعنى على رأس المخابرات فمعنى ذلك أن هناك قدرا هائلا من الثقة ، وهى ثقة ينبغى أن تكون متصلة ومستمرة ، وترجمة ذلك عمليا يعنى - أيضا - أن تتاح لى فرصة التصرف فى حدود مسئولياتى المحددة .. إن دورى ليس أن أنقل كل كلمة أو معلومة ألتقاها إلى الرئيس بغض النظر عن أهميتها أو جديتها ، وإلا تحول رئيس الدولة إلى رئيس للمخابرات وتوقف دورى عند حدود أن ألتقى منه التوجيه فى كل صغيرة وكبيرة ، وذلك على المستوى العملى أو العملياتى فى مخابرات دولة كبيرة تصور مستحيل .

إن جزءا من وظيفتى أن أجنب رئيس الدولة أن يقع تحت طائلة القلق ، ولا يعقل أن أقول له على امتداد اليوم كله ، كل ما يحدث ، صغيرا وكبيرا .

إن دورى يحتم على أن أخطر رئيس الدولة عندما تكون هناك مخاطر حقيقية ، أو يكون هناك تهديد حقيقى ، أو حتى شروع فى التهديد ، ولذلك فقد تصرف فى حدود مسئولياتى وفى إطار ما يتوافر لى من معلومات وهى بتفاصيلها أوسع مما يتوافر لرئيس الدولة ، فلم يكن ثمة تهديد جاد أو شروع فى تهديد .

لقد تساعلت فى التحقيقات - ولعلها مناسبة لأن أكرر التساؤل أيضا : ماذا كان يريد الرئيس منى ؟ ثم ماذا لم يبلغه بالضبط .. إذا كان المقصود التقارير وتفاصيل اللقاءات التى تمت بين المجموعة ، فقد وضعت تقاريرها كاملة على مكتب الرئيس وسلمت إليه فى توقيت مبكر ، بل إن بعض تقاريرها عادت إلى مكتب الرئيس وعليها تأشيراته .

وإذا لم يبلغ مكتب الرئيس - الرئيس ببعضها الآخر - وهذا ما لم أعتقد أنه حدث فإن المشكلة ليست مشكلتى ، ولا مشكلة أى مسئول يمكن أن يكون فى موقعى ، ذلك أن سلطات مديرى المكاتب أحيانا تكون أكبر من السلطة نفسها .. والخطأ المتكرر فى بلادنا ينتج من عدم تحديد المسئوليات وخطوط الاتصال بشكل دقيق ، وهى مسألة ظلت عائمة عندنا .

لقد قلت أنه كان بمقدور الرئيس السادات أن ينهى الموقف لصالحه دون سجن أو اعتقال أو محاكمات وكان أيضا بمقدور الآخرين أن يتصرفوا بشكل أفضل .

لقد اجتمعوا واتفقوا وقرروا أن يقدموا استقالاتهم .. حسنا .. ألم يكن فى استطاعتهم ومفاتيح السلطة كلها فى أيديهم ان يتصرفوا على نحو آخر .. كان ذلك متاحا وسهلا بكل تأكيد ، لكنهم تصرفوا كبيروقراطيين لأن الجذوة الثورية فى داخلهم كانت قد انطفأت .

ولست أعرف حتى الآن كيف خيل إليهم أن الناس ستتدفق إلى شوارع القاهرة والمحافظات لتدافع عنهم وتقرض اعادتهم إلى مواقعهم ؟ لماذا يخرج الناس ويدافعون عنهم .. لقد خرجت الناس قبلها إلى الشارع وفرضت تصورهما يوم تنحى عبدالناصر ، لأنها أحست أن الرباط الذى يربطها ببعضها سوف يتمزق ، وخرجت وفاضت دموعها يوم وفاته لأنها أحست بفقدان الأمل .. أما بالنسبة لهم فلم يكن ثمة رباط ، ولم يكن أيضا ثمة أمل .

لقد كانوا يعرفون قدر أنور السادات جيدا ، وهم الذين فرضوه ، تلك حقيقة مؤكدة ، وكان السادات - حتى فى جلساتنا الناقدة المغلقة المشتركة - يهب دفاعا عن عبدالناصر عندما أتجاسر وأقول له أنه ينبغي أن يتخذ قرارا عاجلا بخصوصهم ، وعندما رشح أنور السادات رئيسا للجمهورية قامت حروب طاحنة من أجل إقناع الناس بترشيحهم له .

لقد تم استدعائى أكثر من مرة من الاسكندرية - حيث كنت محافظا لها - حتى مصر الجديدة كى أقنع الرافضين بترشيحه داخل التنظيم الطليعى ، لقد كان خطؤهم الأكبر أنهم تصوروا أن على السادات أن يسلم كل شئ لهم وأن يتيح لهم تنفيذ كل قراراتهم من خلاله لمجرد أنهم تحمسوا لترشيحه وقدموه إلى الناس ، وهكذا كان هدفهم من الترشيح هو احتواؤه والتصرف من خلاله ، دون أن يكون له اعتراض أو موقف ، ولم يكن ذلك ممكنا أو صحيحا .

أضرب مثلا : أن السادات لم يكن عضوا فى التنظيم الطليعى ، ولقد كنت عضو الأمانة العامة للتنظيم ، وقد تناقشنا بعد أن أصبح رئيسا مؤقتا للجمهورية فى موقع رئيس التنظيم الذى أصبح شاغرا ب وفاة عبدالناصر ، وكان رأى أنه من المنطقى والطبيعى أن يخلف الرئيس السادات الرئيس عبدالناصر فى رئاسة التنظيم ، لكنهم رفضوا جميعا ، ولم يكن هناك سوى عضو واحد شاركنى الرأى بحماس وهو وجيه أباطة ، ولم يحل رأى ورأيه دون أن ينفذوا قرارهم بإبقاء الرئيس الجديد بعيدا عن صفوف التنظيم ، أى أنهم تصرفوا على أساس أن تبقى كل المفاتيح فى أيديهم ، ويبقى الرئيس الجديد فى موقعه مجرد أداة تنفيذية لما يروونه ويتخذونه من قرارات ، وذلك طبعاً كان ضربا من ضروب المستحيل .

لقد أدرك السادات هذه الحقيقة بعد وقت قصير ، وبدأ يتمرد عليها عمليا ، وعندما أراد أن يسير على خطا عبدالناصر ، أى أن يصبح حاكما فردا بحكم تركيبة

الحكم القائمة ، وبحكم نوازعه الذاتية أيضا - وفي غياب قاعدة ثابتة لاستمرار النظام ، في صورة جهاز سياسى ، كان طبيعيا أن يحدث الخلاف ثم الخصام والشقاق . كان مستحيلا على الرئيس الجديد - وهو يتزع إلى ممارسة اسلوب الرئيس السابق - ولا أتحدث عن مضامين وإنما عن أشكال حكم - أن يسير في طريقه معهم أو أن يسير بهم وهكذا تحول الشقاق إلى صدام وانتهى بانفراد الرئيس بالحكم وبذهابهم إلى السجن .

لكننى مع ذلك اقترف ظلما فادحا للأشخاص والأدوار والتاريخ اذا أقررت بأنه كانت هناك محاولة انقلاب أو حتى شبهة انقلاب .

وصلت إذن إلى زنزانة السجن غير مصدق ، فى صحبتى حقيبتى الصغيرة التى كانت معدة سلفا ، وفى داخلى تمور أحاسيس وذكريات وأحداث يغلفها جميعها شعور جارف بالمرارة .

جلست إلى جوار الحقيبة ، وتحت ظل الذكريات شهرا كاملا ، ظللت طوال الوقت أتكلم مع نفسى ودون صوت ، ولم يكن ثمة بديل أن أنذر للرحمن صوما ، ثم بدأ التحقيق معى .

وبشكل بدا لى مفاجئا ، طلب ممدوح سالم وزير الداخلية الجديد أن نلتقى ، وذهبت مخفورا من السجن الحربى إلى مكتبه فى وزارة الداخلية .. كان كل منا يعرف الآخر تماما .

قلت لممدوح سالم: ماذا يحدث .. أن الرئيس يعرف عن يقين أنه لا علاقة لى بما حدث ولا بهم .

صمت ممدوح سالم فأضفت : شكرا للقائك .. لكن إذا كان المقصود أن أقول شيئا ضدهم فلن يحدث .. إننى فى كل الأحوال لست مستعدا لتقديم شهادة زور .

صمت ممدوح سالم قليلا ثم قال بهدوئه المعتاد :

أقسم أنه ليس هذا هو المطلوب .. أن هدف لقائنا أن أطمئنك أنه لا علاقة لك بما حدث وليس ثمة سند لوضعك فى موقع اتهام ، ولهذا فأنا على ثقة أن قرارا بالإفراج عنك سوف يصدر قريبا جدا .

وعدت إلى زنزانتى من مكتب ممدوح سالم وفى داخلى شعاع ضوء خافت جديد .. ولم يمض وقت طويل حتى قرر الرئيس السادات أن يلغى التحقيقات السابقة ويحيل القضية كلها من أيدى النيابة إلى المدعى العام الاشتراكى ليبدأ التحقيق من أوله .

كان قد جاعنى بعد انتهاء سلسلة التحقيقات الأولى ، صلاح نصار رئيس نيابة أمن الدولة ، وطلب منى أن أكتب خطابا للرئيس أشرح فيه موقفى .

قلت : ماذا سأكتب ؟

قال : قل أنك لست مشتركاً في القضية ..

قلت : لكنه يعرف ذلك عن يقين ..

أمسكت بالقلم وكتبت خطاباً من سطرين اثنين كان نصه :

« سيادة الرئيس .. انتهى التحقيق معي ، أنا لم أكن ولن أكون وطني ، وفقك الله على طريق الحق والعدل ، لكنني لم أستطع أن أنهي الخطاب دون أن أضيف بحكم عواصف من القلق والتوتر على مصير أسرتي الصابرة » برجاء رعاية الأسرة . »

ولم يكن للخطاب أثر هنا أو هناك ، كما أنه لم تتح له فرصة النشر في وسائل الاعلام كما حدث مع خطابات أخرى كتبت من السجن أيضاً وكان عليها توقيع آخرين .

بعض ملامح تجربتي في رئاسة المخابرات

أود أن أتوقف عند بعض ملامح تجربتي على رأس المخابرات العامة ، فمازلت أشعر بأن الظروف خدمتني حين مكنتني من أن أكون في هذا الموقع ، الذي لم أتوقع يوما أن أكون فيه .

لقد دخلت الى مكتبي في مبنى رئاسة المخابرات أول مرة بينما تختلط في صدري مشاعر متناقضة ، بين التحفز للمهمة الجديدة وبين الضيق بها .

كنت كأى مواطن مصرى ، سمع كثيرا عن حكايات « المخابرات ودولتها » ، ولست أستطيع أن أنكر أنني كنت متأثرا ببعض قصص هذه الدعاية التي وضعت صورة المخابرات العامة في إطار من الخشية والريبة والتجاوز .

بل لا أبالغ إذا قلت أن تحفظى على اختياري لهذه المهمة كان نابعا من هذا الاطار ذاته ، إذ أنني لم أكن أصلح لأن أقود جهازا مهمته - كما هو متصور - أن يحصى أنفاس الناس الخاصة ، وأن يلاحق حريتهم ثم يمارس عليهم وراء جدرانه السميكة العالية أشكالا وصنوبا من الإكراه والتعذيب .

لقد كان هذا هو الذى دفعنى لأن أطلب للوهلة الأولى بمجرد جلوسى على مقعد رئيس المخابرات ملفين كانت أهميتهما بالنسبة لى ترجع الى أنهما سيضيئان لى معرفة أدق وأوثق بمهمة المخابرات ، خاصة أنهما ملفان لشخصين عرفتهما عن قرب .

كان الملف الأول ملف الصديق القديم مصطفى أمين .

لقد قلت قبل ذلك أن جمال عبدالناصر كلفنى عشية نجاح الثورة فى مساء ٢٢ يوليو ١٩٥٢ بالذهاب إلى مصلحة التليفونات للبحث عن برقية قيل إن مصطفى وعلى أمين أرسلها إلى حكومات أجنبية وأنها مضادة للحركة .

ثم كلفنى بعد الثورة مباشرة بالإشراف على مؤسسة أخبار اليوم ، وكنت أغادر موقعى كل يوم فى إدارة المدفعية بزيى العسكرى وأتوجه إلى هناك حيث أقضى جانبا كبيرا من الليل ، ولا أبالغ أنني شكت بمرور الوقت صورة مختلفة للأخوين مصطفى وعلى أمين أكثر من ذلك فقد استطاعا أن يأسراني بوجهما وحضورهما

وتحولت من دور الرقيب إلى مكانة الصديق بسرعة وألفة ، ولقد ظلت أحتفظ لهما بملامح هذه الصورة فلم ينقطع الود لسنوات طويلة بعد أن أنتهى الدور الذى أسند إلى .

ولا أبالغ أيضا أنتى شعرت بحزن طاع يوم ٢٢ يوليو ١٩٦٥ وأنا أقرأ فى الصحف بيانا قال إنه تم القبض على مصطفى أمين أثناء مقابلته مع (بروس تايلور أوريل) الضابط بوكالة المخابرات الأمريكية وأنه - أى مصطفى أمين - يعمل عميلا للمخابرات الأمريكية ويقدم لها معلومات سياسية واقتصادية وعسكرية تضر بأمن البلاد .

ولم أستطع أن ابتلع الخبر بضمير مستريح فقد كان بالنسبة لى متناقضا تماما .. للصورة التى ظلت أحملها لصاحبه ، وظل هاجس قوى فى داخلى يقول أنه ربما كان هناك تجاوز أو سوء تقدير أو سوء فهم أو حتى سوء نية ، لكن الأمر لا يمكن أن يكون التجسس لصالح وكالة المخابرات الأمريكية .

ولقد ظل هاجسا متصلا لسنوات طويلة حتى حانت اللحظة التى حملتنى فيها سيارة مرسيدس سوداء إلى مبنى المخابرات العامة بوصفى رئيسه الجديد .. كان مبررا - إذن - أن يكون ملف مصطفى أمين فى مقدمة الأوراق التى أردت أن أطلع عليها ، وحين جاء الملف وجدته دسما بالأوراق ، ولكن حين تلامست يدى معه ، أصابتنى حالة توتر شديد وسألت نفسى : ماذا لو لم أجد فى هذا الملف ما يقيم أدلة ثبوتية على أن مصطفى أمين كان عميلا للمخابرات الأمريكية .. ماذا لو تأكد لى أن القضية كانت شيئا آخر ، تلفيقا أو تصفية حسابات أو أنها قامت على قاعدة من الظن .

وجدتنى مشدوها أقول لنفسى : لن يكون هناك بديل عن أن أخاطب الرئيس وأقول له :

أسف : لقد اكتشفت أنتى لا أصلح لهذه المهمة .. توقعت وقع المفاجأة عليه ، وأنه سيطالب الأسباب ، ولكننى قلت لنفسى : سوف أتمسك بقرارى دون أن أبدى سيبا ، فلم يكن بالأمر السهل لى أن أقبل رئاسة المخابرات المصرية بكل تاريخها المجيد وسمعتها المشهورة ، ثم أكتشف أن دورها كان أن تلفق قضية تجسس لصحفى بل لصديق .

وحين انتهيت إلى ذلك الخاطر استرحت ، وشرعت أعدو بين سطور الملف دون توقف ، وحين انتهيت أزحت الملف الى مقدمة المكتب وكأنتى أزيح كابوسا ثقيلا .. كانت القضية بالغة الوضوح ، بل أنتى لم أكتشف ذلك فقط من وثائق القضية ولكنى اكتشفت أيضا أن مصطفى أمين تصرف باستخفاف شديد عمليا ربما نتيجة اطمئنان وثقة الى أن موقعه وصلاته ، ستجعل اقتناصه مستحيلا :

لقد كان يتحرك ويتكلم ويأخذ ويعطى بشكل كامل العلنية ، ولذلك فإن كل شيء مسجل عليه بدقة شديدة ، كما أن عملية القبض عليه لم تتم إلا بعد أن أصبح الشك يقينا ثابتا - أيضا .

أما قصص التعذيب التي رواها بعد ذلك في كتبه ، فقد تأكدت أنها مجرد تغطية لموقفه ، فهي عارية تماما عن الصحة ولا أتصور سجيئا - فضلا عن جاسوس - في تاريخ مصر كلها ، قد لقي قدر الرعاية التي لقيها وهي رعاية وصلت إلى حد التسيب وتحطيم الأوامر والتعليمات الدائمة للسجون ، فقد وصلت إلى زنزانته صناديق التفاح ، وخراطيش السجائر الأجنبية ، وكثيرا ماذهب محمد حسنين هيكل لزيارته بنفسه بصحبة التفاح والسجائر ، وكما أعرف فقد كان أحد الذين ألحوا على السادات طويلا كي يطلق سراحه ، رغم أنه لقي جزاء « سنمار » منه بعد ذلك .

تتابعت أنفاسى وشعرت أنني أريد أن أتكلم مع أحد وطلبت أحد مساعدى .. وجدتني أقول له دون مقدمات وأنا أشير إلى الملف :
إنها قضية تجسس مع المخابرات الأمريكية بنسبة مائة في المائة ..
ورد مساعدى قائلا :

إنها كذلك بالفعل .. وهى إحدى عمليات المخابرات الناجحة ونحن لا نزال نحقق بأشرطة القضية ووثائقها الأصلية معروضة فى معرض وحدة الأمن القومى فى المبنى المجاور .

هكذا وقبل أن ينهى مساعدى كلماته كنت لأول مرة قد بدأت أتأمل ملامح غرفتى وأحس بدفئتها .

كان الملف الثانى الذى طلبته هو ملف قضية عبدالحكيم عامر ، فقد كنت رغم كل شيء أحبه ، وكثيرا ما أفزعنى أن تكون مأساته قد انتهت بالقتل لا بالانتحار . لقد سمعت تفاصيل القصة قبل ذلك من صديقين صادقين عزيزين أولهما هو المرحوم الفريق عبدالمنعم رياض ، وثانيهما ، هو الفريق أول محمد فوزى .. لكن مساحة مافى قلبى كانت تريد أن تصل إلى طمأنينة أخيرة حاسمة .

كانت صلتى بعبدالحكيم عامر قديمة جدا ، ولم يقدر لها أن تضطرب إلا فى مدة وجودى فى سوريا فى أوج الوحدة ، أما قبل ذلك فقد كان الحب هو جوهر علاقتنا ، فقد كنت أراه دائما « رجلا ابن بلد » شهما وشجاعا ، ربما كان يصلح شيخ قبيلة أو عمدة ، لكنه حمل أكثر من طاقته ، وهذا هو سبب الكارثة .

كان عامر يفهم أنه يقوم بعمل سياسى فى الجيش ليكسب ولاء القوات المسلحة الى الثورة ، ولو كانت هذه مهمته الوحيدة ، لكان نجاحه فيها كاملا ، لكن سبب الكارثة أنه اكتفى بهذه المهمة وحاول تنفيذها بأفراد سيئين هم الذين نسجوا

بسوئهم خيوط مأساته ومأساة هزيمة يونيه بعد أن تم إهمال الجانب العسكرى تماما .

ومازلت أعتقد أنه لو كان إلى جوار عبد الحكيم عامر عسكرى منضبط أو محترف مثل الفريق أول محمد فوزى لما انتهى الأمر إلى ما انتهى إليه .

المهم اننى قرأت ملف عبد الحكيم عامر كلمة كلمة ، وحين انتهيت منه كان اقتناعى كاملا - ليس فقط بأنه انتحربل وأن الانتحار كان سبيله الوحيد بعد أن انغلقت أمامه كل السبل .

عندما فرغت من قراءة الملفين بدأت عملى بحماس شديد ، فقد تطهرت من تلك النظرة الخارجية التى كان تأثيرها - كما قلت - نافذا حتى أن عدواها أصابتنى .

كنت قبل أن أتسلم مسئولية المخابرات قد قرأت كتابا طبع وصدر فى بيروت يروى قصة هزيمة يونيه ١٩٦٧ اسمه « وتحطمت الطائرات عند الفجر » .. وقد أصابنى بانزعاج شديد .. ولذلك كان من بين قراراتى الأولى فى المخابرات تشكيل لجنة للتحقيق فى أصل هذا الكتاب .. وتشكلت اللجنة وقامت بجهد جهيد .. وكانت نتيجة تحقيقها الميدانى أن الكتاب هو من إنتاج المخابرات الاسرائيلية (الموساد) وأنه مجرد تلفيق ذكى قام به جهاز المخابرات الاسرائيلية ، فقد اعتمد الكتاب على بعض الحقائق الجزئية استخدمها كهيكل أولى له ثم كساها بالأكاذيب .

قال الكتاب - مثلا - أنه كانت هناك حفلة فى قاعدة أنشاص الجوية ليلة ٤ يونيه ١٩٦٧ ، وهى واقعة صحيحة ، لكنه بنى فوقها كذبا أن الطيارين ناموا سكارى أسفل الطائرات ، وأن الطائرات الاسرائيلية وجدتهم على هذا الحال عندما قصفت المطار مع أول ضوء فى صباح اليوم التالى وذلك تهريج كاذب .

لكن الهيكل الحقيقى المتعلق بوجود حفلة يحتمل بعد ذلك أن يكتسى بأكاذوبة الطيارين السكارى أسفل الطائرات .. وهكذا .. فالشائعة أو الأكاذوبة لا تصدق إلا إذا بنيت فوق جزء من الحقيقة ، ولقد تفتنت المخابرات الاسرائيلية فى اتباع هذا المنهج عندما أنتجت الكتاب المذكور .

ولهذا هالنى أخيرا أن يصدر كتاب مصرى عن هزيمة يونيه يحمل اسم كاتب مصرى ، ويضع الكتاب الذى أصدرته الموساد بمثابة مصدر رئيسى بل يكاد يكون وحيدا له ، فهذا عمل غير وطنى حتى وإن كان هدفه تصفية حسابات ثار مع نظام جمال عبدالناصر .

الأمر الذى ينطبق تماما على كتاب « اعتماد خورشيد » فقد نشر هذا الكتاب قبل عدة سنوات ونشر مسلسلا فى عدد من الصحف العربية فى شكل حلقات ، ولم يكن له أى صدى فى مكانه أو زمانه .. فعات دون تعقيب أو تعليق .. ثم فجأة نقع

الكتاب وأضيفت له بعض المشهيات الميلودرامية وأعيد إصداره بدعاية مكثفة ،
لماذا ؟

لست أتصور أنه من قبيل المصادفة البحتة أن يصدر الكتاب بدعايته على هذا
النحو في أعقاب التأثير الكبير الذي حققه مسلسل رافقت الهجان .. فقد نجح رافقت
الهجان لأنه أثبت للناس أن هناك أبطالاً مصريين مجهولين يقدمون تضحيات هائلة
من أجل وطنهم ، وأن هذا الوطن بأبطاله قادر على أن يحقق الانتصار .. وكان
المطلوب على وجه التحديد هو امتصاص هذا الاقتناع من الرأي العام أى تحطيم
البطل .

وأحب أن أقف قليلاً عند منطق السماح بمثل هذه الكتب بالطبع والتداول على
أساس أن حرية الاجتهاد وحرية الرأي مكفولة .. وأنا أحد الذين يؤمنون بضرورة
المحافظة بل وتوسيع حدود الاجتهاد وحرية الرأي .. لكننى أرى - رغم أنى قد
اتهم بالترتمت - أنه لا حرية رأى ولا حرية اجتهاد فيما يتعلق بالأمن القومى .

لقد صادرت مارجريت تاتشر رئيسة وزراء إنجلترا كتاب « صائد الجواسيس »
الذى يحكى وقائع بعض العمليات الخاصة للمخابرات الانجليزية .. ورغم أن
الكتاب أفلت من القرار الانجليزى وطبع فى استراليا ووزع مليون نسخة فإنها ظلت
مصرة على منع طبعه أو تداوله فى إنجلترا .. حدث ذلك فى لندن حيث الليبرالية
تعانى مما قد يراه البعض ترهلاً أو ابتذالاً وفى مجتمع له تقاليده الديمقراطية
العريقة ، وهو ليس موقفاً ديكتاتورياً .. لأنه من حق جهاز المخابرات الانجليزى -
حتى بعد عشرات السنين - أن يحافظ على دقائق أسرار عمله وعملياته .. ولا
تناقض بين ذلك وبين حرية الرأي أو حق الاجتهاد الذى كما قلت ينبغى أن يكون
مكفولاً فى كل شئ ، إلا فى صميم الأمن القومى .

إننى لست فى حل من الدخول فى تفاصيل عمل المخابرات العامة أو فى عملى
بها ، فذلك أمر لا أملكه فى أى وقت ، وينبغى ألا يملكه غيرى فى الحاضر أو
المستقبل ، ولكننى أريد أن أتوقف قليلاً عند بعض المسائل التى أعتقد أن
مناقشتها بوضوح قد تكون مفيدة فى كل حين .

لقد قلت فى البداية أننى تسلمت رئاسة المخابرات العامة ولا تزال تلاحقها
السمعة السيئة التى روج لها بعد عام ١٩٦٧ بل لعلنى أقررت بأن جانباً من هذه
السمعة تسال لى شخصياً ، حتى قلبت الأوراق وتأملت الوثائق .

ولا أحد يستطيع أن يعرف مدى ما أدته ، المخابرات العامة من دور وطنى
وقومى ، إلا أولئك الذين عاشوا فى قلبها ، ودفعوا من دمهم وراحتهم بل ومستقبل
أسرهم ثمناً باهظاً ليحفظوا لمصر أمنها ومستقبلها .

لقد ارتبطت عملية انشاء المخابرات العامة بالثورة ، ولقد كان ولا يزال من أهم
خطوط دفاعها ، ومع الأسف الشديد ، فإن معارك أخرى وجهوداً أخرى ونضالات

آخرين قابلة للتداول ، إلا معارك وجهود وتضالات أولئك الرجال الذين تفرض عليهم مقاديرهم ومقادير أوطانهم أن يعملوا في صمت وأن يرضوا على أنفسهم صمت القبور حين تنتهى أدوارهم ومهامهم .

لقد كان نجاح المخابرات العامة المصرية فى النهاية محصلة عرق ودم وتضحيات لا حصر لها ، ولست بذلك أدافع عن بعض الانحرافات التى تنسب خلال مرحلة إلى أفراد محددين فى المخابرات لكنه من قبيل الظلم الفادح ، بل ولا أبالغ إذا قلت أنه من قبيل المؤامرة أن تدمغ المخابرات كلها - كما حدث - بانحرافات شخصية محدودة وموقوتة .

لقد نوقشت أعمال صلاح نصر عندما كان على رأس الجهاز بما فى ذلك من تجاوز ، وقد نال بعد المحاكمة جزاءه سجنًا مؤبدًا ، ومن حق الكتاب أو الناس أن يهاجموه شخصيًا ، ولكن ليس من حق أحد أن يحول الهجوم على شخص صلاح نصر إلى هجوم على درع الأمن القومى .

أريد أن أضيف مع ذلك ، أن صلاح نصر - فى نظرى - هو أبو المخابرات العامة التى قامت تحت قيادته بأعمال بطولية لا يمكن انكارها .

إن المناخ الوطنى العام المحيط بأى جهاز مخابرات يؤثر على عمله ويمثل دافعا أو كابحا له ، وليس ثمة شك فى ذلك ، لأن أى جهاز مخابرات لا يؤدى فى النهاية وظيفة فنية ، ولكنه جهاز سياسى ، وإذا لم يكن سياسيا فإنه لا يدرك نجاحا ولا سيقا . وتلك ليست صفة خاصة بنا ، ولكنها تتعلق بكل أجهزة المخابرات فى العالم ، إن C . I . A المخابرات المركزية الأمريكية تدافع عن مصالح الولايات المتحدة فى العالم ، و B , G , K المخابرات السوفيتية تعمل على نفسه بالنسبة لنظامها وكلا العاملين هو عمل سياسى من الطراز الأول .

إن الدفاع عن أمن الوطن هو عمل سياسى فريد ، وإذا اقنعت المواطنين بأن مخابراتهم هى سياج حفظ أمنهم على المستوى الشخصى وأنها ملاذهم فى النهاية فسوف أضمن أكثر من ٥٠ مليون مواطن يقدمون خدماتهم بإخلاص .

كان ذلك أهم هاجس لى فى عملى ولهذا كان طموحى كبيرا فى أن أزيل الأسوار المتهمة لدى الجماهير والمخابرات ولقد أعلنت - فعلا - أن من مارس خطأ فى حق الأمن القومى عليه أن يتقدم الى المخابرات معترفا بخطئه وسوف نسامحه وطبقت ذلك بالفعل وكان له أثر كبير فى نجاح عملنا .

وإذا لم أكن فى حل من الدخول فى التفاصيل والوقائع فإننى أكتفى بالقول بأننى فخور بما تم من انجاز فى هذا الاطار .. لقد كان عملا مشرقا ومدعاة لفخر كل مصرى .

لقد مضى الزمن الذى كان فيه عمل المخابرات هو عمل سرى من الطراز الأول ، فقد تقلصت فى الدنيا كلها مساحة السرية ، وأصبح أكثر الأعمال نجاحا هو أكثرها علانية ، إضافة إلى أن أكثر الأعمال نجاحا هي تلك التى تنطلق من اجتهاد سياسى صحيح .. ولهذا فكرت فى بداية عملى ، فى انشاء مجموعة استشارية فيما يتعلق بالقضايا السياسية وكان فى مقدمة الأسماء التى رشحتها على قائمة هذه المجموعة أسمان محددان : محمد حسنين هيكل ، وأحمد بهاء الدين .

وإذا لم تكن هناك وسيلة لنجاح المخابرات دون تعاون الشعب معها ، فإنه أيضا ليس ثمة إمكان لنجاحها .. دون تعاون منظم بينها وبين الصفوة السياسية والفكرية فى البلاد .

أريد أن أؤكد بعد ذلك أن أهم المشكلات التى نعانى منها فى هذا الإطار ، على المستوى العملى ، تترتب على غياب وعى عام صحيح بقضايا الأمن القومى ، لقد بالغنا فى وضع كلمة السرية على كل شىء يمس اسم المخابرات وقد تعدى ذلك أحيانا هدف الحماية إلى الاضرار ، إن جهل الناس بأساليب عمل المخابرات قد يضعهم بحسن نية شديد فى مواقف تضر دون قصد بجوهر هذا الأمن بل وتقدم للآخرين فرصة ثمينة لاصطيادهم .

سأوضح ما أقصد بذكر بعض الأمثلة :

لقد كان أحد أعمال المخابرات المصرية الناجحة فى هذا التوقيت يتعلق باقتناص عميل لأحد أجهزة المخابرات الأجنبية بعد أن استمر يواصل عمله بنجاح شديد ولفترة طويلة .

كان العميل الذى يحمل اسم « لوتز » لا يقوم بأى عمل من أعمال المخابرات المعروفة بأعمال « الخنجر والعباءة » إنما كان دوره الوحيد أن يجمع معلومات من ثرثرة عليّة القوم المصريين فى حفلات الكوكتيل التى كان يقيمها ، وكانت المعلومات التى يحصل عليها عن هذا الطريق مفزعة ، ولم يكن ثمة تفسير لها إلا أن الذين يقومون بنقلها خلال السهرات المختلفة يمارسون شكلا من أشكال التعبير الذاتى عن أنهم عليمون ببواطن الأمور رغم توافر قدر كامل من حسن نواياهم .

أما العميل فكان مضيافا فكها ، لطيف المعشر ، يتستر وراء ما يطلق عليه فى أعمال المخابرات اسم « الواجهة » ، فقد كان يملك اصطبلا من الخيل وكانت خيوله تجرى فى السباق ، وكان هو نفسه يمارس الفروسية مع من يدعوهم من المولعين بها . وعلى ظهر الجياد كما فى حفلات المساء كانت القصص والمعلومات تتدفق على « لوتز » دون مشقة أو مجهود ولذلك لم يكن فى حوزة العميل عندما تم القبض عليه سوى بعض أدوات التخاطر .

أضرب مثلا آخر ...

إن بعض المعلومات التي تنشر في الصحف دون تدقيق يمكن أن تكون مصدرا حيويا جدا لحصول الخصوم على معلومات ثمينة ، لنفترض - مثلا - أن خبرا قد نشر في إحدى الصحف يتضمن أن إنتاج مصنع « خميرة البيرة » قد تضاعف في الفترة الأخيرة ، إن الخبر يبدو عاديا جدا للقارئ العادي بل قد يبدو أحد مظاهر زيادة الانتاج ، لكن إخضاعه لعمل المخابرات قد يعطى مؤشرا - مدامت « الخميرة البيرة » تستخدم في صناعة الخبز - إلى أن إنتاج الخبز بدوره في هذا الوقت قد تضاعف ، وهو ما قد يعنى ظروفًا جديدة ، أو مقدمة لإعلان حالة تعبئة ، أو استعداد للحرب .

وليس من الضروري أن يتم عمل المخابرات عن طريق عملاء واضحين ، لأنه في الغالب يتستروا وراء واجهة ليمارس أعمال المخابرات مثل مؤسسة ثقافية أو مؤسسة أنباء ، أو تجارة أو غيرها ، حيث يتوافر داخل هذه « الواجهة » ضباط مخابرات محترفون ، يمارسون عملهم من وراء ستار ، لتجنيد الأفراد والحصول على المعلومات عن طريقهم بوسائل مبتكرة وغير مباشرة .

إن نشر ثقافة عامة بالأمن القومي في الأوساط الجماهيرية أمر بالغ الأهمية . ومع الأسف الشديد فإن عددا من أبنائنا قد بدأ تورطه في أعمال ضد الأمن القومي المصري بعد أن تم استدراجه إلى مؤسسات وهيئات وجمعيات مختلفة ، كان بعضها يدعى العمل من أجل السلام ، حيث تم اكتشاف نقاط ضعفهم الإنساني من ضباط محترفين ثم جرى توريثهم في بعض الأعمال قبل مطالبتهم بدفع الثمن مباشرة من أمن الوطن .

ولم تعد أعمال المخابرات في أيامنا هذه مقصورة على الأنشطة الحربية والعسكرية ، وإنما دخلت إلى مركز القلب فيها : أعمال السياسة والاقتصاد وهذا ما يتطلب نشر رصيد متجدد من ثقافة الأمن القومي بمستوى جماهيري واسع .

لقد تحدثت عن ضرورة وجود تعاون منظم بين الصفوة السياسية والفكرية في البلاد وبين المخابرات العامة إضافة إلى أهمية خلق وعى صحيح بشأن الأمن القومي وسوف أتحدث في هذين السياقين عن تجربة عملية شغلت جانبا من اهتمامي عندما تسلمت مسئولية المخابرات .

خلال سفرياتي العديدة في الخارج تعرفت على كثير من شبابنا النابه الذي تحول إلى علماء يشار إليهم بالبنان في عدد من الدوريات العلمية الأجنبية ، وقدر لي أن أعرف أن ظروف هجرتهم لم تكن عادية ، إضافة إلى أن بعضهم حاول العودة في أعقاب الثورة للمشاركة في عملية البناء الجديد . لكن البيروقراطية قضت على كل أمل لهم في العودة .

في هذه المرة كان مستحيلا أن تطلب من أولئك الذين عاشوا سنوات طويلة

خارج الوطن ورتبوا أوضاعهم وظروفهم على هذا الأساس ، أن يخلفوا العوالم التي أقاموها وراء ظهورهم ويعودوا ، ولهذا تصورت أن البديل الصحيح هو خلق مساحة تعاون منظمة بين علمائنا في الداخل وعلمائنا المهاجرين في الخارج ، وكنت أحسب - ولا أزال - أن ذلك ضروريا لدفع التقدم العلمى والتكنولوجى فى بلادنا .

كانت العقبة الأولى لتحقيق ذلك ، أنه لا بد لعلماء الخارج أن ينظموا أنفسهم تمهيدا لبدء عمل جاد ، وكان همى الأول أن أشجع بعضهم على القدوم الى مصر ، فى الوقت الذى كان القدوم فيه يشكل بالنسبة لهم مخاطرة حقيقية ، بحكم رصيد متراكم من المشكلات بينهم وبين الجهات الرسمية تبدأ من التجنيد وتنتهى بتسديد نفقات البعثات ، فضلا عن مشكلات إدارية أخرى تبدو مستعصية .

بدأت اتصالات مع كثير من الأصدقاء أشرح لهم التصور وأطلب معونتهم ، وكان فى مقدمتهم العالم الجليل الدكتور أحمد مصطفى وزير البحث العلمى أن ذاك والدكتور صلاح هدايت مستشار الرئيس للشئون العلمية والدكتور عبدالوهاب البرلسى وزير التعليم العالى والدكتور محبى الدين الخرادلى مدير معهد البحوث الطبية بالاسكندرية كذلك الدكتور محمد دكرورى والدكتور محمود محفوظ .

كنت أعتبرها بمثابة معركة ضد حرب سرقة عقولنا ، فاتصلت اجتماعاتنا ، وكان انشط الجميع د . محبى الدين الخرادلى الذى سافر إلى الخارج وناقش الموضوع مع بعض علمائنا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتحمس علماء الخارج للفكرة ، ولكن وقفت نقطة ضمان عودتهم إلى أعمالهم فى الخارج إذا ما قاموا بزيارة القاهرة عقبه فى التنفيذ ، واقتрحت أن يرسل العلماء فى الخارج عددا محدودا منهم كرأس حربة فدائية على أن أتعهد باستقبالهم فى مطار القاهرة وأن أضمن توديعهم عند السفر حتى باب الطائرة ، ولهم أن يجربوا ذلك ليطمئنوا أو تثبت لهم عدم صلاحية المشروع .

وبعد تردد طويل حضر بالفعل عدد من هؤلاء العلماء حيث عرضوا مشكلاتهم وناقشوا مع زملائهم فى الأوساط العلمية إمكانات التعاون المشترك ، وتكونت نواة صغيرة بدأت فى الاتساع ، وحين انتهى دورى انقطعت صلتى بالموضوع ولم أستطع أن أعرف مدى التقدم الذى تمكن من احرازه ، حتى قدر لى بعد عامين وأنا مازال فى السجن أن أعرف خبرا عن تشكيل جمعية أصدقاء العلميين فى الخارج .

لكننى لا أعرف بعد كل هذه السنوات الطوال إلى أين وصل نشاط الجمعية ، وهل استطاعت أن تحقق ما عقد عليها من آمال ، أم أن سكين البيروقراطية - كالعادة - ذبح الدجاجة قبل أن تبيض ؟؟؟ !!

انعكاسات هزيمة يونيو على المخابرات العامة

لقد سبق لى أن قلت أنتى رفضت العمل فى سلك المخابرات أكثر من مرة قبل ذلك . لأسباب تتعلق بالقصص المتداولة عن عمل المخابرات على جانب ، ولأسباب تتعلق بتكوينى الشخصى ، وهو تكوين يؤثر العمل العلنى العام فى صفوف الناس على جانب آخر .

لكن اهتمامى بعمل المخابرات - مع ذلك - كان قديما وقد فرض على بحكم عملى المبكر كملحق عسكرى فى باكستان ثم أسبانيا والمغرب .

وعمل الملحق العسكرى بشكل عام ليس بعيدا عن أعمال المخابرات ، لكننى حين ذهبت ملحقا عسكريا إلى أسبانيا عام ١٩٦١ لم تكن لدى أية دراية عن هذه الأعمال ، ولم يتم تأهيلى لها ، وهكذا أخذت أبذل جهدا متصلا فى تعليم نفسى ، فانكبت على جمع وقراءة جميع الكتب التى صدرت عن أعمال المخابرات فى العالم ، وجميع المذكرات التى نشرت لرؤسائها السابقين ، كذلك قصص مشاهير الجواسيس ساعدنى على ذلك إجادتى للفتن الانجليزية والفرنسية ، ولما كانت أسبانيا عامرة بالكثير من ضباط المخابرات الألمانية السابقين ، فقد سعت إلى لقائهم والتعرف عليهم ، وسماع تجاربهم .

وهكذا تعلمت الكثير بالفعل ، واكتشفت أن عمل المخابرات ليس « فهلوة » وإنما هو علم وفن فى وقت واحد .

كان رصيدى من الأسنى متجددا ، فلم يستثمرنى أحد فى موقعى ، بل ربما لم يقرأ أحد فى القاهرة تقاريرى أو تقارير غيرى ، كما كانت الأخبار التى تصل إلينا بشكل رسمى تسمى «تأخرة» ، وتضعنا وسط بقية الملحقين والدبلوماسيين فى مواقف حرجة .

ولقد تولد لدى دائما احساس بأن معلوماتنا ناقصة ، وأن جزءا كبيرا من أسباب إخفاقاتنا ونجاحات خصومنا إنما ترجع إلى عدم توافر قاعدة معلومات صحيحة وشاملة تعين على اتخاذنا للقرارات ، فى حين نجح خصومنا فى أن يوفرنا لأنفسهم هذه القاعدة دائما .

كنت أفكر فى ذلك كله خلال الساعات القليلة بين ابلاغى بقرار تعيينى رئيسا للمخابرات العامة ، وذهابى فى اليوم التالى مباشرة لتسلم هذه المسئولية .

قبل أن أذهب الى مكتبى لأول مرة مررت بمكتب سامى شرف لأفهم بوضوح أكثر ما نقل إلى تليفونيا فى الاسكندرية ، ولم أكن أحب بصراحة ووضوح ومن واقع تجربة عملى سابقا فى رئاسة الجمهورية أن أعمل قريبا من سامى شرف ، ولهذا كان قلقى مضاعفا منذ البداية ، حين طلب منى قبل أن أتوجه مباشرة لتسلم المخابرات العامة ، أن أغير مدير مكتب رئيس المخابرات مرشحا لى أحد الأفراد ليقوم بهذه المهمة ولقد جفلت عندما سمعت أسم مرشحى ، فقد كنت أعلم عنه الكثير قبل ذلك .. ورغم أننى وجدته قد سبقنى إلى مكتب سامى شرف فى هذا اليوم إلا أننى اتخذت قرارا بأننى لن أفعل إلا ما أراه صالحا ولن أغير مدير مكتب رئيس المخابرات السابق دون مبرر موضوعى .

ولذلك يلزم أن أقول كلمة إنصاف عن مدير مكتبى الذى تمسكت ببقائه معى دون معرفة مسبقه ، فقد تيقنت من خلال الممارسة ، أنه شاب مؤمن مخلص لعمله ووطنه . وقد مارس دوره معى بأمانة وشرف وصدق . وتلك صفات حين تجتمع فى فرد يعمل مديرا لمكتب منصب من أخطر المناصب ، لابد من أن تعد مكسبا للوطن نفسه قبل صاحب المنصب .

كان لابد أن أضع خطوطا عريضة لما يمكن أن يشكل سياسة عملى فى موقعى الجديد وخلال يومين كنت قد بلورت هذه الخطوط العريضة فى نقاط عامة :

١ - أننى أول رئيس للمخابرات يعين بعد فترة ممارسة طويلة فى المجالين السياسى والتنفيذى فقد عملت محافظا لثلاث محافظات وعضوا بالأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى وأميننا عاما للشباب ، وعضوا بأمانة التنظيم الطليعى .

وذلك يوفر لى زاد خبرة عامة ينبغى استثماره فى اتجاهين :

- الأول هو تسييس المخابرات أى أن تتفهم هى نفسها والآخرى أن عمل المخابرات هو عمل سياسى بالدرجة الأولى هدفه فى النهاية الدفاع عن مصالح الدولة العليا ، وسياستها العامة .

- الثانى تطوير عمل المخابرات على أساس علمى ، مع العمل على توطيد صلة الصداقة بينها وبين مختلف أجهزة الدولة ، وقد استثمرت رصيد معارفى الكثيرين الذين أثق فى تأجج روحهم الوطنية لتحقيق ذلك .

٢ - أن الهدف الاستراتيجى الأول فى هذه المرحلة ، يمكن أن يحدد فى تأمين مصر ضد أنشطة المخابرات المختلفة وخاصة العدو .

٣ - إن إحدى المسئوليات الأولى التى يجب العمل من أجلها بسرعة ، نشر

الوعى بالأمن على المستوى العام ، حيث يكاد مفهوم الأمن القومى - بمعناه الصحيح أن يكون غائبا عن الجماهير .

فقد اكتشفت أن غياب وعى صحيح وعام بالأمن كاد أن يكون الثغرة التى تلقينا منها أغلب الطعنات فى أمننا القومى .

لكى تتوافر فرص حقيقية للنجاح ، لابد من كسب ثقة الجماهير والعمل على تغيير تلك النظرة التى سادت العلاقة بين المخابرات والشعب ، وهى علاقة ساهمت فى صنعها تجاوزات أفراد ولكنها صنعت هوة نفسية وإنسانية بين الاثنين .

كان يخامرنى منذ اللحظة الأولى إحساس عميق بأننى أحارب معركة الأخرى ، وأن دورى هذه المرة هو خاتمة رحلة طويلة لم يتوقف خلالها إحساسى بأننى فى صراع مع الزمن وأن الزمن لم يمهلىنى فرصة اكتمال عمل واحد ، فقد عملت محافظا لأسبوع ٢٢ شهرا وللأسبوعية ٢٤ شهرا ، وأميناً للشباب ١٩ شهرا ومع الأسف فلم تكن أيا منها كافية لتحقيق ما أريد .

فى اليوم الأول جاء رؤساء الوحدات لمقابلتى للتهنئة ، ولم أكن أعرف أحدا منهم - باستثناء السيد مصطفى كمال لطفى - رئيس وحدة الأمن القومى ، وبعد انتهاء المقابلة طلب مدير مكتبى تحديد جدول مواعيد لكى يتسنى لمندوبين عن الوحدات المختلفة الحضور للتعارف والتهنئة ، ولكننى أبلغته بأننى سأعرف بنفسى موقعا موقعا وشخصا شخصا ، وقد استغرق ذلك منى ثلاثة أيام متصلة ، وقد قابل البعض ذلك باستحسان ، أما البعض الآخر فاعتبره نوعا من المظهرية المتعمدة .

طلبت من الوحدات أن توافينى بتقارير سريعة ومكثفة عن طريقة عمل كل وحدة ، وكان أول ما قرأت بعد ذلك هو قانون المخابرات ، لكننى حين فرغت منه ، أحسست أكثر بثقل المسؤولية ووطأتها على الضمير ، إن أعمال المخابرات تتطلب سرعة فائقة وسرية كاملة ولذلك فإن جميع أجهزة المخابرات فى العالم تعمل فى إطار قانون خاص بها وتضع نظمها بنفسها دون معقب ، ولذلك لم أجد ما أفعله سوى أن أسأل الله أن يلهمنى الصواب وأن يقينى الزلل - وما أيسره أن عميت القلوب .

كان كثيرون قد توافدوا على زيارتى فى منزلى بمجرد أن علموا بعملى الجديد وحتى قبل أن أتسلمه ، وقد عرضوا جميعا خدماتهم إما بتقديم ما لديهم من معارف أو نصائح ، ولا شك فى أن منهم من كان صادق النية توجهه مصالح الوطن ، ولكننى لم أستحسن هذا العمل ، لأننى أحد الذين يحبون أن يحكموا بأنفسهم - بعد أن يروا ببصيرتهم لا بعيون غيرهم .

أما أكثر ما أزعجنى فهو زيارة أحد المسؤولين - وكنت اعتبره زميلا وصديقا -

طالباً أن ينقل من المخابرات لسبب لم يخفه وهو أنه أقدم منى فى الجيش وكان طلباً غريباً ، لأننى أفهم أن منصب رئيس المخابرات وهو منصب سياسى ، وينبغى ألا يخضع لسلم الأقدميات التقليدى ، وكنت أفضل أن يؤجل مكاشفتى بفهمه ومطلبه حتى أتسلم عملى ، ولم أجد بديلاً من أن أطلب منه أن يتنازل عن طلبه بعض الوقت وبعدها سأنبر أمر نقله .

كانت محصلة لقاءات الأيام الثلاثة مع جميع الأفراد قد أعطتني انطباعات عميقة بأن هزيمة يونيه ١٩٦٧ قد تركت بصماتها بشكل واضح عليه ، وأنه لم يكن قد تخلص من آثارها بعد ، ذلك أننى أؤمن أن الفرد هو أساس أى عمل فى النهاية ، ومهما كان التقدير صحيحاً والتخطيط دقيقاً .

لقد كان أخطر انعكاسات هزيمة يونيه عدم وجود خطة استراتيجية وخطط تكتيكية ، فالأولى تحتاج إلى تعاون جميع أجهزة الدولة ولم يكن هناك تنظيم تعاون ، علمى مع الأجهزة الأمنية المختلفة (مثل المباحث العامة والمخابرات العسكرية والبحوث والأمن الخارجية) وإنما كان التعاون يتم طبقاً للأحداث .. أما الثانية فتحتاج إلى خطة موحدة لوحدات المخابرات حتى يتم تحقيق الهدف ، وكانت كل وحدة تعمل بمفردها ، فضلاً عن تنافسها مع بقية الوحدات .

وكان من بين هذه الانعكاسات أيضاً - تخلخل واضح بين المخابرات والأفراد للذين تركوا خدمتها بعد أن قدموا تضحيات كبيرة ، والذين تركوا لمقاديرهم تفعل بهم ما تشاء .

لقد عانى الجهاز - من بعض السلبيات أيضاً - عبر مراحل سابقة ومن ظاهرة أن كل قيادة جديدة له تأتى من الخارج ومعها طاقمها المساعد ، أما بالنسبة لى فقد ذهبت منفرداً كعادتى فى كل موقع تم اختيارى له .

وقد تكرر معى هذه المرة ما تكرر معى فى كل موقع سابق ذهبت إليه ، فلم أجد ورقة واحدة تركتها القيادة السابقة خاصة بحصر المشكلات أو العقبات أو التحديات حتى أبدأ من حيث انتهى من سبقنى .

ولم تكن لقاءاتى مع الأفراد العاملين فى المخابرات فقط ، بل سعت مخلصاً وصادقاً أمد يد الصداقة إلى أولئك الذين أفنوا زهرة عمرهم فى خدمتها ، وقد راعنى أن بعضهم قد أبعد لمجرد أنه عارض خطأ أو أصر على كلمة حق .

وقد يدهش البعض حين أقول أننى لم أقرأ كل ما كتبته وسائل الإعلام عن المحاكمات التى تمت عام ١٩٦٧ لبعض أفراد المخابرات ، حيث أحسست أن هذه المحاكمات لا تدين أفراداً بل تدين نظاماً كاملاً وأنتا مهما حاكمنا من أفراد فإن ذلك لن يكون تغطية على الحقيقة .

ثم أن أغرب ما كنت أتصوره أن تحاكم المخابرات ، أنها سابقة لم تحدث فى أية

دولة فى العالم ، فدائما ما تحافظ الدول على أسرار مخابراتها ويكون حسابها دائما بعيدا عن العلنية .

أن أجهزة المخابرات فى جميع أنحاء العالم تتبع أساليب خاصة فى الحصول على بعض المعلومات ، ولكسر مقاومة الأفراد الذين يمكن أن يكونوا مصادر لمعلومات على درجة كبيرة من الأهمية - ضعفا أو خلافا فى تكوين هذه الشخصيات أو المصادر - وهذا عمل تعتبره جميع أجهزة المخابرات فى العالم مشروعا ، ولكن السؤال مع من تتبع هذه الأساليب ، أنها دائما ما تتبع مع أفراد أجانب لا ينتمون الى الوطن ، واختراقهم عن طريق نقاط ضعفهم تتم - طبقا لمصلحة الوطن ..

اكتملت الصورة أمامى حين بدأت أطلع على بعض الملفات والتقارير وحيث وجدت أن ثثرة بعض المسؤولين تكشف الكثير من أسرار الدولة .

كنت أبحث عن يقين عن حل

يجب أن أتوقف لأقول كلمة إنصاف للتاريخ ، هل كان كل ما قامت به المخابرات من وحى تصرفها ، أقول عن يقين : لا . لأن كثيرا من المواقف كانت أكبر منها .. ولذا فإنها قبلت بما أمرت به ، ونفذت ما تلقته من تعليمات ..

وقد لمست راحة عميقة لما اتخذته من قرارات فقد كان جميع الأفراد عن احتكاك مباشر بهم - من ذوى الخلق والضمير ، وهذا من مفاخر المخابرات التى لا يحس بها الآخرون فى خارجها .

محاولة لبناء استراتيجية جديدة للمخابرات

لقد حدد « مايلز كوبلاند » فى كتابه « لعبة الأمم » دور جهاز المخابرات - أى جهاز - فى أنه دور رادع أى أنه جهاز ردع ، ولم أكن فى أى وقت منسجما أو متفقاً مع هذا الفهم ، فالاعتماد على الردع كقاعدة عمل فى الداخل قد ينجح لفترة ، ولكنه لا يصلح فى كل الفترات ، كما أن مهمته الوحيدة تكون حماية نظام الحكم ، ولم يكن ذلك هو الدور الوحيد للجهاز ، فمعنى التهديد الأمنى أوسع مدى بكثير من أن يكون مجرد تأمر للناس على نظام قائم مهما كان وطنيا وثوريا ، والمخابرات فى تقديرى هى جهاز مقاتل على مستوى عال ، مهمته حماية أمن الوطن فى الخارج وفى الداخل أيضا ، وحماية الأمن فى الداخل لا يمكن أن تتم بالردع ، وإنما بالفكر العميق ، ذلك أنه جزء من حرب الدماء كما يسمونها بحق .

أما على مستوى الخارج فالسؤال دائما : ما دوائر هذا الدور ، وما طبيعته ؟ ، أظننى أيضا - لم أكن أتفق مع هذا الفهم الذى أورده ديفيد وايز وتوماس روس فى كتاب « الحكومة الخفية » عن دور المخابرات المركزية الأمريكية فى الإطاحة بالأنظمة المعارضة لسياسة الولايات المتحدة هنا أو هناك أو مساعدة أنظمة عميلة على القفز إلى السلطة . وقد يكون من الطبيعى أن يخطط جهاز المخابرات الأمريكية لدوره بمنهج هذا التفكير الإمبراطورى ، أما بالنسبة لنا فلم يكن ينبغى أن يدور تفكيرنا وفق هذا المنهج ، وحتى إذا كنا قد فكرنا فى ذلك لفترة فإنه فى التجربة كان توريطا لنا أكثر منه تورطا ، ولذلك كان السؤال الكبير الذى يبحث فى داخلى عن إجابة هو : ما استراتيجية الجهاز ؟ وما دوره فى ضوء هذه الاستراتيجية ؟

من المؤكد أننا نعيش وسط دوائر ثلاث ، هى الدائرة العربية ، والدائرة الأفريقية والدائرة الإسلامية ، وأن مصالحنا الاستراتيجية تتركز فيها . ومن الطبيعى إذن أن تشكل هذه الدوائر مجال الحركة أمامنا بكل مستوى ، ولكن هل يمكن للمخابرات أن تصل فى عملها إلى هذا المدى بمفردها ، إن الإجابة المؤكدة : لا بالطبع :

فدون عمق جماهيرى يسند عملها ويساعدها ، لا يمكن لها أن تحقق قدرا من السبق والنجاح ، كانت المهمة صعبة ، وأضيف أنه كان يزيد من تعقيدها أننا

نعيش أزمة مركبة : أزمة وطنية ، وأزمة فكرية ، وأزمة سياسية .

فكر سياسى صحيح لا يستند إلى أدوات تنفيذية مؤمنة وقادرة .. أطر سياسية عاجزة عن تعبئة الناس سوى بوسائل البيروقراطية .. خليط من الرأسمالية والاشتراكية دون حسيب .. حالة لا سلم ولا حرب .. ثم أزمة لا احتلال ولا استقلال .. كيف يمكن للمخابرات أن تحقق واجبها فى خلال هذه التناقضات المركبة ؟ ؟

كنت كلما تعمقت فى التفكير وجدت أن الأمر يحتاج إلى جهد شاق ، وكنت أومن أن السبيل الوحيد - رغم ذلك كله - هو التخطيط العلمى بعيدا عن رد الفعل أو الانفعال ، لكننى كنت على يقين من أن نقطة البداية لا يمكن أن تكون صحيحة إذا لم يكن هدفها الأول هو تغيير وجه المخابرات الذى أصبح قبيحا فى عيون المواطنين ، بل كان شك الناس فيمن يتصل بالمخابرات يكاد أن يدمر نسيج علاقاته وأصدقائه وأقاربه ، وقد عانيت أنا نفسى من ذلك ، يوم عينت فى رئاسة الجمهورية مع سامى شرف فى مكتب الرئيس للمعلومات فقد اكتشفت أن أقرب أصدقائى أصبحوا أكثر تحفظا معى وعندما ذهبت بعد ذلك للعمل كمحافظ ظلت تلاحقنى صفة أنتى أنتى إلى المخابرات .

أما عندما عينت رئيسا للمخابرات ، فكانت الصدمة أقوى ، فقد تخوف منى حتى الأصدقاء المقربين ، وأحسست فى لحظات أنتى أصبحت وحيدا ومعزولا بمنصبى ، ولذلك زاد تصميمى على أن يكون للمخابرات وجهها الحقيقى المشرق المضىء فى عيون المواطنين . لقد رفض أصدقائى فى مواقع المسئولية وبينهم عدد من المسئولين أن يحضروا لمقابلتى فى مكتبى ، واضطرت إلى أن أخصص يوما كل أسبوع ألتقى بهم فيه فى بيتى ، رغم محاولتى دفع الثقة فى نفوسهم بأنه لا فرق فى الحاليتين ، أما بالنسبة للوزراء فقد فضلوا أن يحضروا إلى مكتبى كزائرين ، لا أن أذهب إلى مكاتبهم حتى لا تلاحقهم شائعة اتصالات بالمخابرات ، وكان فى ذلك عيبا أو عورة .

كان المهم أن يتم التعاون واللقاء بين أجهزة الدولة المختلفة ، والمخابرات ولذلك وافقت على أية صيغة للقاء والتعاون تزيل القلق عن أى شخص أو مسئول .

لقد كان لى داخل مجلس الوزراء عدد من الأصدقاء وكانوا يصارحوننى القول بما يحدث فى اجتماعاته ، وكانت كل المؤشرات تؤكد منذ البداية أن هناك صراعات تزداد حدة داخل مجلس الوزراء وتكاد تهدد وحدة عمله بل واستمراره .

كان رئيس الوزراء د . محمود فوزى يغالب العواصف وسط هذا الخصم ، فقد كان يقود سفينة على متنها أكثر من ريان بينما كانت الحرب ضده شديدة ومعلنة من أكثر من محور .

كانت البلاد فى أزمة طاحنة ، فإسرائيل تحتل جزءا من أراضيها ، بينما كان ما

يشغل بال المجتمعين في المجلس يدور حول تنشيط السياحة ، ورفع مستوى عمال التراحيل وتسميتهم بالعمال الموسمين .

ولاشك في أنه من سوء حظ . محمود فوزي أن يتبوا موقع رئاسة الوزراء في أعقاب جمال عبدالناصر وفي وجود الوزراء أنفسهم الذين كان يرأسهم وفيما يبدو فإن الفارق الكبير بين الشخصين والشخصيتين قد ساعد على خلق حالة من القوضى وعدم الاقتناع ، أو الانسجام بين الوزراء وبعضهم .

لم يمر على وجودي في المخابرات سوى أسبوعين ، حين دعيت إلى اجتماع عاجل في مكتب سامي شرف ، وحين ذهبت وجدت أن المدعوين إلى الاجتماع إضافة إلى هم شعراوي جمعه وحسن طلعت - رئيس مباحث أمن الدولة - والعقيد عبدالغنى سلامة رئيس قسم الأمن في مخابرات القوات المسلحة وسامي شرف طبيعا .

وبدا الاجتماع بتقرير أنه قد وردت إليهم معلومات مؤكدة تفيد أن الإخوان المسلمين يتأهبون للقيام بعمل مضاد ، وأن المستهدف بهذا العمل المضاد شعراوي جمعه وسامي شرف لأن الإخوان يقولون أنه ليس بينهم وبين الرئيس السادات عداوة وأن تأثرهم مع عبدالناصر قد انتقل إلى سامي وشعراوي ، وأكد الاثنان أن المعلومات مؤكدة من بعض المصادر في بيروت وأن حسن التهامي قد أصبح درويشا ويقول عن نفسه أنه ينفذ تعاليم الأولياء لأنه الخليفة المنتظر .

استمعت إلى التقرير مدهوشا ولم أعلق ، وكان القرار النهائي أن علينا جميعا كأجهزة أمن أن نراقب الحالة وأن نضع تحت الرقابة الكثير من الضباط السابقين الذين قد يتوقع أن يستغلهم الإخوان .

وانتهى الاجتماع وبقيت إلى النهاية مع سامي كما بقي العقيد عبدالغنى لفترة ، وتناول الحديث موضوع أحمد نوح وأمير الناظر ، كان الأول - كما قال سامي في تلك الليلة - قد تقرر تعيينه وزيرا أو نائبا وزير لشئون الطيران المدني والأرجم أنه سيكون وزير دولة للطيران وتعيين أمين الناظر سكرتيرا عاما لوزارة الحربية ، وفوجئت بأن العقيد عبدالغنى - الذي لم أره قبل هذا الاجتماع - يقول لسامي شرف بشجاعة نادرة .. إن هذا التعيين سوف يكون صدمة للقوات المسلحة وأنه سيتم ضد رغبة الجيش لأن تصرفات الاثنين معروفة ولا ترضى الضباط وأنه يجب على النظام أن يتوقف عن استخدام سياسة « ركلة إلى أعلى أو شلوت ل فوق » التي تؤذى أكثر مما تنفع ، وبعد أن انصرف العقيد سلامة قلت لسامي شرف : إن مقال الرجل ينبغي أن يوضع في الاعتبار لأن أسلوب العمل بعد عبدالناصر ينبغي أن يتغير بأن نجذب الناس بوضع الأكفاء في المناصب التي تحتاج إلى الكفاءة ، لكن سامي شرف عقب قائلا : إن قرار تعيين أحمد نوح وزير دولة لشئون الطيران المدني قد قام الرئيس بتوقيعه بالفعل .

خرجت من الاجتماع وفي حوزتي أسماء أعداد من الضباط ، يراد وضعهم تحت

الرقابة ، وكانت كلها أسماء ضباط أعرفهم وأعرف عن يقين أنه ليس لهم أى نشاط يستوجب مثل هذا الاجراء وكان فى مقدمة هذه الأسماء أسمان محددان هما : أمين هويدى رئيس المخابرات العامة السابق ، وحسن التهامى ، ولقد ترك هذا الاجتماع فى نفسى أثرا سيئا للغاية ، فهل أصبحت مسئولية أجهزة الأمن وسط الظروف الدقيقة التى نمر بها أن تشغل نفسها بحماية أمن شعراوى جمعه وسامى شرف ، وهل ما يقولونه هو الحقيقة فعلا أم أنهم يدبرون شيئا غير منظور ، ثم ما علاقة أمين هويدى وحسن التهامى بما يتحدثون عنه ، غير أنتى ذهبت ونفذت بالفعل ما تم الاتفاق عليه فى الاجتماع .

قبل أن أغادر الاجتماع رن جرس التليفون قريبا من سامى شرف برنين خاص وتمهل سامى قليلا ثم رد كان الحديث فيه شىء من الرسمية ، ولكنه لم يكن يخلو من تسريب ، وعلمت أن المتحدث هو الرئيس أنور السادات ، وحين استعدت مواقف سابقة كنت أسمع فيها سامى شرف وهو يرد على تليفونات عبدالناصر هالنى الفرق ، فقد كان صوته لا يزيد على الهمس وكان يبدأ بأن يشير لجميع من فى غرفته بالتزام الصمت ، ولم يكن يترك الرنين يتصل للحظة ولم يكن يضع سماعة التليفون قبل أن يخلق عبدالناصر الخط .

أصابنى هذا المشهد التليفونى بالقلق فلم يكن مستقيما ولا طبيعيا كما كان ينبىء بتصدع وصراع .

عدت إلى مكتبى وكلفت وحدة الأمن القومى بتقصى الموضوع الذى طرحه شعراوى جمعه وسامى شرف من منبعه الذى قيل عنه ولم يكن عند المنبع شىء يؤكد صدق الرواية .

كنت قد بلورت بعد فترة من القراءة والمتابعة والدراسة المتأنية أو اللقاءات المباشرة داخل الجهاز وخارجه خطوطا رئيسية لخطتى فى العمل .

كان من المهم فى تقديرى أن أبدا ببعض الاجراءات الداخلية ، لحل بعض المشكلات التى تراكمت واستعادة ثقة الأفراد والقيادات على أن تكون الأولوية للمشكلات البسيطة الحل ، وعلى أن يكون الحل فى الوقت نفسه طويلا الأجل ويقوم على قاعدة واضحة من التخطيط العلمى .

وقد تم فعلا - فى هذا الإطار - وضع تنظيم جديد للعمل بأوقات جديدة تسمح للأفراد بأوقات فراغ أكثر لرعاية أسرهم ، ومن المهم أن أضيف أن البعض كان يخشى من هبوط مستوى العمل نتيجة لذلك ، ولكن المتابعة المستمرة ومن خلال الاحصاء العملى أثبتت أن الأداء العام قد تحسن كما وكيفا ، وأنه قد قل بشكل واضح التقدم إلى العيادة الطبية ، ومعدل صرف الأدوية .

ثم تتابعت مجموعة من الخطط المتزامنة ، خطة كاملة لرفع مستوى اللياقة البدنية والمهارات المختلفة ، خطة كاملة بدورات تدريبية على اللغات مع تفرغ

كامل لها ، خطة كاملة للرعاية الطبية الشاملة ، خطة كاملة للتدريب الثقافى تتداخل فيها جميع عناصر الفنون المختلفة إضافة إلى الرحلات التى أصبحت أسبوعية ، وتتم بشكل أسرى ، كان له أبلغ الأثر على الروابط العائلية والأسرية والشخصية ، خطة كاملة للتدريب السياسى والثقافة العامة ، خطة أخرى لتحريك بعض المشروعات التعاونية التى كان قد بدىء فيها ثم أوقفت .

وبدا إحساس الأفراد بالراحة والانتماء الإنسانى ، ينعش العمل ويحسن الأداء ويخلق طاقة تحمس جديدة له .

على طريق وضع تخطيط شامل للعمل قمت بالخطوات التالية :

١ - التقيت بكبار المسئولين فى أجهزة الأمن الأخرى ووضعتنا مبدئيا خطوطا رئيسية ، لتنظيم تعاون ، وقد تحقق فى هذا المجال بعض التقدم ولا مجال للدخول فى تفاصيله لأنها تمس سلامة العمل .

٢ - شكلت لجنة اختصت بمراجعة شاملة لجميع المواقف السابقة والدروس المستفادة منها ، وقد اتسعت هذه اللجنة لجميع الخبرات الخاصة السابقة من المخابرات ، كما ضمت آخرين من رجال الدولة .

٣ - التقيت بجميع الأفراد القياديين الذين غادروا المخابرات وكرمتهم وطلبت منهم أن يكونوا معى بأفكارهم وأرائهم على أن أكون معهم بكل ما أملكه من إمكانيات ، وقد شك كثيرون فى أن يكون ذلك قد تم بناء على توجيه ولكنه تم بمبادرة شخصية إذ أننى لم أتصور أن يعطى هؤلاء الرجال أخصب سنى عمرهم وأعز خبراتهم للمخابرات ثم لا تكون المخابرات بعد ذلك فى خدمتهم بعد أن تنتهى الأدوار والمهام .

٤ - تعاونت مع الكثير من الأصدقاء ووضعت مخططات للتعاون فى جميع المجالات سواء فى الداخل أو فى الخارج ، ولقد كنت أحس فى الواقع بامتتان كبير لكل من توجهت إليه طالبا المعونة فلم يتردد ولم ييخل ، وإن كنت قد فوجئت بدهشة الكثيرين من أن الجهاز تقبل وأقبل على هذا الانفتاح .

٥ - انتهى ذلك كله إلى وضع خطة شاملة للمخابرات ، ومن المؤكد أنه ليس بمقدورى أو مقدور غيرى أن يدخل فى التفاصيل ولكننى أكتفى بالتأكيد على أن هذه الخطة قد نجحت نجاحا كبيرا .

لقد تحدثت قبل ذلك عن طلب لقائى مقابلة للرئيس السادات التى لم أ حظ بها والتى كان هدفها استطلاع وجهة نظره لتحديد الخط الاستراتيجى لعمل المخابرات ، كان لدى الكثير من الآراء التى شكلتها وكوتبتها وكنت مؤمنا بالتخطيط العلمى وبأن دورنا لا يمكن أن يكون مجرد سلسلة من ردود الأفعال فى مواجهة سلسلة من أفعال الخصوم .

من المهم أن أؤكد أن عمل المخابرات صعب للغاية وأنه يحتاج إلى جهد طويل لأنه يتطلب بناء مصادر أخبار في دوائر واسعة ، ولا يمكن للمخابرات مهما كانت إمكاناتها أو قدراتها أن تعمل من بعد ، كما أنه ليس صحيحا أن الصورة الوحيدة للوجود عن قرب هو التجسس أنه فقط إحدى هذه الصور ، كما أنه ليس في أي مكان يجب أن يتوافر جواسيس ، أريد أن أؤكد أيضا أن تجميع المعلومات من مصادر علنية بما فيها وسائل الاعلام ذاتها ، والأصدقاء العاديون والاعتماد على العلاقات الخاصة وبناء العلاقات الشخصية ، إضافة إلى أن ترتيب المعلومات ومعايشة الأماكن والمناخات الخاصة بها تساعد كثيرا على تكوين ملامح الصورة الذي قد يأتي التجسس في النهاية ليزيدها وضوحا وعمقا .

وفيما يتعلق بعملنا - أيضا - في هذا التوقيت ، فقد كنت أرى مفارقة في أن أغلب القرارات التي تصدر عن الدولة تكون المخابرات هي آخر من يعلم بها ولم أكن أعتقد أن هذا هو الطريق الأمثل ، ذلك أنني أتصور أن إحدى المهام الأساسية للمخابرات هي مساعدة مركز اتخاذ القرار في تحديد طبيعة واتجاه وتوقيت اتخاذ القرار وذلك جزء من طبيعة الدور والمهمة التي تقتضي متابعة الأحداث ، وبناء سيناريوهات التوقع أو ردود الأفعال ، واقتراح القرار المناسب لكل توقع أو رد فعل ، ذلك فيما أحسب يوفر على مركز اتخاذ القرار وقتا وجهدا في ترتيب الأولويات والتوقعات والاحتمالات ، ولا يضيع الجهد والوقت في التركيز على مشكلة واحدة ، كما أنه يساعد في انتخاب القرار المناسب من بين مجموعة كاملة من القرارات أو الاقتراحات .

إن دور المخابرات لصيق بالرأي العام ، وطبيعة القرار واتجاهه تمر بالضرورة عبر هذا الرأي العام في الداخل أو في الخارج ، ولذلك فإن جزءا من المهمة هو المشاركة في تجميع الرأي العام العالمي حول أولويات قضايانا ومشكلاتنا فضلا عن تجميع رأي عام داخلي حول المهام الأساسية المطروحة .

إن هذا كله قد يبدو في الأنساق النظرية المحددة أمرا سهلا ولكنه في التطبيق العملي يشتمل على صعوبات وتحديات كبيرة ، ثم أن مصر في النهاية ليست دولة عظمى ، ولكن ينبغي أن يكون واضحا في أذهاننا جميعا - أنها رغم ذلك لها في محيط واسع جدا تأثير الدولة العظمى وذلك جزء من عبقرية وضعها الاستراتيجي ودورها التاريخي .

أريد أن أورد في هذا السياق على بعض الآراء المجانية التي نشرت بعد أحداث ١٥ مايو ١٩٧١ على لسان أشخاص كانوا بعيدين عن مركز العمل سواء في المخابرات أو في الدولة ، والتي حاولت أن تشكل على طريقة القصص البوليسية الرخيصة ، اتهامات مرسلة لي .

كان من بين هذه الآراء ما نشر على لسان حسن رشوان الذي كان ضمن المنتسبين إلى المخابرات والذي تبرع بالقول أنني بدأت الاتصال ببعض العناصر

الطلابية فى الخارج ، لمحاولة تجنيدها ، ولم أفهم إذا لم يكن ذلك من صميم عملى فما هى حتى علاقته بالصراع على السلطة فى الداخل ؟ .

وقد تبرع حسن رشوان بالقول أيضا - أنتى قمت بزيارة بعض وحدات القوات المسلحة وقدمت هدايا لبعض الضباط بغرض تجنيدهم .. ولم أكن أتصور أن الايغال فى الكذب والايهام يمكن أن يصلأ إلى هذا الحد .. لقد كنا فى مرحلة إعداد للحرب وليس طبيعيا أن يكون الإعداد للحرب شاملا لجميع مرافق الدولة دون أن تشارك فيه المخابرات العامة بدور إيجابى ، كما أنه لا يعقل أن يقوم كثير من المدنيين بزيارة جبهة القتال ولا يقوم وفد من المخابرات العامة بهذه الزيارة .

أذكر أنتى سئلت من صلاح نصار رئيس النيابة العامة ضمن تحقيقات قضية ١٥ مايو : لماذا ذهبت إلى جبهة القتال ؟ .

وأذكر أيضا - أن ردى عليه لم يترك فرصة لإعادة السؤال أو للاقتراب منه مرة ثانية لقد قلت بالنص متسائلا بدورى :

وهل تجد غرابة فى أن يذهب رئيس المخابرات العامة لزيارة جبهة القتال وقد ذهبت لزيارتها راقصات البلد ؟ ! ...

سأتوقف قليلا عند هذه الزيارة التى شاركنى فيها كل رؤساء وحدات المخابرات ومدير مكتبى - وجميعهم أحياء - لقد قدمنا باسم العاملين فى الجهاز هديتين رمزيتين تعبيرا وتقديرا ، للجهد البطولى الذى تبذله القوات المسلحة فى إعادة بناء نفسها وكان طبيعيا أن تكون الهديتان من نصيب اللواء عبدالمنعم واصل واللواء عبدالمنعم خليل قائدى الجيشين الثالث والثانى الميدانيين بالترتيب .

ولم تستهدف الزيارة مجرد التعبير عن التقدير أو تقديم التحية فقد قامت المخابرات العامة - بناء على طلب القوات المسلحة وبترتيب مع قيادتها العامة - ورئيس المخابرات العسكرية اللواء محرز - بتصوير خط بارليف من السويس إلى بورسعيد بالتفاصيل الميدانية الدقيقة وحتى عمق عشرة كيلومترات ، وقامت المخابرات بتقديم صور هذه الأفلام إلى جميع التشكيلات الميدانية على طول المواجهة ، إضافة إلى ذلك فقد قام الجهاز بتقديم مساعدات فنية لبعض التجارب التى كان الجيش الثانى يقوم بها ، بما يتوافر لديها من أجهزة فنية دقيقة ، وكفىنى أنتى تلقيت فى هذه الزيارة درعى الجيش الثانى والثالث الميدانيين وهما لايزالان يحتلان موقع الصدارة فى بيتى ويملآن نفسى بالرضا .

محاولة على سفع القمة لفرض قرار الحرب

دعيت بعد أيام قليلة - فى بداية شهر ديسمبر (١٩٧٠) إلى اجتماع لمجلس الدفاع الوطنى ، وكانت الجلسة الأولى للمجلس فى تشكيله الجديد ، أن مجلس الدفاع ينعقد برئاسة رئيس الجمهورية وبوصفه رئيس المجلس أيضا ، وكان تشكيله فى ذلك الوقت يضم حسين الشافعى وعلى صبرى نائبى رئيس الجمهورية ، وعبدالمحسن أبوالنور أمين عام الاتحاد الاشتراكى ، ومحمود فوزى رئيس الوزراء ، وشعراوى جمعه نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، ومحمود رياض نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، والفريق أول محمد فوزى وزير الحربية ، وسامى شرف وزير الدولة وسكرتير الرئيس للمعلومات ، وأحمد كامل رئيس المخابرات العامة ، والفريق محمد صادق رئيس أركان القوات المسلحة ، واللواء محرز مدير المخابرات الحربية وسكرتير المجلس .

انتابتنى الحيرة حين وصلتني الدعوة إلى الاجتماع فلم تتضمن أية موضوعات سوف نبحثها ، ولم تشتمل على أى جدول أعمال له ، ولم أعرف ماذا كان مطلوباً منى لهذا الاجتماع كرئيس للمخابرات العامة ، هل كان على أن ألقى بياناً عما هو متيسر لى من معلومات ، ولكن معلومات حول ماذا بالضبط ؟ : حول إسرائيل ، حول الموقف السياسى العام ، حول رأى العام الداخلى ، ما المطلوب بالضبط ، وما الصورة المطلوب وضعها أمام هذا المجلس وهو أعلى مجلس لاتخاذ أخطر القرارات ؟

تطوعت بالسؤال وجاءت الإجابة أكثر غموضاً ، إنه اجتماع تمهيدى ، مع ذلك فقد جمعت ما هو متيسر من معلومات لدى وحدة المعلومات .

ذهبت إلى الاجتماع متفلة الأعصاب بسبب هذا الموقف الصعب الذى وضعت فيه ، فلم يكن فى جعبتى بعد أيام من وجودى فى منصبى الجديد معلومات خاصة تساعد أحداً على اتخاذ قرار . خاصة أن الاجتماع يأتى قبيل انقضاء فترة الثلاثة شهور الأولى على وقف إطلاق النار .

لقد استمر هذا الاجتماع ساعات طويلة تخللتها ساعة واحدة للغداء ، ودارت المناقشات فيه حول موضوع على درجة عالية من الخطورة ، هو موضوع قرار

الحرب ، لكننا كنا تناقش مصير دولة في أخطر ما تعرضت له ، وما يمكن أن تتعرض له من أحداث في تاريخها ، بناء على آراء شخصية ، وانطباعات عامة ، لا تستند إلى أى حسابات علمية دقيقة ، بل لعللى أضيف دون أن أجتريء على أحد ، أو أظلم أحدا ، أن المجتمعين فى إطار المجلس ويصدد قضية مصيرية ، كانوا يتناقشون كأنهم فى جلسة « دردشة » عامة .

كانت جلستى إلى جوار الفريق أول محمد فوزى ووجدتني أ همس فى أذنه فى البداية « إياك أن توافق على قرار بالقتال إلا إذا كنت جاهزا تماما ، بدأنا الاستماع إلى تقرير الموقف من الخارجية ، ومن الحربية ومن الداخلية ، وحين جاء دور على صبرى فى الحديث ، فوجئت به يبدى تحمسا لقرار بدء الحرب ، على أساس أن الاتحاد السوفييتى سوف يندفع فى تعصيدنا إذا ورطناه ، وضرب مثلا بما حدث فى حرب الاستنزاف ، ثم انتقل الحديث إلى حسين الشافعى ومنه إلى على صبرى مرة ثانية ، وكان واضحا جدا أن كلا منهما يساند الآخر ، أما الفريق أول محمد فوزى فقد قال أنه خاضع لقرار القيادة السياسية ، ولو أنه ينقصه بعض الأشياء ، وجاء دورى وكنت آخر المتكلمين من الوزراء ، فقلت أننى أعلم أن الجيش تنقصه بعض الأساسيات ، وأن تقديرى للموقف بوضوح ، هو أننا لا ينبغي أن نتخذ قرار الحرب إلا بضمان أمرين : الأول استمرار تدفق الامدادات السوفييتية ، الثانى : هو أن يقرر استكمال الاستعداد العسكرى العسكريون أنفسهم ، وفوجئت بالرئيس السادات يلح على بالسؤال ويجفأ واضع : ما رأى بالضبط ؟ هل هو مد وقف إطلاق النار أم الحرب ، قلت أننى لا أجد أحدا يوافق على وقف القتال ، إننا جميعا نوافق على بدء القتال ، ولكن على شرط أن يتحقق ما سبق أن قلته ، خاصة أن الجيش حسبما أعلم تنقصه على سبيل المثال المعدات الحديثة لفتح الثغرات وأضفت : إنه إذا تم إقرار وقف إطلاق النار فهذا يتوقف على طريقة إخراج الموضوع .

وإضافة إلى الانطباع العام الذى خرجت به بأن المناقشة لم تكن تستند إلى تقدير موقف صحيح على كل جانب ، وإنما كانت العبارة عن دردشة حول أخطر القرارات فقد كان واضحا أن هناك تعددا فى التيارات داخل المجتمعين ، وكان واضحا - أيضا - أن علاقة الرئيس بعبدالمحسن أبوالنور ليست جيدة فقد ظل الرئيس يصده ويقاطعه بقدر من الخشونة .

نزلنا من الاجتماع لتناول الغداء وكان مقعدى بين مقعدى سامى شرف وعبدالمحسن أبوالنور .

فوجئت بعبدالمحسن أبوالنور يقول : إن الفريق أول محمد فوزى أخبره بأن بدء القتال والعبور الآن سيعرضنا لخسائر رهيبية ، وذكر رقما محددا فى تقدير « فوزى » ، وفى الحقيقة فقد كان الرقم الذى ذكره مفرعا ، كنت أزداد تعجبا فوق

تعجب .. لماذا إذن الإصرار الواضح على القتال الآن إذا لم تكن قد أكملنا استعدادنا له ، وأن الظروف كلها لم تكن تتحمل مغامرة غير محسوبة ؟ .

تذكرت في تلك اللحظات أنني أرسلت ذات يوم إلى جمال عبدالناصر رسالة قلت فيها : إن ضباط الدفاع الجوي يقولون أنهم يكلفون بعمليات انتحارية مصيرها قتلهم باستمرار ، وكان الرئيس مصمما على دفع الصواريخ إلى الخطوط الأمامية لجبهة القتال بعد الهجمات العنيفة للطيران الإسرائيلي على العمق ، بينما كان رأي محمد صادق أن صواريخ سام ٢ يجب الاستغناء عنها ، ولقد حدثت في هذا الوقت مناقشة بيني وبين سامي شرف شرحت له فيها من واقع خبرتي كضابط دفاع جوي وصلت إلى موقع كبير معلمي مدرسة الدفاع الجوي ، كيف يمكن دفع الصواريخ إلى الأمام بالتبادل مع بعض المعلومات الفنية ، بل وأذكر أن قضية صواريخ سام ٢ ، كانت موضوع تقرير لي قدمته بعد أن استدعاني المشير عبدالحكيم عامر من إسبانيا لأكتب تقريرا حول الخطة الخاصة بها مع الخبراء السوفييت ، وقد كتبت يومها في تقرير مطول من ٥٢ صفحة الأسباب الفنية التي رأيت في ضوءها ضرورة اتخاذ قرار بإرجاء تنفيذ تلك الخطة ، وحين بلغ عبدالناصر ذلك اجتمع بضباط الدفاع الجوي وسألهم هل أنتم جاهزون لتنفيذ الخطة ، وقال له البعض نعم ، فناقش معهم ما كتبت فقالوا له أن هذه هي الحقيقة ، واتخذ الرئيس قرارا بإرجاء التنفيذ ، ثم بدأ يوسع اجتماعاته بضباط الدفاع الجوي حتى مستوى قادة الكتائب لكي يعرف الحقائق كلها .

أقول ذلك لأدلل على أن مثل هذه المسائل التي تتعلق بقرارات الاستعداد للحرب لا يمكن أن تخضع لآراء عامة مبنية على اجتهادات شخصية ، وإنما على حسابات عملية ودقيقة ، وحتى بالحسابات العامة فلم يكن منطقيا - في تقديري - والقيادة الجديدة بعد عبدالناصر لم تستقر بعد أن تبدأ عملها بقرار الحرب ، وأن تتعجل هي إصدار هذا القرار .

واعتقد أن كثيرين غيري كانوا يداكون ذلك بعمق ، أذكر أنه في صباح نفس يوم اجتماع مجلس الدفاع الوطني ، وقبل الاجتماع مباشرة ، أن حضر إلى مكنتي مراد غالب سفيرنا اللامع في موسكو وقتها ، ولقد جاء إلى ليسألني سؤالا محددا ، هل أوافق على قرار بدء القتال .

وقلت له : إن الوقت ليس وقت عواطف ، وأن قرار ببدء القتال يحتاج إلى ضمانات بتوافر عنصرين أساسيين : أحدهما يتعلق بضمان تدفق المعدات وقطع الغيار ، وثانيهما ، يتعلق باكتمال التجهيز للعبور وفق حسابات عسكرية صحيحة .

واستمع مراد غالب إلى ماقلت ، ثم قال لي بيقين ثابت ، أنه أصبح الآن أكثر اطمئنانا ، فقد جاء أصلا ليحذرنى من التسرع في اتخاذ مثل هذا القرار .

ولقد صدر القرار بعدها بالفعل بمد وقف إطلاق النار ثلاثة أشهر أخرى ،

وتتفست الصعداء ، وقد قال الرئيس السادات يومها : إنه انتهى إلى أن قرار الحرب قد اتخذ بالفعل وأنه لا داعي لدعوة المجلس مرة أخرى إلى الانعقاد ، إلا إذا جد جديد في الموقف ، وأنه يأمل في أن تنتهي الاستعدادات للمعركة في أقرب وقت .

خرجت من الاجتماع إلى مكتبي مرهقا ومكدودا كما لم أشعر من قبل ، تدور في رأسي عواصف مثقلة من الأفكار والاستفهامات .. أصبحت مقتنعا تماما بأن هناك صراعا على وشك أن يظهر ، وأنه قد يؤدي إلى انفجار ، لم تكن لدى دلائل مؤكدة تؤيد ذلك ، ولكن إحساسي بذلك كان طاغيا جدا ووضعني في حالة تلبك ذهني .

بدأت في مكتبي أراجع ما دونته في مذكرتي الشخصية من واقع وثائق الاجتماع ، وأحلل المواقف والآراء والعلاقات ، كانت ملامح الصورة أكثر ازعاجا .

كان من بين ملامحها ، أن على صبرى وحسين الشافعي يحاولان أن يشكلا محورا ، وكان من بين ملامحها أن د . محمود فوزي يجيد بالفعل - فن الصمت - وعندما تكلم حرص على ألا يعطى رأيا محددا ، فقد كان كلامه عاما ، بذل جهدا في تحليل الموقف من وجهة النظر السوفييتية والأمريكية وعرج على موقف القوات المسلحة ، ولكنه أصر في حديثه على أنه إنما يفتح نقاطا للنقاش ، لأنه يحتاج إلى أن يفكر أكثر ، كانت مهمة رئيس الوزراء في هذا الاجتماع أن يعبر عن الرأي العام في الجهاز التنفيذي كله ، بصدد قضية الحرب ، ولكنه مع الأسف الشديد ، تكلم كما لو كان لا يزال يمارس مهمته في الأمم المتحدة .

وكان من بين ملامحها أن عبدالمحسن أبوالنور الذي كان ينبغي أن يعبر عن اتجاهات الرأي العام في القاعدة الشعبية ، وفي التنظيم السياسي ، تكلم كضابط سابق في القوات المسلحة ، وكأننا بصدد مناقشة تفاصيل معركة .

ولم يختلف حديث شعراوي جمعه الذي تكلم في السياسات العامة ، أما محمد فوزي فقد اكتفى بالإشارة إلى النقص في خطوط عامة ، ولكنه كان يصر دائما على أنه جندي وأنه جاهز لتنفيذ أمر القيادة في الحال .

وكانت قسما الصورة في دلالتها الأخيرة لاتدعو إلى الطمأنينة ، كان المفروض أن نستمع من كل مسئول تقديرات محددة عن الموقف في اختصاصه ، حتى يمكن أن نعرف بوضوح أوجه النقص . وهذا ما لم يحدث ، كانت أكثر الأشياء وضوحا تنبئ بأن هناك تيارات مختلفة قد أخذت تتضح داخل القيادة العليا للبلاد ، وأن هناك رأيا يشكل محورا واضحا ، هدفه أن يدفع المجلس إلى اتخاذ قرار فوري بالحرب ، لقد سمعت تعبيرات من نوع أن المعركة هي الوسيلة الوحيدة لتجميع الجبهة الداخلية ، أما الحديث عن الخسائر والنتائج فلم يكن له نصيب .

كان واضحا أن هناك استهتارا لا حد له في التجهيز لاتخاذ أخطر القرارات ،

فلم يرد ولو مرة واحدة ذكر إعداد الدولة للحرب ، بينما كان إعدادها يحتاج إلى الكثير والكثير ، ولم يرد ذكر أن مصر عبدالناصر غيرها بعده ، فكيف يمكن جمع الناس في هذه الظروف حول هدف التحرير ، وكيف يمكن سد كثير من الثغرات والنقائص في الداخل والتي كنت أعرفها جيدا ، بحكم عملي السابق كمحافظ ، ولكن هل كان بمقدوري أن أصحح شيئا من ذلك كله ، كيف يمكنني أن أضع أمام الجميع صورة حقيقية للموقف ؟ كنت أرى أن المخابرات وبكل الامكانيات المتاحة لها قدرة على أن تحقق الهدف الذي أريده في هذه الفترة الوجيزة .

كان من بين ما أقلقني في الاجتماع المذكور ، ما لاحظته على العلاقة بين الرئيس السادات وعبدالمحسن أبوالنور من توتر ، ولم تكن معلوماتي تفسر هذا الجفاء الذي اتضح في طريقة رد الرئيس على ما طرحه عبدالمحسن أبوالنور في الاجتماع ، ذلك أن محمد دكروري - مدير مكتب الرئيس السابق - كان دائم الاتصال بي وكان بيننا رصيد كبير من الثقة والاطمئنان المشترك ، وكان من بين ما أكدته لي أن الرئيس يعتمد على عبدالمحسن أبوالنور وأنه موضع ثقته بشكل متميز .

كنت أعرف أن ما بين الرئيس ومحمد دكروري ثقة أكبر وانفتاح أوسع ، فقد كان دكروري يصارح الرئيس بكل شيء ، ولكنه بعد عن الرئيس بعد وفاة عبدالناصر ، وكان قد قابله قبيل الاستفتاء على رئاسة الجمهورية ، وشرح لي ما دار بينهما ، وأنه لم يخف على الرئيس أن هناك نقاطا ثلاثا ينبغي أن يضعها في اعتباره وهو يبدأ مهمته الجديدة في موقع المسؤولية الأولى في الدولة ، في مقدمة هذه النقاط ما يتعلق بأسرته وتدخلها ووضع أخوة الرئيس ، وكنت أثق في أمانة محمد دكروري وفي شرفه وشجاعته ، وأنه قرين للرئيس لدرجة أن يناقش معه كل شيء دون تحفظ ولهذا ظللت أرجوه والحث عليه في أن يذهب للقاء الرئيس وأن يبقى إلى جواره لأنه قد أصبح بمفرده تقريبا ، ولكنه كان دائم الرفض لأن الرئيس لم يستدعه ، وأن كرامته تمنعه من أن يذهب بنفسه ، أو أن يعرض نفسه .

وعلى طول ما ناقشت محمد دكروري في ذلك والحث عليه ، بأن يلتمس تجاوزا لأي مشاعر شخصية لأن الوطن في محنة ، ولأنه سيكون مفيدا جدا وهو إلى جوار الرئيس ، على طول إصراره على ألا يذهب إلى الرئيس إلا إذا قام الرئيس بطلبه .

ولم تنقطع صلتى مع ذلك بمحمد دكروري الذي كان دائم الاتصال بي ودائم الحضور إلى مكنتي أحيانا بمفرده وأحيانا مع محمد عثمان ومع أحمد عبدالآخر ، وكنت أتعامل مع كل ما ينقلونه لي على أنه الصدق ، ولكنني أخضعت بعض ما نقل لي إلى وحدة الأمن القومي للتحقق منه واكتشفت بعدها أن بعضه كان حقيقيا أما بعضه الآخر فكان يعبر عن آرائهم الشخصية .

المهم أنني بعد فترة من المقابلات والمناقشات ، أحسست بتيار جديد يتشكل ، وكان أبعد ما يكون عن ذهني أو ذهن غيري من المسؤولين ، كما أنه كان مؤشرا

إلى أن التشقق سيعم كل أرضية المسرح .

روعت حين اكتشفت أن هناك تيارين يتواجهان لأول مرة ، وكأنتا كنا نبحث عن انقسامات أو مواجهات جديدة وتلح في طلبها ، كان التيار الأول هو تيار بحرى أو الوجه البحرى ، وكان الثانى بالضرورة هو تيار قبلى أو الصعيد .

مشكلة جديدة تطفو على السطح كنت أراها بالغة الخطورة ، فقد كانوا يقولون أن جميع المحافظين ينسبون الى محافظات الوجه البحرى وكذلك جميع الوزراء ، وليس هناك ممثلون فى قيادات الجهاز التنفيذى كله لمصر العليا أو الصعيد .

وسألتهم فى أوج المناقشة حول الموضوع : لماذا لم تظهر هذه المشكلة قبل وفاة جمال عبدالناصر ، وكانت إجابتهم أنه كان يكفى الصعيد قبل أن يكفيهم أن الرئيس عبدالناصر صعيدى ، ومع أنهم نقلوا المشكلة لى على أنها رأى الصعيد كله ، إلا أنني تحققت بعد ذلك من أنها مجرد رأى شخصى لهم .

تواصل عملى ، وكنت - حسب تعليمات الرئيس - أرفع تقاريرى باستمرار إلى مكتبه حيث يتم تسليمها إلى السيد سامى شرف ، ولكن بعض التقارير التى كانت تحتاج الى توجيه الرئيس كانت ترد إلى دون أن أجد ردا له عليها ، واضطرت إلى أن أرفع المذكرة الواحدة أكثر من مرة حتى يأتى رد الرئيس عليها فى النهاية ، وحين بحثت عن سبب ذلك ، لم يكن ثمة مدعاة للدهشة . فقد أكد لى دكرورى أن الرئيس لا يطلع على البريد جميعه ، وقد أفهمنى أنه لذلك أثناء عمله مع الرئيس كان يقوم بفرز الموضوعات التى تحتاج الى بت سريع ويقوم بعرضها عليه ، وأنه كان يلح عليه كثيرا فى قراءتها ، وفى اتخاذ قرار بشأنها كما كان يتحين الفرصة ليعرض عليه كثيرا من الموضوعات فى السيارة ، سواء وهو فى الطريق إلى منزله بالهرم ، أو أثناء قيامه برحلة طويلة ، المهم أن محمد دكرورى كان يكيف نفسه مع ظروف الرئيس ، ومع استعداده الشخصى ، لكى يحصل فى النهاية على قرار فى الموضوعات التى تحتاج إلى بت عاجل .

كان يفترض أن يكون هذا واجب سامى شرف وهو وزير شئون رئاسة الجمهورية ، ولكن سامى لم يعد متفرغا لعمله كما كان من قبل مع عبدالناصر كسكرتير للمعلومات لا يغادر مكتبه ، أما مع منصبه الوزارى الجديد فقد استهلكت وقته أو استهلكه فى لجان الوزارة واجتماعات الرئيس الكثيرة .

أصبحت مهمتى أكثر صعوبة ، فقد كان سامى هو الجسر الذى حدده الرئيس لعبور كل شىء من ناحيتى إليه ، ومن ناحيته إلى ، ولذلك عادت كثير من المذكرات إلى دون رد عليها من الرئيس رغم الأهمية القصوى للموضوعات التى كانت تتناولها .

ورغم الحاحى فى لقاء الرئيس لمناقشة القضايا المعلقة ، وبناء اسلوب جديد للعمل ، فقد ظلت أنتظر لقاء لم يقدر له أن يتم أبدا .

الصورة فى عمق المسرح للسياسى بعد رحيل عبدالناصر

إذا استخدمت التعبيرات المسرحية ، لقلت أن الذروة الميلودرامية لما حدث فى ١٥ مايو كانت تبدو ذروة طبيعية ، وحتمية بتتابع المشاهد التى قادت إليها فى عمق المسرح ، حتى وأن بدت انفجارا مفاجئا ، يفتقر إلى الحبكة الدرامية بحكم ما كان يبدو على مقدمته .

إن ما كان يحدث فى عمق المسرح السياسى المصرى ، بعد رحيل جمال عبدالناصر يختلف كثيرا عن ترتيبات الصور والمشاهد التى كانت تجرى أمام المتفرجين الشاخصين الى مقدمة خشبة ، وباختصار فإن هذه الذروة الميلودرامية كانت نتاج شهر عسل ولد سفاحا بعد الرحيل الفاجع لجمال عبدالناصر .

كان حضور عبدالناصر على مسرح السياسة المصرية قويا - انه المؤلف والمخرج وبطل العرض الأول والأخير ، وكانت سطوة هذا الحضور القوى ترتب لكل الواقفين على خشبة المسرح أدوارهم ، واقتربهم من المقدمة أو انسحابهم إلى المؤخرة أو اختفائهم المؤقت أو الطويل فى الكواليس ، أو حتى خروجهم إلى مقاعد المتفرجين ، ولم يكن بمقدور أحد - من الذين يلعبون الأدوار الكبيرة ، أو يؤدون حركات الكومبارس على السواء - أن يعترض أو يتمرد ، أو يخرج على النص أو حبكة العرض . وبغياب المؤلف والمخرج والبطل اختلطت الأدوار وتداخلت المواقف ، واختفت المساحة بين المقدمة والمؤخرة ، وبين ما هو رئيسى وما هو ثانوى ، وبدت المشاهد فوق خشبة المسرح ، وكأنها جزء من مسرحية عبثية ارتجالية .

لقد قلت أن تفسير ما حدث لن يبدو منطقيا ، إلا بالعودة إلى الصور والمشاهد التى كانت تختفى فى عمق المسرح ، لا على حافته الأمامية ، ولذلك سأحاول أن أقترّب أكثر من هذا العمق لا مسك بجانب من الخيوط الخفية التى كانت تحرك الأحداث وتدفعها إلى نهايتها العاصفة .

كان مرض عبدالناصر الذى اشتد عليه فى عامه الأخير ، يبدو بمثابة انذار واضح ، ولذلك اتخذ عبدالناصر قراره بتعيين السيد أنور السادات نائبا لرئيس الجمهورية ، على الرغم من شائعات كثيرة عن عودة عبداللطيف البغدادى رئيسا

للوزراء انطلقت من لقاءات مكثفة كانت تتم بين عبدالناصر والبغدادي في هذه الفترة ، ولقد اختفت هذه الشائعات بعد تعيين أنور السادات ، ولكنها عادت وجدت تعبيرا عنها في قصة الخبير الذي تساعل عبدالناصر وهو يحتضر عن عدم اذاعته في نشرة الساعة الخامسة ، والذي كان ينتظره قبل أن تصعد روحه إلى بارئها .

ولقد برز وضع أنور السادات قبل ذلك بشهور قليلة ، خاصة بعد تنحية علي صبري من أمانة اللجنة السياسية للاتحاد الاشتراكي ، والتي تولاهم أنور السادات ، وبعد تعيين السيد أنور السادات أمينا للعمل السياسي بدأ حركته ، حيث كنت أيامها محافظا لاسكندرية ، وكان - كما قلت - نائب الاتصال بي ، كما كانت لقاءاتنا مفتوحة وواضحة ، ولقد قفز إلى جوار أنور السادات في ذلك الوقت كمدير لمكتبه شاب طموح ، والغريب أن هذا الشاب كان يعمل قبل ذلك مع علي صبري نفسه وقبلها عمل مع سامي شرف ، هذا الشاب هو محمد دكروري ، لقد بدأ محمد دكروري حياته ضابطا بالمباحث العامة ، ثم انتقل للعمل في مكتب سامي شرف ، ثم عمل مديرا لمكتب وزير سورى في عهد الوحدة ، ثم سافر إلى أمريكا وحصل على الدكتوراه .

كان محمد دكروري يعمل باخلاص شديد مع أنور السادات ، وكان يعد له كل شيء بكفاءة ممتازة ، ولقد كان في الوقت نفسه صديقا حميما لشقيق سامي شرف ، (عزالدين شرف) الذي كان يعمل ضابطا بالبوليس ، ولقد علق عزالدين شرف يوما على عمل محمد دكروري مع أنور السادات بأنهم ماكانوا يحبون له أن يرتبط اسمه باسم السادات ، بل أذكر أنني عندما كنت أتحدث مع سامي شرف في هذا الوقت ويتطرق الحديث إلى المؤتمرات التي يعقدها أنور السادات بوصفه نائبا للرئيس ، كنت أفهم من حديث سامي شرف أن بعض ما يقوله أنور السادات في هذه المؤتمرات هو رأيه الشخصي ، وأن الرئيس عبدالناصر كان يناقش أنور السادات ، عندما يطرح آراء لا تعبر عن تصوره وأن السادات كان يدفع ذلك بأنه لا يشغل منصبا تنفيذيا وبالتالي فلا ضرر من التنصل منها سياسيا ، ولم تخل تعليقات سامي شرف معى عن هذه المؤتمرات من حس تهكمى واضح .

ورغم الحركة الواسعة لأنور السادات في هذا الوقت ، فإن الرئيس عبدالناصر لم يضمه للتنظيم الطليعى ، وقبل أن أعرف ذلك ، فقد اختلط الأمر على كثيرا وأنا أتحدث مع أنور السادات عن التنظيم ، فأفاجأ بأنه يتصور أنني أقصد الاتحاد الاشتراكي .

خلال سفريات جمال عبدالناصر في العام الأخير ، كان يكلف مجموعة من الأشخاص بممارسة العمل اليومي القيادي في الدولة بشكل جماعى ، وكانت هذه المجموعة تتكون من ثلاثة أشخاص : أنور السادات ، وسامي شرف ، وشعراوى جمعه ، حتى أنه وفق معلوماتى فإنهم كانوا يتحدثون معه ثلاثتهم تليفونيا في وقت واحد .

وهكذا بدأ حضور السادات يصبح واضحا ، وإلى جواره مدير مكتبه محمد دكرورى الذى كان يشغل فى الوقت نفسه موقع أمين محافظة المنيا ، وعضو مجلس الشعب ، وعميدا لمعهد التجارة الخارجية ، ولذلك اعتمد محمد دكرورى على مجموعات الصعيد فى مجلس الشعب أو على أمناء الوجه القبلى وفى مقدمتهم أحمد عبدالآخر أمين سوهاج ، ومحمد عثمان أمين أسيوط .

وأصبح مكتب أنور السادات فى الاتحاد الاشتراكى مكتظا بالحركة ، وتبدو على حركته سيماء النجاح .

وبدأت ملامح صراع بسيط ، تبدو بين محمد دكرورى وسامى شرف ، فى الوقت الذى كان فيه أنور السادات يدرك جيدا نفوذ سامى شرف وشعراوى جمعه لدى الرئيس عبدالناصر ، ولكنه كان يؤجل الصدام معهما ، بل ويحاول أن يتجنبه .

كان شعراوى جمعه فى هذه الفترة مكتظا بأعباء أعمال مطولة يحتاج كل منها وحدة إلى تفرغ كامل ، لقد كان وزيرا للداخلية وأميناً لتنظيم الاتحاد الاشتراكى بدلا من على صبرى ، وأميناً للتنظيم الطليعى أيضا ، ولقد أدت مسئوليات هذه المناصب المتعددة ، إلى ارتباك فى أداء شعراوى جمعه ، خصوصا مع اعتماده على عدد من الذين مارسوا العمل معه فى السويس ، وهو ما أدى أيضا إلى أن يفقد عددا من الذين أحبه ووجدوا فيه صورة مشرقة للأمل بما مثله من فكر متقدم وأداء تنفيذى ناضج ، خاصة بعد تجربته الناجحة كمحافظ لمدينة السويس .

كان محمد دكرورى فى هذا الوقت على علاقة وطيدة بى ، وكان كثيرا ما يشاركنى فى تطورات ونجاحات العمل الخاصة بالسادات ، وكنت أحذره من الانتدفاع فى العمل حتى لا يثير ذلك حفيظة سامى شرف بالذات ، وقد حدث ما توقعته وأثيرت بعض الخلافات والمشادات ، ولكن كان لحكمة السادات طريق دائم فى التغلب عليها .

وعندما كنت لدى سامى شرف ذات يوم ، وجدته فى حالة غضب عارم على محمد دكرورى لأنه - كما قال - جعل سكرتيه يتصل بسامى شرف محددا موعدا ، وقال سامى لى معلقا : لقد كبر جدا ، ولكنه أصر على أن يرد له الصفة فى وجودى ، فقد حضر الى مكتبه للقاءه ولكنه رفض أن يستقبله .

لم يكن وجود أنور السادات بهذا الشكل الجديد محل رضا من الآخرين ، ولم تتوقف محاولات تحجيمه أو وقف نموده ، وأذكر قبل سفر الرئيس عبدالناصر الأخير الى الاتحاد السوفيتى ، وكنت محافظا لاسكندرية أن انفجرت فى المحافظة مشكلة وجود عدوى بالكوليرا وصباح يوم سفر الرئيس عقد اجتماع برئاسة السادات وبحضور الآخرين لمناقشة المشكلة بناء على تعليمات من عبدالناصر ، وشرحت فى هذا الاجتماع الموضوع كله بتفاصيله ، واقترح أنور السادات إصدار قرار باعطائى سلطات الحاكم العسكرى لمواجهة الوباء الذى

يهدد المصيف كله ، كما وافق على غيره من الاقتراحات التي طالبت بأن يصدر بشأنها قرارات ملزمة ، ولكن هذه القرارات لم يصدر بشأنها قرار تنفيذي لأن الأوامر أعطيت لسامى وشعراوى .

وعندما عقد فى الأسبوع التالى مؤتمر للجنة التنفيذية العليا ، حضرت بصفتى محافظا لمتابعة الموقف ، وقلت متفعلا بأن قرارات الجلسة السابقة لم تتحول إلى اجراءات تنفيذية ولم يتم اصدارها ، واحتوى أنور السادات الموقف بهدوء شديد وقال : إنه ليس ثمة مشكلة فى ذلك ، وأن على أن أعتبر أوامره الشفوية بمثابة قرارات مكتوبة ملزمة ، وأن أتصرف على هذا الأساس .

فى وسط هذا المناخ رحل عبدالناصر ، كان الوضع الدستورى ينص على أن يتولى السيد أنور السادات رئاسة الجمهورية ، ورئاسة لجنة انتخاب رئيس جمهورية جديد ، خلال شهرين اثنين . كان أنور السادات هو من بقى من أعضاء مجلس قيادة الثورة فى الحكم إلى جوار السيد حسين الشافعى .

وكان أعضاء المجلس الباقون على قيد الحياة خارج الحكم أربعة هم عبداللطيف البغدادى وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين وزكريا محيى الدين .

لقد كان أنور السادات يتحرك حركة واسعة فى شكل لقاءات شعبية ، بتعليمات من جمال عبدالناصر ، أما السيد حسين الشافعى فقد كان عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا يحضر اجتماعاتها وينتهى دوره خارج هذه الاجتماعات ، ولقد أصابت المسئوليات التى وضعها جمال عبدالناصر على عاتق أنور السادات فى هذه الفترة السيد حسين الشافعى بالحنق الشديد ، وأراد أن يوصل احساسه الى جمال عبدالناصر بأقصر الطرق فاستدعى سامى شرف الى مكتبه وقال له : « إن الرئيس عبدالناصر لم يعد يعطى الناس أقدارها واستحقاقاتها ، وإن من حوله للأسف يؤثرون عليه » .

كان حسين الشافعى يدرك أن سامى شرف لن يحتفظ برسالته لنفسه ، وأنه سينقلها بنصها إلى جمال عبدالناصر خلال دقائق حتى لو قيلت له فى معرض حديث يبدو عابرا ، أو تعبيرا عن ضيق مؤقت .

ولقد نقل سامى شرف فى مساء اليوم نفسه وفى أعقاب اللقاء نص ما قاله حسين الشافعى ، وكانت النتيجة أن جمال عبدالناصر قرر أن يرد على الرسالة عمليا بتعيين أنور السادات نائبا له ، وأن السادات حلف اليمين فى الصباح الباكر قبيل مغادرة عبدالناصر الى موسكو ، بل والأغرب من ذلك أن قرار تعيين أنور السادات نائبا للرئيس كان قد وقع فى الصباح الباكر وقبل أن يحلف نائب الرئيس اليمين القانونية بالفعل .

بعد وفاة عبدالناصر مباشرة ، تحرك حسين الشافعى بدوره وأرسل رسولا هو أخوه إلى محمد المصرى حتى يبلغ سامى شرف وشعراوى جمعه رسالة محددة ،

أنه يبدى استعداداه لأن يصبح رئيسا للجمهورية ، ويتعهد بأن تسير كل الأمور كما يريدان بالضبط ، وفيما أعرف فقد قام سامى وشعراوى بإبلاغ أنور السادات بالواقعة والرسالة .

لكن المناورات لم تتوقف ، فقد فوجيء الجميع بنشر محمد حسنين هيكل لنعى زكريا محيى الدين لجمال عبدالناصر فى الأهرام وكان صدئ هذا النص فى القوات المسلحة قويا للغاية ، حتى أننى أستطيع أن أقول ، من موقع الرؤية القريبة ، أن الجيش تبنى فى هذا التوقيت مسألة ترشيح زكريا محيى الدين لموقع رئيس الجمهورية ، وتحول الأمر داخل القوات المسلحة الى اتجاه عام ، ولعللى أضيف أن المخابرات العسكرية فى هذا التوقيت وتحت تأثير هذا الاحساس قامت بإجراء استطلاع للرأى فى صفوف القوات المسلحة وكانت نتيجة الاستطلاع لصالح زكريا محيى الدين .

وكان الجيش من أكثر العناصر تأثيرا فى الموقف بالطبع ، ومع أن هيكل نفى بعد ذلك علاقته بنشر نعى زكريا محيى الدين بعد تأثيره المدوى والصقه بممدوح طه ، على أساس أنه كان على سفر إلا أن المسألة أصبحت أكثر تعقيدا بل أستطيع أن أؤكد أيضا أن عددا من كبار ضباط القوات المسلحة فى أوج هذه الأزمة ، طلبوا من الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة ، أن يتحرك للاستيلاء على السلطة ، تخليصا للبلاد من بلبلة وأزمة لا تحملها الظروف ولا تحملها التحديات .

وتحرك أنور السادات بسرعة ومهارة ، ففتح جسوره على اتساعها مع شعراوى جمعه وسامى شرف ، ولقد كان سامى وشعراوى وأمين هويدى ومحمد فوزى هم الذين أنيطت بهم فى عام مرض جمال عبدالناصر مسئولية تسير أمور الدولة ، لكن القرار فى النهاية كان ملكا خالصا لجمال عبدالناصر .

وتحرك شعراوى جمعه مستجيبا ، ومؤيدا ، فبدأ التنظيم الطليعى ينشر فكرة ترشيح أنور السادات رئيسا للجمهورية وسط مقاومة واضحة ، وتم الترشيح بضغط شديد من التنظيم وقيادته ، أما فى داخل القوات المسلحة فقد قام الفريق أول محمد فوزى بجهد كبير لإقناع قيادات الجيش ، وكان نجاحه فى ذلك مرتبطا بمدى التقدير والاحترام والثقة التى يحظى بها كقائد عسكري فى صفوف القوات المسلحة .

ومع أول تغيير وزارى حقق أنور السادات لسامى وشعراوى جميع طلباتهما ، فقد عاد محمد فائق الى وزارة الاعلام وعاد حلمى السعيد الى الوزارة وزيرا للكهرباء ، وعين سعد زايد وزيرا للاسكان ، ولم يعيدوا أمين هويدى الى المخابرات التى تسلمت مسئوليتها ، وكان حجتهم فى ذلك أنه ليس من الممكن أن يعيدوا من أخرجه جمال عبدالناصر مع أن ذلك بنصه كان ينطبق على إعادة محمد فائق وحلمى السعيد .

وبدا التنظيم الطليعى الذى لم يكن أنور السادات عضوا فيه يفكر فيمن سيكون رئيسه خلفا لجمال عبدالناصر ، ورفض ترشيح السادات للموقع وفضل شعراوى أن يبقى هو على رأس التنظيم ، وكانت الظاهرة الواضحة وسط ذلك كله هى حالة التضامن والتوافق الكامل بين شعراوى جمعه وسامى شرف ، حد الالتصاق ، فقد كانا لايفترقان عن بعضهما وكانا محط تركيز أنظار الصحافة ، خاصة الأهرام .

سوف أسمح لنفسي أن أؤكد مادما نتحدث فى خلفية المسرح - أن محمد حسنين هيكل قد لعب أخطر الأدوار وأبدعها فى هذه الظروف ، أقول ذلك دون دخول فى التفاصيل - بحكم ما توافر لى من معلومات فى رئاسة المخابرات العامة .

وبعيدا عن التفسير السياسى أو غيره فاننى أجزم أنه مارس بعمق دورا فى تعميق جميع الفجوات بين الأطراف المختلفة .

لقد كان هيكل يكتب خطب جمال عبدالناصر ومن بعده خطب أنور السادات ، وكان جمال عبدالناصر وكذلك السادات من بعده ، يمضيان الساعات الطويلة فى الحديث مع هيكل فى التليفون ، وكما أعلم فقد كان هيكل مستمعا أكثر منه متحدثا ، كان يعلق على ما يسمع بخبر جديد ، أو بقصة قديمة ذات دلالة ، أو برأى ينسب لغيره وفى كل الأحوال فقد كان يوحى بما يريد ويعمق اتجاهه بشكل هادئ ومؤثر وغير مباشر .

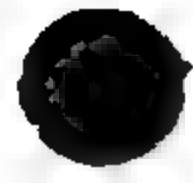
كانت علاقة السادات بهيكل قد أصبحت متينة للغاية ، حتى أن أنور السادات نقل إلى برجس المشرف على المصالح الأمريكية فى مصر أن عليه أن يتصل بهيكل إذا أراد منه شيئا ، بل أن هيكل هو الذى كان يتولى أحيانا تحديد لقاءات برجس مع السادات فى غيبة عن الخارجية ، فقد كان السادات يضيق بمعارضة وزير الخارجية محمود رياض ، وكان واضحا أن هيكل أصبح ذا تأثير طاغ على الرئيس ، سوف أذكر واقعة تبين ذلك .. ففى يوم ١٠/٥/١٩٧١ ألقى الرئيس أنور السادات ووزير الخارجية محمود رياض خطابين أمام مجلس الشعب ، كان خطاب الرئيس هجوما واضحا على أمريكا ، وكان خطاب وزير الخارجية اعلانا باليأس من أى أمل فى أمريكا أو دور أمريكى . ولقد سمعت مذهولا إلى حديث جرى بين هيكل وبين الرئيس السادات فى أعقاب الخطابين إذ طلب هيكل من الرئيس أن يتصل فورا بوزير الاعلام محمد فائق ويطلب منه وقف إذاعة أو نشر الخطابين لأنهما سيزيدان الموقف حرجا وتعقيدا مع الأمريكان ، وبالفعل أصدر السادات قرارا فوريا بمنع إذاعة أو نشر خطاب رئيس الجمهورية أمام المجلس أو خطاب وزير خارجيته .

لقد أحس شعراوى جمعه وسامى شرف فى هذا الوقت بمدى تأثير هيكل على الرئيس السادات فسعيا إلى توطيد علاقتهما معه وأظنه كان سعيا مشتركا من الجانبين ، فقد كان هيكل يعرف أيضا مدى نفوذهما الواضح ، ولدى ما يؤكد أن

هيكل لم يكن يحب سامى شرف وأن كان هذا لم يمنعه من استثماره ، لكننى كنت أرى أنه يميل الى شعراوى جمعه وحتى عندما وصلت الأزمة الى ذروتها كان يقول للرئيس السادات : أنه لا يهمه أحد منهم جميعا سوى شعراوى .

استطاع هيكل بحنكة عالية ، أن يجمع نهايات الخيوط كلها فى يده : رئيس الجمهورية ، رئيس الوزراء ، سيد مرعى ، عزيز صدقى ، شعراوى جمعه ، سامى شرف ، وعندما بدأ قلقه يزداد ، دعم علاقته بشعراوى جمعه واستطاع شعراوى أن يقنعه بأن رئيس الوزراء محمود فوزى ليس هو الرجل المناسب لشغل هذا المنصب فى هذا الوقت بالذات ، وأبدى هيكل اقتناعه لشعراوى إلى حد أنه تكلم معه فى أن يتولى هو - أى شعراوى - رئاسة الوزارة ، وقد نقل ذلك الى الرئيس السادات بالفعل ، ولكن الأزمة كانت قد وصلت إلى ذروتها .

لكن المدهش فى ذلك كله ، أن هيكل كان يعرف من التفاصيل مالا يتوافر لغيره ، كان يعرف تفاصيل ما دار فى اللجنة التنفيذية العليا وكان يعرف نية أنور السادات للإطاحة بعلى صبرى ويضياء داود ، باختصار شديد فإننى كنت أرى من موقعى فى رئاسة المخابرات العامة أن هيكل كان يملك أمضى الأسلحة لتعميق الفجوات بين كل الأطراف ، وأنه مارس ذلك بدأب وذكاء .



على حافة الزلزلة فى السجن الحربى

لقد شكلت لى بعض التقارير عن بعض المسئولين ، هما داخليا يوميا وصبت فى أيامى مذاقا بالغ المرارة ، فقد تعرضت أمامى أساليب فى الحكم لم أكن أعرفها ، وأشخاص كنت أراهم من الخارج بألوانهم الزاهية ، فلما رأيت ما تحت الثياب أصابنى الفزع واعترف بأننى فكرت جادا فى الاستقالة لوقف هذا الهم وهذه المرارة ، كنت أريد أن أهرب بنفسى خارج اللعبة كلها ، فلم أعد أحتمل وضعى المحشور فى التناقض بين مظاهر بعض الذين يمارسون لعبة الحكم وبين حقائبهم الداخلية ، ولم أجد أحدا فى البداية أكتمه سرى ورغبتى سوى زوجتى التى كانت تثينى دائما كلما زاد هذا الهاجس فى داخلى وتذكرنى بأننى جندى ليس من حقه أن يفكر فى أن يغادر ميدان المعركة ، ثم صارحت - بعد أن زادت الضغوط فوق كاهلى - الأخ الصديق أحمد حمروش ، ولو أنتى لم أكشف له عما أرى وإنما قلت له أنتى أرى صراعا شديدا على الحكم وأن ذلك يشكل ضغطا عصبيا ونفسيا على لا احتمله ، لكنه احتوى قلقى بهدوئه وألح ناصحا ألا أستقيل ، وحين التقيت به بعد أن أنتهت المسرحية كلها ، بفاصل السجن الأخير فيها وجدته يتدفع نحوى قائلا : صدقنى لو كنت أعلم كل ذلك لشجعتك على الاستقالة من وقتها .

المهم أنتى كنت أغلب ضيقا داخليا متزايدا ، وكنت أشعر فى الوقت نفسه أننا نعيش فصلا هاما فى التاريخ المصرى - وأنه ليس من حقى أن أتخذ قرارا بإعدام أعماق صورة هذه المرحلة برجالها وصراعاتها وضجيجها ، وأنها ينبغي أن تظل محفوظة حتى يرى من يأتون من بعدنا كيف كانت تدار الدولة .

من يتصور - إذن - أن قرارى الخاص بالتحفظ على هذه التقارير ، هو الذى أعطى الرئيس السادات سلاحه الذى استخدمه بعد ذلك فى محاولة إقامة أركان قضية ١٥ مايو ، ويبدو أن القدر أوحى لى بهذا القرار حتى أوفر للسادات سلاحه الذى استخدمه فيما استخدمه ضدى .

لقد تحدثت عن الأسباب العميقة للخلاف بين المجموعة وبين الرئيس فى فصل سابق ، وعن سعيها للاستحواذ على القرار من خلاله ، ولكن الرئيس السادات كان يتصرف فى الفترة الأخيرة بمنطق من يريد أن يؤكد لنفسه قبل غيره أن القرار معلق بإرادته المستقلة .

وقد تكون بعض التصرفات من حوله محفزة على ذلك لكن من المؤكد أيضا أنه كان يحفر مجرى سياسيا خاصا ، ويحاول أن يعبر طريقا مختلفا .

كانت أول كلمات قالها الرئيس السادات في أول اجتماع لمجلس الدفاع الوطنى فى أعقاب أول زيارة سرية له الى الاتحاد السوفييتى أنه لا يحب العمل طوال النهار ، كما كان يفعل جمال عبدالناصر ، ولا يحب أن يصبح الليل امتدادا لأعباء عمل النهار ، الذى ينبغى أن ينتهى فى الثانية ظهرا قبل أن يضيف أمام كبار المسئولين فى أجهزة الدولة ، أريد تقارير مركزة وينبغى ألا يزيد التقرير مهما تكن القضية أو الموضوع على صفحة واحدة .

وعندما طالت المناقشات فى هذا الاجتماع المشترك بين مجلس الدفاع الوطنى وبين اللجنة التنفيذية العليا ، قال د . محمود فوزى رئيس الوزراء : « يجب أن ترفع الجلسة لنؤدى واجب البطون » .

وعلق الرئيس السادات قائلا : لننتهى الجلسة ونستأنفها بعد الظهر ولكننى أسف فليس فى المنزل ما أستطيع أن أقدمه لكم للغداء .

لكن سامى شرف قطع الحديث قائلا : لقد أعددت الغداء بالفعل ، وكانت مفاجأة للسادات نفسه ، وأظنه رأى فيها مظهرا من مظاهر السيطرة ، لا المساعدة .

والحقيقة أن كلام الرئيس السادات فى اجتماع مجلس الأمن القومى عن التقارير المكثفة ، والعمل بأسلوب الموظفين فى الدولة لم يكن جديدا ، فلقد كان السادات - كما أسر إلى كثيرا وطويلا - يعرف الكثير فى وجود جمال عبدالناصر ، ويعانى الكثير ، ولكنه كان قادرا دائما على أن يتجنب الصدام ، وكان يفسر ذلك عندما أبدو أو يبدو غيرى مدهوشا من موقفه ، بأنه كافح كثيرا وتعب كثيرا وعاش قبل الثورة أياما سوداء ، وأن من حقه أن يعيش حياته ويعوض أيامه عما فاتها .

فى أعقاب اجتماع مجلس الدفاع الوطنى ، قدم السادات أمام مجلس الشعب فى خطاب رسمى ، مبادرته السلمية لفتح قناة السويس ، وقد فوجئت جميع القيادات السياسية قبيل اللقاء الخطاب بدقائق بما سوف يعلنه ، ولم يكن أحد من رئيس الوزراء إلى وزير الخارجية فى الجهاز التنفيذى ، ومن أعضاء اللجنة التنفيذية العليا إلى أعضاء اللجنة المركزية فى الجهاز السياسى ، قد علم بمبادرة الرئيس فضلا عن مناقشتها أو ابداء الرأى فيها ، وأعلنت المبادرة وظلت فى غموضها حتى صححها محمد حسنين هيكل عندما قام بنشرها ، وكانت تلك هى أول أزمة غير مكتومة ، ثم بدأت الأزمات من بعدها تترى .

وكانت أكثرها وضوحا ، هى أزمة الوحدة الثلاثية بين مصر وليبيا والسودان ، لقد عقدت جلسات مباحثات الوحدة فى القاهرة وضمت الرؤساء السادات ونميرى والقذافى ، ومنه المؤكد أن السودان وليبيا يشكلان عمقا استراتيجيا لمصر ، وقد شكلا هذا العمق عمليا لقواتنا المسلحة فى أعقاب هزيمة يونيه ١٩٦٧ دون وجود

إعلان شكل وحدوى ، كان الرئيس السادات متحمسا لإعلان الوحدة الثلاثية فورا ، وكان الآخرون يضغطون على بعض دروس الوحدة المصرية السورية عام ١٩٦١ التى تستوجب التمهّل والدراسة والتدرج ، حتى لا تصاب فكرة الوحدة نفسها بانتكاس تاريخى جديد .

وعندما انتهت جلسات مباحثات الوحدة الثلاثية فى القاهرة ، عانت أجهزة الدولة من مأزق غريب ، فقد اختفى رئيس الدولة فجأة دون أن يتمكن أحد من العثور عليه ، أو معرفة مكانه ، لمدة ساعتين كاملتين ظهر بعدهما فى مكان كان آخر التوقعات أو البحث .

كان من مسئوليات المخابرات العامة المحددة بقانون انشائها الحفاظ على أمن رئيس الجمهورية فى جميع تحركاته وما يتطلبه ذلك من توفير الحراسة ، والأمن الشخصى ، وكان هذا واجبا معمولا به خلال فترة حكم الرئيس عبدالناصر ، لكن الرئيس السادات قرر فى بداية حكمه أن يضع هذا الواجب على عاتق الحرس الجمهورى وأفراد الحراسة الخاصة للرئيس .

بعد انتهاء الرؤساء الثلاثة لمباحثاتهم ، خرج الرئيس السادات لتوديع الرئيس معمر القذافى الذى كان عائدا إلى ليبيا .

بعد وقت قصير اتصل بى محمد سعيد سكرتير سامى شرف وسألنى : أين الرئيس ؟ دهشت من سؤاله ، وقلت أننى أعرف أنه خرج لتوديع الرئيس القذافى .

أضاف محمد سعيد : أننا فى الرئاسة لا نعرف مكانه ، فقد غادر فندق الشيراتون حيث كانت تجرى الاجتماعات دون أن يعلم أحد إلى أين ذهب بالضبط .

ثم تعددت دائرة الأسئلة والبحث : سألنا فى منزل الرئيس ، سألنا فى مطار القاهرة ، سألنا فى كل مكان يحتمل أن الرئيس قد ذهب إليه ، أو يمكن أن يذهب إليه ، وكانت النتيجة لا أحد يعرف مكان الرئيس ، وبقيت الدولة بأجهزتها المختلفة ، تحاول العثور على الرئيس أو تحديد مكانه دون جدوى .. ثم فوجئنا بعد ساعتين بإعلان رسمى فى طرابلس عن وصول الرئيس السادات مستقلا نفس الطائرة مع الرئيس القذافى ، وهكذا بقيت الدولة هذه المدة لا تعرف مكان رئيسها حتى ظهر فى دولة أخرى .

يضاف إلى ذلك كله - تعبيرا عن اتجاه الرئيس السادات للاستحواذ على القرار وحده ، ونبته لفتح طريق سياسى جديد - أنه واصل تعميق قناة خلفية للحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية .

كان الحوار ضروريا بالطبع ، ولكنه كان يتم خارج أجهزة الدولة المختلفة وفى مقدمتها وزارة الخارجية ، وكنت أعلم بحكم موقعى جانبيا من طبيعة هذا الحوار ،

بل إن المخابرات المركزية الأمريكية هي التي تكفلت عن طريق قناة خاصة ومباشرة ، بأن تنقل إلى وأنا على رأس المخابرات بعض التصورات والاقتراحات الأمريكية التي نقلها المبعوثون الأمريكيون إلى الرئيس السادات ، وكانت كلها اقتراحات شكلية تدور حول الموضوع ولا تصل إلى عمقه ، ولقد قلت يوما لمندوب المخابرات المركزية الأمريكية - الذي جاء ينقل التصورات - أنتى لا أرى جديدا ، وأنا جادون فى البحث عن السلام ، لكنكم تخرجون الرئيس بهذه المواقف المائعة التي لا تقدم جديدا ولا تضيف شيئا .

لقد شرحت قبل ذلك كيف تجمعت الخيوط ثم تناقضت ووصلت إلى ذروة الصدام فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، بعد أن أعطت المجموعة فى استعراضها للقوة أمام الرئيس فى اجتماع اللجنة المركزية فرصة ذهبية ليتخلص منها نهائيا ، ولكن حتى بعد أن اتخذ الرئيس السادات قراره بإقالة على صبرى فقد لبث يظن أن السوفييت سيقومون برد فعل معاكس ردا على القرار ، ولكن لم يكن هناك - على عكس ما توقع - أى رد فعل ، ولعل الذين تعاملوا مع السوفييت طويلا وعميقا يدركون أن قانونهم العام فى التعامل هو أنهم يتعاملون مع وظائف رسمية فى الحكم لا مع أشخاص ، وأن خروج الشخص من إهاب الوظيفة يعنى بالنسبة لهم أنه أصبح لا شىء .

تداعت الأحداث بعد ذلك ، وانتهت الزوبعة كلها إلى السجن بعد أن فشلت محاولة محمد حسنين هيكل المتأخرة لإصلاح ذات البين ، ووجدت نفسى دون مقدمات منطقية اختفى خلف الجدران .

أننى حتى الآن لا أجد تفسيراً لكراهية مبكرة تملأ نفسى تجاه السجن ، ومن المؤكد أن ذلك يشكل احساسا عاما يتوافق لدى كل الناس ، لكنه كان بالنسبة لى لا يخلو من حساسية خاصة ، فطوال فترة عملى محافظا لثلاث محافظات فإن السجن فى كل محافظة هو الاستثناء الوحيد الذى لم أقم بزيارته ، رغم تكرار طلب هذه الزيارة ، كان شيئا فى داخلى يجزع من السجن ، وكنت أغير طريق سيرى دائما حتى لو كان يعنى مجرد المرور قريبا منه .

فى تلك الليلة ، ١٥ مايو ، أوصلتنى سيارة الشرطة إلى مبنى السجن ، وحين هبطت وانتظرت الخطوة التالية ، وجدت فوق رأسى لافتة كبيرة « السجن الحربية » وإلى جوارها لافتة أصغر « تأديب وتهذيب وإصلاح » .

وأخذت أغوص حتى رأسى فى بركة أسنة من المرارة والأسى ، قررت وأنا أعبر العتبة الأولى ، أن أقطع علاقتى تماما بالسجائر التى أدخنها بشراهة منذ خمسة وعشرين عاما ، وبالقهوة التى كنت أحتسى فناجينها دون حساب .

تسلمنى السجن على أوراق تسليم وتسلم كأنتى أحد المهمات أو المقاعد ، وصلت إلى زنزانتى ، كانت المرة الأولى التى أرى فيها زنزانة وقد غير ما رأيت تصورى تماما ، فقد كانت مضاعة بالكهرباء وبها سرير صغير ، ومقعد ومنضدة .

سمعت صرير اغلاق الباب من خلفي ، وجلست على طرف المقعد الخشبي دون حراك لم أعرف بالضبط ماذا كان علي أن أفعل ، لكنني غصت في أعماقي بين شظايا صغيرة مختلفة ، تتداخل مراهاها ومشاهدها بشكل غريب ، كانت سنواتي الماضية كلها تستعيدني دفعة واحدة وهي تلخص نفسها في صور صغيرة ، تمرق في عيني كأنها تحدث كلها في وقت واحد ، من الطفولة الى الكلية الحربية ، الى فلسطين ، ومن ليلة الثورة الى صبيحة الانفصال .. من عيون أمي الذابلة التي تركتها خلف باب منزلي كومة عظم في السبعين الى وجه أبي الذي كنت أجمع ملامحه بصعوبة من الطفولة المبكرة ..

أظلمت الزنزانة فجأة ، وفتح الباب . وجدت أحد المساعدين يقول لي معذرا أنه عطل مفاجيء ، لكنني وجدت نفسي أسأله : ماذا علي أن أفعل بالضبط ؟ .
قال : ما تريد .. يمكنك أن تنام ..

خلعت ملابسي وتلمست مسمارا على الحائط علقتها عليه ، ثم تمددت على السرير الخشبي جاحظ العينين حتى الصباح .

وجاء نهار اليوم التالي ثقيل الخطى فارغا ، أحسست أن مشكلتي الرئيسية أصبحت أنني بلا عمل بعد سنوات طوال لم أهجع فيها للراحة غير سويغات قليلة كل يوم ، كنت أعمل ١٨ ساعة يوميا في المخابرات ، إلى حد أن أحد أصدقائي كان يسألني دائما : هل يحتاج العمل إلى كل هذا الوقت ، وكنت أؤكد له صادقا أنه يحتاج إلى المزيد .

ما أكثر الأزمات التي اعترضت حياتي ولكنني كنت أخرج من أي أزمة بأمرين : الرياضة والقراءة ، ومع الأسف فإن كليهما أصبح صعبا .

مر قائد المعتقل في اليوم التالي ، وكان جم الأدب وسألته عن شيء أقرأه ، فقال لي أنه غير مسموح الا بكتاب الله ، وقد أصبح القرآن زادي بعد ذلك .

في يوم ١٦/٥ وبعد أربعة أيام من اعتقالى بدأ التحقيق معي ، وكان التحقيق الأول في دار القضاء العالي ، كانت الرحلة من السجن الحربي هناك بسيارة الشرطة القديمة المتأكلة وسط زحام المرور وأعباء التوقيت تبدو كأنها رحلة الموت .

لقد تم التحقيق معي ثلاث مرات بثلاثة محققين مختلفين ، استمر التحقيق الأول من ١٦/٥ إلى ٢٦/٥ وتم بواسطة فؤاد شوقي المحامي العام ، والثاني من ٥ إلى ٨/٦ وتم بواسطة صلاح نصار رئيس النيابة ، والثالث والآخر بين ١٤ و ١٥/٦ وكان المحقق أحمد نشأت .

وبخلاف صلاح نصار الذي كان يسعى الى معرفة التفاصيل الدقيقة ليلم بالقضية اماما صحيحا ، فلم يكن هناك أحد من المحققين الآخرين يهتم بالوقائع

السياسية وإنما كان يحصر المهمة كلها فى إطار الفهم أو المفهوم الجنائى ، ولم نكن بصدد واقعة جنائية ، وإنما بصدد قضية سياسية بالأساس ، لا يمكن لأسلوب التحقيق الجنائى الذى يقوم بصدد موضوع وللإجابة عن سؤال واحد : هل تم الفعل الجنائى أم لم يتم ، أن يحتوى مضمونها أو طبيعتها .

إننى فى هذا السياق لا أدافع عن الجريمة السياسية ، فهى بالتأكيد أشد فتكا من الجريمة الجنائية ، ولكن من المؤكد أن تناولها ينبغى أن يكون فى إطار مختلف .

لقد لفت نظرى أن محققى النيابة جميعهم كانوا يرتدون البذل الكاملة وأربطة العنق ، وكنا فى قلب حريق الصيف ، وتذكرت أننى عندما كنت أعمل أميناً للعمل السياسى فى التنظيم الطليعى بين عامى ٦٤ و ١٩٦٥ وفى أحد اجتماعات لجان المحافظات ، لفت نظرى أن المحافظ وحده من بين جميع أعضاء اللجنة هو الذى يرتدى البذلة الكاملة ورباط العنق ، ووجدتني أهرس فى أذنه ، لماذا هذا التزمتم فى الملابس وفوجئت به يقول : « إنها هيئة الحكم يا أستاذ » .

ولم تبرح إجابته رأسى حتى عينت محافظاً لأسبوع بعد عام واحد ، وفى أول صيف أصدرت تعليمات على مستوى جميع أجهزة المحافظة بعدم ارتداء البذل ورباط العنق والاكتفاء بالملابس الصيفية العادية ، وكنت أول من مارس ذلك بالفعل ، ولا أعتقد أن هيئة الحكم قد أصابها الضرر ، بل على العكس من ذلك تماماً .

كان المحقق فى سياق تصويره الجنائى ، يسقط من التدوين الشهادات والوقائع السياسية الأساسية ، لأنه لا يراها ذات معنى ، ولكن التحقيق مع ذلك كان يتسم بالأدب والمناخ الإنسانى ، ولم يكن فيه ما يوحى بغير أنه سبيل للوصول إلى الحقيقة ، لكن الطريق كما قلت لم يكن صحيحاً .

ولشد ما أمنى أن المحقق نفسه كان بعيداً عن فهم صحيح لدور ووظيفة المخابرات ، خاصة أنه حاول الإيحاء لى بمعرفته للكثير من التفاصيل ، وقد ظل يتصور أننى بوظيفتى كرئيس للمخابرات أتابع جميع الأفراد حتى فى حياتهم الشخصية وطلب منى فى إحدى الجلسات أن أتحدث عن الحياة الخاصة لعدد من المسئولين الذين وضعوا فى السجن .

ولعله لم يصدقنى ، حيث قلت له : إننى أسمع مثلك بعض الشائعات ولكن ليس هذا هو عمل المخابرات المصرية ، وفيما يبدو فإن أسطورة ، المخابرات التى تركض وراء كل مواطن ، ويكمن داخل كل بيت كانت مسيطرة على عقله هو الآخر .

فى يوم ١٦ مايو أخبرنى المحقق أنه لم يصل معى إلى نتيجة واحدة ولذلك فإنه سيتبدل بمحقق آخر ، ولم يصل المحقق الجديد إلى نتيجة هو الآخر ، ثم تكرر الموقف مع المحقق الثالث .

أريد أن أضيف أن دور المباحث العامة خلال مراحل التحقيق كان إيجابيا فقد كانوا جميعا مثالا لتأدية الواجب في اتجاهه الصحيح ، كما تحلوا جميعا بأدب جم في المعاملة .

وحيث انتهت النيابة العامة من جميع التحقيقات المطلوبة لم تجد في رصيدها النهائى ما يستوجب تحويل القضية إلى القضاء ، وهكذا صدر قرار بإحالة القضية إلى المدعى العام الاشتراكى .

وبعد انتهاء التحقيقات طلب ممدوح سالم وزير الداخلية أن يرانى للمرة الثانية وكان قد أخبرنى فى اللقاء الأول بأن نتيجة التحقيق معى تبعدنى عن شبهة الاتهام ولكنه وهو يستقبلنى بود أيضا فى اللقاء الثانى أبلغنى أنه قد تم الاتفاق على أنه من الأفضل أن تستمر اجراءات المحاكمة معى أيضا ولم أفهم لماذا ؟ وكان رده أن الاتفاق أيضا أن يصدر الحكم بعد انتهاء المحاكمة ببراءتى وأن الحكم بالبراءة فى هذا الإطار هو الأفضل ، لأنه سيكون حكما نهائيا يقطع جذور المسألة كلها .

وقلت له : إذا كان الأمر كذلك فإننى أكرر إصرارى على عدم زيارة أسرتى لى ، وعليهم أن ينتظروا - أيضا - حتى يصدر حكم البراءة .

وانعقدت المحكمة وفوجئت بالمدعى العام يقول فى خطابه الافتتاحى أننى من أصدقاء سامى شرف ولا أعرف من أين نبئت فى رأسه هذه الفكرة ، ولكننى علمت بعد ذلك أن عزيز صدقى قد تطوع بأن ينقل للرئيس السادات فى الوقت نفسه معلوماته اليقينية على أننى صديق شخصى لسامى شرف بالفعل .

ولا أعرف كيف صدق الرئيس السادات ذلك ، فقد كان يعرف تماما أنه ليس بينى وبين أحد من أفراد المجموعة أية صلات شخصية فوق أننى لم أكن على امتداد مسيرة الثورة منتصيا أو منتسبا لتجمع أو شلة .

انتهت اجراءات المحاكمة وتوقفت لانتظار الحكم بالبراءة ، ولكن العاصفة كانت عاتية ، حيث أصدرت المحكمة حكمها بسجنى لمدة سبع سنوات خففت بعد ذلك إلى ثلاث سنوات أمضيتهما جميعها باليوم الواحد مقيد الحرية .

أما الرئيس السادات فقد حاول أن يخفف الموقف بأن أصدر أمرا بإحالتى إلى مستشفى القوات المسلحة لإمضاء سنوات السجن ، وإن كان قد أصر على أن يحولنى من المستشفى إلى سجن طره لأقضى ليلتى الأخيرة قبل الإفراج عنى فى صباح اليوم التالى ، ولعله أراد أن أعود إلى الحرية ومذاق السجن عالق بسمى .

وتبستدت فرصة تاريخية التصحيح

لفهم ما حدث فى ١٥ مايو ١٩٧١ يتبغى إدراك أن رحيل جمال عبدالناصر قبلها كان يعنى فراغا سياسيا حقيقيا ، فى وقت غير مناسب لمصر ، وفى الوقت الذى كانت فيه طبيعة الأشخاص والأدوار والنظام السياسى نفسه لا تشكل قاعدة استقرار أو استمرار ، ولهذا كان التحول من ضفة إلى أخرى سهلا وبسيطا ، وتلك مشكلة مزمنة فى تجربة ثورة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ ، ليس هذا مكان مناقشة أسبابها ومظاهرها .

بالنسبة لى فقد كان إحساسى بالمرارة مضاعفا داخل السجن لأننى كنت أعرف أن الرئيس السادات يدرك عن يقين أن خلافتى مع هذه المجموعة قديمة ومستمرة ، وسابقة على تسلمه موقع المسئولية الأول فى الدولة ، وكان يعرف - أيضا - أن خلافتى معهم لم تكن يوما خلافات شخصية لأنه لم يكن بينى وبين أى منهم مساحة علاقة اجتماعية يمكن أن تنبت فى تربتها مثل هذه الخلافات ، وإنما كانت خلافات عمل خلافات حول الأسلوب أحيانا ، وخلافات حول الرؤية السياسية فى أحيان أخرى ، بل إن بعض خلافتى المستمرة معها كانت أحيانا تصل إلى جمال عبدالناصر عن طريقه ، فضلا عن أننى كنت فى مقدمة الذين كان السادات نفسه - وهو فى موقع نائب الرئيس - يأتهمهم على شكواه منهم ، ومتاعبه معهم .

وكانت متاعبى - كمتاعبه - قد وصلت إلى ذروتها بعد هزيمة يونيه ١٩٦٧ ، بعد الهزيمة بأيام قليلة وعندما كنت محافظا لمحافظة أسيوط فوجئت بعبدالمحسن أبوالنور ذات مساء متأخر على التليفون ، كان صوته مفعما بالآثار الرهيبة للحدث ، وكانت نبراته تغالب مشاعر أسى عميق ، قال باقتضاب شديد :

أحمد .. نريدك معنا ..

قلت وقد أخذتنى الدهشة : فىن ؟

قال : معنا هنا تعالى إلى القاهرة لنتكلم .

لم أقهم بالضبط ماذا كان المقصود ، ولا ما طبيعة المهمة أو العمل الذى يرى

أننى مناسب له فى هذه الظروف المعقدة الصعبة ، ولم أكن أعلم حتى هذه اللحظة أنه عين أميناً مساعداً للاتحاد الاشتراكى .

لم يكن ثمة مناص من اتمام المقابلة فتركت أسيوط وجئت إلى القاهرة ، وكان همى الوحيد أن أقنع الأمين العام بأننى لا أصلح لهذه المهمة ، وأننى « شاييف شغلى ومبسوط فى أسيوط » ، وبدا لى أنه أقنع ، فعدت أدراجى إلى أسيوط وأواصل عملى بشكل اعتيادى ، لكن هذه المرة عاود سامى شرف الاتصال بى بعد أربعة أسابيع أخرى ، وكانت المكالمة أكثر اقتضاباً : أحضر إلى القاهرة .. نريدك ..

ذهبت إلى مكتبه حيث أخبرنى أنه لا مناص من موافقتى على تسلم مسئولية الشباب وحين كررت رفضى ، أغرورقت عيناه بالدموع ، وقال : إن الظروف صعبة والرئيس يعانى ولا بديل .

ذهبت إلى عبدالمحسن أبوالنور وقلت له هذه المرة : لقد جئت أتسلم مسئولية الشباب ، ولم أعد إلى أسيوط بعدها .. ففى مساء اليوم نفسه كنت أحمل حقيبتى الصغيرة كالعادة ، وأتسلل تحت الظلام نحو مبنى منظمة الشباب دون أن يعرف أحد أو يعرفنى أحد .

بدأت عملاً مكثفاً فى منظمة الشباب ، ساعدت عليه طبيعة المرحلة والظروف ، كانت الأجيال الشابة الجديدة فى مصر هى أكثر الجميع تمزقاً ، فقد دهمها حدث الهزيمة كما لو كان قطاراً مسرعاً ، وهى تنن غير مصدقة وغير متوقعة تحت عجلاته الثقيلة ، وبدأ فى لحظة أننا أسقطنا أحلام هذه الأجيال من أعلى قمة الأهرامات إلى سفح عميق ماله قرار .

فى كل اجتماع أو لقاء مع مجموعات الشباب على مستوى محافظات مصر كلها ، كنت أرى فى العيون من حولى ، صرخات مكتومة ، ثم وفى الوقت نفسه طاقة فعل بلا حدود ، وكان لابد من عمل سياسى صحيح ، أولاً لإطلاق طاقات فاعلة تريد أن تمنح نفسها دون منة أو منفعة لإعادة بناء ما أنهار فى لحظات ، وثانياً : لأنه دون إطلاق هذه الطاقات فى اتجاه صحيح فعلاً ، كما كنت أومن - وما أزال - فإن العواقب ستكون وهيمة ، لأن الثورة ستجد نفسها دون مقدمات فى تناقض غير مبرر وغير منطقى مع أجيالها الجديدة ، وهو تناقض لا يهدد استمرار التجربة فقط ولكنه يحول الوطن بأكمله إلى كائن معوق .

بدأت عملى فى منظمة الشباب خلال الفترة الأولى بعمل مؤتمرات فى كل المحافظات لينتهى إلى وضع إطار خطة عمل لعام ١٩٦٨ ، وكانت هذه المؤتمرات دون مبالغة نقطة تحول فى تاريخ مصر ، لأننا كنا أول منظمة سياسية تقوم بأوسع عملية نقد ذاتى ، وهو ما انعكس تلقائياً على بيان ٣٠ مارس ، الذى قدمه عبدالناصر لإعادة البناء .

لكن كنت اتحسب مساحة صدام بين قيادات الاتحاد الاشتراكي وبين الأجيال الجديدة التي اندفعت تمارس النقد على نحو واسع .. وسرعان ما اتسعت هذه المساحة بعد أن أصدرنا جرائد باسم الشباب في كل محافظات مصر ، ارتفعت فيها نبرة نقد حادة ضد القيادات السياسية المحلية ، وأعضاء مجلس الشعب .

لم يكن ثمة سبيل سوى إطلاق طاقة الشباب في الاتجاه الصحيح والصحي ، ولهذا أليت على نفسي ألا أبرر شيئاً مهما كان وفي مناخ الشباب ، وفي قلب توجهه الوطني ، كنت أتكلم مثله مندفعاً ومتحمساً ، وناقداً دون أن ألزم نفسي بقيد . أذكر في مؤتمر للشباب عقد في هذا الوقت بمركز شباب الجزيرة أن خيم على المؤتمر حدث غريب تم في أحد أقسام القاهرة .

فقد واجه أحد الطلاب من أعضاء المنظمة ، أحد أعضاء مجلس الشعب ، ونقده بشكل حاد ومتحمس لما كان العضو البارز يطرحه حول لا جدوى من المقاومة بعد الهزيمة ، وكانت النتيجة أن النائب قد جمع عدداً من أتباعه وانهاكوا وهو معهم على الطالب اليافع ضرباً بكل ما وصل إلى أيديهم فأحدثوا به إصابات متفرقة ، ثم اقتاده النائب بنفسه إلى « المباحث العامة » وأودعه الاعتقال على أساس أنه تكلم كلاماً خارجاً في حق القيادة السياسية ، وأصبح شباب القاهرة كلها في حالة غليان في اليوم التالي ، ولقد قلت في هذا المؤتمر بالحرف : إنه لا بديل أمامنا سوى أن نكون ككسارة البندق ، إحدى ذراعيها هو جمال عبدالناصر والذراع الأخرى هي الشباب لنكسر كل من يحاول أن يعوق مسيرتنا .

ورغم أن جمال عبدالناصر قد عرف بقصة الطالب ، وتم الإفراج عنه في اليوم التالي ، وعاد يمارس نشاطه بشكل اعتيادي ، فإنني فوجئت بشعراوى جمعه يسألني بعد أيام دهشاً : من الذي استخدم تعبير « كسارة البندق » ..

فقلت له : « إنه أنا .. وكيف لم يبلغك من أخطرك به عن اسم صاحبه » ..

ولم يكن ما يفعله الشباب على كل حال مرضياً لقيادات الاتحاد الاشتراكي هنا أو هناك .

وفي بداية ١٩٦٨ صدرت أحكام الطيران وتصاعد الغضب ثم الغليان ، واندلعت المظاهرات وبدأت من مصنع ٦٤ الحربي ، خرجت المظاهرات من المصنع وحاصرت قسم البوليس ودوى صوت الرصاص وسقط عاملان مصابين بالطلقات النارية ، في الوقت الذي أخذت فيه تجمعات طلابية في جامعتي القاهرة وعين شمس تتسع بسرعة بعد أن وصل إلى الجامعة خبر إطلاق النار على العمال في حلوان ، وامتلات حناجر الطلبة بشعار : يحيا اتحاد الطلبة مع العمال .

عندما وصلني خبر إصابة عاملين بطلقات نارية في حلوان كلمت وزير الصحة النبوي المهندس وقلت له : أرجوك أن تذهب إلى مستشفى حلوان وأن تبذل

قصارى جهدك لإنقاذ حياة العاملين المصابين ، لأنه إذا حدث لا قدر الله وماتا ، قلن نستطيع أن نوقف المضاعفات فى صفوف الشباب والطلاب والعمال ولن نستطيع أن نلم الموقف .

وذهب النبوى المهندس إلى مستشفى حلوان بالفعل وكلمنى من هناك ، قال : إن حالة العاملين مطمئنة وأن الأطباء يبذلون قصارى الجهد لإنقاذ حياتهما ، ولعلها مناسبة أن أشهد بهذا الطبيب العالم الذى لم ينل حقه من التكريم أو الاشادة ، بالرغم من أن تاريخه فى وزارة الصحة يستحق أن يكتب بمداد من ذهب .

أخذت المظاهرات فى الاتساع وانتقلت إلى جميع الجامعات المصرية ، ثم إلى المنطقة الصناعية بشبرا الخيمة وأصدرت تعليمات لشباب المنظمة بأن يقوموا باحتوائها سياسيا ، غير أن الاحتكاك سرعان ما بدا بين الشباب والشرطة ، وفشلت محاولات التهدئة أو الاحتواء (مرفق ضمن الملاحق تقرير تفصيلى للأمانة بسير أحداث المظاهرات من يوم ٢١ إلى يوم ٢٧/٢/١٩٦٨ مع تحليل تفصيلى لأحداثها) .

فى بداية المظاهرات طلبت على صبرى تليفونيا بوصفه الأمين العام للاتحاد الاشتراكى ، قلت له :

أرجوك أن تذهب إلى الجامعة فورا .

قال : لماذا ؟

قلت : هناك حلقات طلابية غاضبة إذا تركت فسوف تتحول إلى مظاهرات عارمة .

قال : لا ... لا أرى مبررا لذهابى ..

قلت : إذن اسمح لى أن أذهب وأناقش الطلاب ..

قال : وأنت أيضا لا تذهب ..

كان قرارا وكان على تنفيذه ، لكننى لم استطع أن أحبس انفعالى فقلت له : تذكر إذن أن أحمد باشا ماهر الذى نصفه بأنه من رجال العهد البائد اختار أن يذهب إلى الجامعة عندما كان رئيسا للوزراء وأبلغ بمظاهرات بين الطلاب تهتف بسقوطه .. تذكر أنه ذهب بدون حرس واستطاع أن يفض المظاهرة بالحوار وأن يقنع الطلاب ، حتى أنه خرج من الجامعة محمولا على أعناقهم .

وأتصور أن على صبرى لم يتحمل كل ما قلت ، فقد أحسست أن سماعه التليفون قد وضعت على الجانب الآخر قبل أن أنهى كلامى .

الغريب بعد ذلك أنهم حملوا منظمة الشباب نتائج ما حدث ، بل ومع الأسف

الشديد ، فإن تقارير الأمن والمخابرات التي قدمت إلى عبدالناصر حاولت أن تحملنى شخصيا مسئولية النتائج باعتبارى العامل الأول فى إثارة الطلاب أو العمال . وبصراحة فقد أطلعنى سامى شرف بعد ذلك على صور من تقارير أرسلها أمين هويدى رئيس المخابرات آنذاك إلى الرئيس تتحدث عن وجودى فى شبرا الخيمة قبل اندلاع المظاهرات ووجودى فى حلوان قبل انفجارها .. وهكذا فإن وجودى فى كل مكان كان هدفه هو مساعدة الغضب على أن يتحول إلى صدام ، وطلب إلى سامى أن أرد ، وقد شكلت لجنة تحقيق من المنظمة أثبتت كذب هذه الدعاوى لأننى كنت فى مكتبى لا أغادره مطلقا وفى اجتماعات مستمرة مع الطلاب أو أساتذتهم لمحاولة التغلب على هذه الأزمة .

فى أعقاب الصدام بين الشرطة والمتظاهرين ، اتصلت بسامى شرف وقلت له : لقد تفاقت المسألة فى الشارع ، أرجوك أن تطلب من الرئيس أن يلقي خطابا من الراديو والتليفزيون فى أسرع وقت ممكن .

ورد سامى شرف : أنا لا أستطيع .

قلت : والحل ؟

قال : إذا كنت ترى ذلك أرسل له أنت خطابا باسمك ..

وجدت أنه لامناص من فعل ذلك ، فجلست وكتبت مذكرة كاملة للرئيس كان من بين ماقلت فيها :

« سيادة الرئيس .. أريد أن أراك بسرعة والشعب وسط هذه العاصفة ينتظر منك كلمة (نص صورة من المذكرة مرفق بالوثائق) .

فى اليوم التالى (٣ مارس) وجدت الرئيس على التليفون سألنى مباشرة : لماذا تريد أن تقابلنى بشكل عاجل ؟ ! أنا أسف اننى مشغول بتجهيز الخطاب الذى سوف ألقيه فقل لى ماذا تريد ..

قلت : أريد أن أشرح لسيادتك الحقائق ..

تسأل دهشا : أية حقائق ؟ .

قلت مباشرة : هناك عمال ضربوا بالرصاص ..

قال دون أن أكمل : لا .. هذا غير صحيح ..

قلت : لقد حدث ذلك يا فندم ..

قال : كل البيانات التى لدى تقول إنهم ضربوا ببنادق رش .

قلت : لا يا فندم .. لقد ضربوا برصاص حقيقى .

قال مستنكرا ومدهوشا : ماذا ؟ .. ماذا تقول ؟ .

قلت : تستطيع أن تسأل وزير الصحة النبوى المهندس فقد تحدثت إليه ورجوته أن يذهب إلى مستشفى حلوان خشية أن يموت المصابون فيزداد الموقف سوءا ..

قال : أمر غريب ...

واصلت حديثي : الأمر الثانى أن هناك طلابا من الثانوى والاعدادى قد تم القبض عليهم واعتقالهم والناس

قاطعتنى مرة ثانية مستنكرا : طلبة ثانوى واعدادى ايه .. وكيف يقبض عليهم ؟

قلت : لهذا يا سيادة الرئيس كتبت إليك راجيا أن توجه كلمة للشعب ..

اتسعت المكالمة بعد ذلك لمناقشة التفاصيل ، فقد قدمت للرئيس عرضا لأسلوب العمل فى المنظمة ، وطلبت منه أن يدعو (خالد) نجله للانضمام إلى شبابها ، ولكنه قال لى أن اهتمامات خالد تدور حول هوايات كثيرة ، وقد لا تكون لديه اهتمامات سياسية ، وطلبت الرئيس بالافراج عن المعتقلين من طلاب الثانوى والاعدادى والجامعة ، وقد أمر بالافراج الفورى عن ٢٥٤ طالبا واعادة المفصولين منهم الى كلياتهم ومدارسهم وتحدثت عن موضوع صرف الأرباح للعمال الذى تزامن مع خطاب الرئيس ، وقلت له أن هناك شائعات ظهرت بأن الرئيس يرشو العمال قبل أن يلقي خطابه ، وقال الرئيس وهو يبدى دهشة إن صرف الأرباح كان مقررا من شهر مضى ، وقبل أن تحدث الملابس الأخيرة بما فيها اندلاع المظاهرات .

وانتهى الحديث وأغلق التليفون .

ورغم أن الرئيس ألقى كلمته بالفعل ، وقال إنه لا ينبغي أن نسمح بأن يكون هناك تناقض بين الثورة والشباب ، لأن الشباب هم الحقيقة والمستقبل وهم الثورة فى نقائها ، إلا أن الصراع لم يتوقف ، والمعالجات الخاطئة لم تنته .

فى ليلة ٢١ ، ٢٢/٢/١٩٦٨ وبعد يومين من اعتصام الطلاب فى كلية الهندسة وجدت السيد على صبرى يطلبنى تليفونيا ويقول لى : لقد صدر قرار بأن يقبض على طلاب الجامعة من داخلها بواسطة الشرطة ، ولذلك أرجو أن يعاون أعضاء المنظمة قوات الشرطة فى تبرير القبض على هؤلاء الأشخاص .

قلت له : لا يمكن .. مطلقا ..

قال : يعنى ماذا ؟

قلت : هذا اجراء لا يصلح وأنا غير موافق عليه .

ازدرد ما قلت فى هدوء وقال : على كل شعراوى جمعه سيتكلم معك حول

الموضوع . بعد قليل كلمنى شعراوى جمعه بنبرة رقة وود :

يا احمد نريد ان يساعدنا اولادك فى الجامعة وسوف نلتقى غدا ونتكلم ..

قلت باصرار : هذا ليس ممكنا ...

قال وقد تغيرت نبرته : ماذا تعنى .. انه قرار الرئيس ..

قلت : ليكن .. قل للرئيس ان احمد كامل ليس موافقا على هذا القرار .

قال : ماذا تقصد ؟

قلت : ما الذى يدخل الشرطة إلى الجامعة للقبض على الطلاب وما دخلها فى ذلك .. الجامعة بها عمداء ومجالس تأديب يمكن ان يحال الطلاب إليها وتحاسبهم حتى لو حاسبتهم بالرفق .

تذرع بالصمت فأضفت : اتصور ان دخول الشرطة إلى الجامعة للقبض على الطلاب لن يكون علاجاً ، بل العكس سوف يعنى تحريض الطلاب على التظاهر من جديد .

قال : قلت لك إنه قرار الرئيس .. ولم يكن ثمة بديل عن أن ينهى المكالمة ..

اتصل بى سامى شرف بعد دقائق وقال : يا احمد إنه قرار الرئيس بالفعل ..

قلت : حسنا .. اطلب الرئيس وقل له إن هذا رأى وإنتى أرفض ...

قال : كيف اطلب الرئيس .. الساعة الآن الثالثة صباحا وقد تأكدت ان الرئيس قد نام بالفعل ، وعلينا أن نتحرك صباحا ..

قلت : إذن أيقظ الرئيس من النوم وأخبره ..

قال : لا هذا غير ممكن .. لا أستطيع إيقاظ الرئيس ..

قلت : وأنا أيضا لا أستطيع تنفيذ القرار .

كان هذا الحديث فى حضور مكتب أمانة الشباب فى مكتبى حيث كنا نتدارس اساليب وحل المشكلة .

وضع سماعة التليفون ولم يرد ، وفوجئت بعد دقائق معدودة بسامى شرف يطلبنى مرة ثانية ، كان قد أيقظ الرئيس من النوم ونقل اليه حوارى معى ولم أفاجأ هذه المرة به وهو يقول باقتضاب .

لقد وافق الرئيس على رأيك ..

فى اليوم التالى ٢٢/٢/١٩٦٨ كان ثمة إخراج آخر للموضوع ، فقد أقيم

مؤتمر مع مديري الجامعات حضره على صبرى وكان حريصا على أن يصطحب معه أمين هويدى ، وشعراوى جمعه ، إضافة لى ، وكان ما قاله على صبرى لرؤساء الجامعات :

« حاسبوا أنتم الطلاب .. الرئيس لا يريد أن يتدخل فى الجامعة .. » ..

ولم يكن هذا هو الموقف الوحيد ، فقد سبقته مواقف أخرى ليست أقل توترا أو انشدادا ..

أذكر فى أوج عمل المنظمة وقبل أحد مؤتمراتها الموسعة مع قياداتها على مستوى أمناء المحافظات والمراكز أن طلبت على صبرى وقلت له : الشباب يريدون أن يجلسوا معك .

قال : حسنا ...

اجتمعنا فى المؤتمر قبل أن يأتى على صبرى وسألنى بعض الشباب على مسمع من الجميع ، ماذا نقول :

قلت : قولوا ما تريدونه .. بحرية كاملة ..

وقد كان ، قالوا ما يريدون وبلا ضوابط وكانت عاصفة حادة من النقد والمحاسبة تحملها على صبرى بهدوء .. لكن نتائجها لم تنته بالنسبة لى ..

كان مطلوبا بعد ذلك وبالحاح أن أترك المنظمة ، ثم أن يقلص دورها وأن يحل وبعد بيان ٢٠ مارس ١٩٦٨ مباشرة أعلن عبدالناصر عن إعادة بناء الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة بالانتخاب المباشر .

لقد كنت اشغل منصبتين فى التنظيم : أمين اللجنة المركزية للمنظمة وأمين الاتحاد الاشتراكى فى الوقت نفسه ، وكان منطقيا أن قرار الانتخاب لا ينطبق على أحدهما وهو أمانة اللجنة المركزية للشباب .

ومن المؤكد أن الرئيس عبدالناصر كان يعرف ذلك ، لكنه سمح للقرار أن يشمل الموقعين ويبدو أنه كان مطلوبا أن أترك منظمة الشباب فلم يعد وجودى مصدر راحة لبقية المسؤولين فى المنظمة والدولة ..

وكان قرار إعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب قد صدر على أن تتم استقالة الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى فى ٢/٥/١٩٦٨ وبعد اجتماع الأمانة العامة بعلى صبرى فى ٣٠/٤/١٩٦٨ والذي حدد فيه أن يتولى أمين المنظمة بالنيابة الشخص التالى للأمين فى منظمة الشباب وكان هذا الشخص هو الدكتور مفيد شهاب والذي صدر باسمه قرار بأن يزاول أعمال أمين الشباب بالنيابة اعتبارا من ٢/٥/١٩٦٨ .

وهنا نقطة عليها علامات استفهام كثيرة .. لماذا أعفيت من منظمة الشباب ..
سؤال سوف يبقى سرا مع عبدالناصر ...

ثم بادرت بعد ذلك بالاتصال بسامى شرف وحملته رسالة إلى الرئيس كان
مضمونها يقول : إنتى أشكره ، وأبلغه رغبتى فى الاستقالة التماسا للراحة ..

وعاود سامى شرف الاتصال بى ، ونقل لى رد الرئيس : لا استقالة ..

وابتلعت الرد وقبعت فى بيتى ..

بعد يومين اتصل سامى مرة ثانية وقال :

الرئيس أصدر قرارا بتعيينك محافظا للمنيا ..

رددت دون أن أراجع كلماتى : « يعنى من زفت إلى أزفت يا قلبى لا تحزن » ..

قال : يعنى إيه ؟

قلت : يعنى من الصعيد للصعيد ..

لم أتصور أن سامى سوف ينقل نص كلماتى إلى الرئيس .. لكننى سمعتها بعد
ذلك بستة أشهر ومن الرئيس شخصيا وهو يضحك ..

ذهبت منكسر القلب إلى المنيا .. كنت أرى أن العواصف لن تتوقف وأن فرصة
تاريخية للتصحيح سوف تتبدد وتضيع .. كنا فى منظمة الشباب قد تأهبنا لنزول
معركة الانتخابات ، ولو حدث ذلك لتجنبنا مصر كثيرا من المفاجآت التى حدثت
بعد ذلك .. لكن الضربة لم توجه لى وإنما فى الأساس إلى الأجيال الجديدة
المملوءة حماسا ونقاء ورغبة فى العطاء والتغيير ، ولم تتوقف الاشتباكات ولا
المعارك .

عندما تهردت الأجيال الجديدة ومنعت من المشاركة في رفع القاض الهزيمة

لم تأت علاقتي بالشباب من فراغ ، فقد كان عملي في القوات المسلحة منذ البداية يشكل بيئة متصلة بالشباب الذين ينخرطون في خدمة القوات المسلحة ، ويمثلون شرائح المجتمع المختلفة اجتماعيا وثقافيا وجغرافيا .

ولقد بدت أول فرصة للعمل السياسي مع الشباب عندما تركت خدمة القوات المسلحة وتفرغت في رئاسة الجمهورية ، فقد كان المشرف على أنشطة الشباب في ذلك الوقت هو السيد زكريا محيي الدين ، وقد أرسل لي يوما أنور بهاء الدين يبلغني برغبة زكريا محيي الدين في أن أعمل معه في قطاع الشباب ولكنني علقت إمكان ذلك على موافقة يستحصلها من جمال عبدالناصر .

وحين عملت بعد ذلك في أمانة التنظيم الطليعي كان كثير من العمل يدور مع الشباب ، إلى أن أعلنت منظمة الشباب ، وتولى أمانة لجنتها المركزية د . حسين كامل بهاء الدين ، وكان ضمن أمانة الشباب السيد سمير حمزة الذي كان عضوا في التنظيم الطليعي من مجموعة سامي شرف ، وكان دائم الاتصال بي كما كنت على معرفة كاملة بما يجري في المنظمة .

لقد عينت بعد النكسة أمينا للشباب ، في ظل ظروف كادت الصدمة فيها تبدد في قلوب وعقول الشباب الحلم والأمل واليقين .

وكانت الصدمة أيضا من نصيبى مبكرا فقد زارني في أسبوط عندما كنت محافظا يوم ٧ يونيه ١٩٦٧ وقبل يومين من إلقاء عبدالناصر لخطاب التنحي الأخ البشاري وكان من ضباط الطيران ليخبرني أن الطيران قد دمر وأنهم جاعوا ليقيموا في مطار أسبوط .

ولا أستطيع أن ادعى أن الحلم والأمل واليقين داخلني لم تتعرض لعاصفة عاتية كذلك ، ولهذا كنت أسائل نفسي وأنا في طريقى إلى منظمة الشباب ، ماذا سأقول لهؤلاء الشباب ؟ وكيف يمكن لي أن أساهم وسط أنقاض الهزيمة في أن أعيد إليهم الثقة بأنفسهم أولا وبوطنهم ثانيا ؟ .

دخلت إلى مبنى المنظمة تحت جناح الظلام ، منفردا وبحوزتي حقيبتى

الصغيرة . قطعت الحديقة دون سائل ، ثم كان أول من قابلنى الأخ علاء قاسم ولم يكن أحدنا يعرف الآخر فسألته : أين مكتب أمين الشباب فقال لى : أنه ليس لدينا أمين للشباب ، فقلت له : أنا أمين الشباب ، ثم سرت إلى جواره دون تعليق حتى أوصلنى إلى مكتبى ، ثم جلسنا لساعات فى حوار طويل وعميق ، كان العمل مع الشباب هو إطاره ، وقد لمست فى كلماته اقترابا حميما من رؤيتى فقد كان يرى أن المشكلة ليست فى تلقين الشباب أبواب الميثاق العشر وإنما فى العمل على غرس القيم السياسية والاجتماعية الايجابية فيهم .. وكانت رؤيتى - باختصار - تدور حول ضرورة اعتماد اسلوب التربية السياسية لا التلقين وقد كان ذلك مصدر خلاف حاد - فيما بعد - مع عدد من قيادات المنظمة .

كان من الطبيعى أن أبدا عملى بالاجتماع مع مكتب الأمانة حتى اتعرف على الموقف كاملا ، وكان مكتب الأمانة يتشكل من د : عادل عبدالفتاح ، د . محمود شريف (محافظ القاهرة حاليا) ود . عبدالأحد جمال الدين (رئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة حاليا) وصلاح الشرنوبى ، عزت عبدالنبي ، عبدالغفار شكر (عضو الأمانة العامة لحزب التجمع حاليا) ، لواء جمال هدايت ، سعيد حشمت (مدير جهاز الرياضة بالمجلس الأعلى للشباب والرياضة بعد ذلك) ، نور الدين فهمى ، هاشم العشيري ، صلاح عبدالله .

قبل أول اجتماع للأمانة مباشرة ، فوجئت بكاريكاتير فى الأهرام لصلاح جاهين يصور استقبالى فى المنظمة ولم أفهم ماذا يقولون فسألت من بجوارى فقال : إنهم يقولون أهلا ، وقد أثار هذا الكاريكاتير غضب المنظمة كلها ، فقد اعتبروه إهانة لهم ، وكان على أن أبدا بمحاولة امتصاص بعض أبخرة الغضب .

اعقب ذلك حضور الأخ محمد رجائى من التلفزيون (مدير القناة الثالثة حاليا) ليجرى معى حوارا ، لكن ما قلته فى الحوار ساعد على احتدام الغضب ، فحين سألتنى عن وظيفة منظمة الشباب قلت إنها منظمة تربوية سياسية ، ولم ترق هذه الإجابة للشباب فقد قالوا أن التربية مسئولية وزارة التعليم ، أما المنظمة فهى تنظيم سياسى .

كانت تلك هى البداية ، ولذلك لم يكن غريبا أن يكون الانطباع السائد فى المنظمة بعد ذلك أنتى إنما جئت مكلفا بتصفية المنظمة ولم يكن لذلك أى نصيب من الصحة بالقطع .

قلت منذ اليوم الأول إن أماننا مهمة صعبة لإعادة الثقة حتى لا ينهار البناء العظيم الذى أقيم ، وترجمنا ذلك إلى برنامج لقاءات مع الشباب فى مواقعهم المختلفة على مستوى جميع المحافظات ، وكانت اللقاءات والاجتماعات صاخبة وعاصفة ، يلقي فيها الشباب بكل الحقن والألم والتمزق دون تردد ، وكان الرد أكثر صعوبة بكثير فلم يكن هناك ما يمكن أن يقال تبريرا أو تخفيفا ، ولم يكن ثمة بديل عن أن تبدأ المنظمة بنفسها أول نقد ذاتى عام دون قيود أو ضوابط ، بدانا من

القاعدة حتى القمة فى جميع مفردات خطة جديدة لعام ١٩٦٨ ، وقمنا ببناء الخطة بالفعل ، وقد بذلت فى سبيل تحقيق ذلك جهود كبيرة توجت بمؤتمر عام للمنظمة لمناقشة الإطار العام للخطة وإقرارها .

لم تتوقف المشكلات من حولنا ، فقد فوجئت - مثلاً - بأنباء عن القيام بتشكيل تنظيم شبلى جديد فى الجامعة وأن المكلف ببناء هذا التنظيم هو السيد توفيق عويضة (سكرتير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) وكان غريباً أن تتعدد تنظيمات الشباب دون تنسيق ، وقد كتبت بذلك إلى سامى شرف ثم صدرت التعليمات بوقف التنظيم الجديد .

وفوجئت فى ١١/٨/١٩٦٨ باستدعاء من السيد عبدالمحسن أبوالنور (الأمين العام للاتحاد الاشتراكي) لعقد اجتماع فى مكتبه ، وحين ذهبت وجدت د . حسين كامل بهاء الدين وقد تقدم بمذكرة يحتج فيها على الإطار العام لخطة ١٩٦٨ بانفعال شديد ، وقد كان انفعالا شخصيا ليس له ما يبرره ، فقد تصور أن التقييم النقدى لأعمال المنظمة فى الفترات السابقة ، يعنى طعنا فى قيادته أثناء توليه أمانة الشباب ، وهو ما لم يجلب بخاطرى أو خاطر أى ممن شاركوا فى وضع هذه الخطة ، وقد ألمنى أن يذكر فى مذكرته أن أسلوب رصد السلبيات هو أسلوب لا أخلاقى وهدام ، على الرغم من أننى لم أخاطب الشباب مرة واحدة دون أن أثنى على العمل الكبير الذى قامت به القيادة السابقة للمنظمة قبل النكسة ، ولقد وجدت أن التعامل الصحيح مع هذه المذكرة هو كتابة رد عليها وتحويلهما « المذكرة والرد » إلى مكتب الرئيس (وكلاهما موجود فى الوثائق الملحقة) .

لقد كانت العلاقة أيضا بين المنظمة والاستاذ محمد حسنين هيكل ينقصها كثير من الدفء والود ، فقد كان شباب المنظمة يأخذون عليه أنه لا يسمح بنشاط للمنظمة فى مؤسسة الأهرام ، وقررت أن أذهب للقائه حيث دار بيتنا حديث طويل بدأ بفكرات معرفتى الأولى به حينما كان يعمل مراسلا حربيا فى فلسطين خلال حرب عام ١٩٤٨ ، وقد طلبت منه أن يقرأ الإطار العام لخطة المنظمة وأنه يسعدنى أن أتعرف على رأيه .

وقد علمت بعد ذلك أن الرئيس عبدالناصر حول له الخطة لبدء الرأى ، وأنه كتب إلى الرئيس تعليقا بالغ الإيجابية عليها ، ثم دعوته إلى لقاء مباشر مع الشباب ليقولوا فى حضوره مفردات نقدهم له وأبدى ترحيبا بذلك ، واتفقنا على أن يحضر مؤتمر الشباب فى ٥ فبراير ١٩٦٨ ، ولكن فى مساء يوم ٤ فبراير اتصل معتذرا عن عدم تمكنه من حضور المؤتمر لسفره إلى أسوان حيث كان الرئيس تيتو فى زيارة لمصر ، وكان قد صدر فى اليوم نفسه قرار بتعيين على صبرى أمينا للاتحاد الاشتراكي ، ولما كنت أعلم انشداد العلاقة بينهما ، فلست أعرف حتى الآن ما إذا كان الاعتذار بسبب زيارة تيتو ، أو بسبب وجود على صبرى .

لقد بدأنا هذا المؤتمر بنشيد « بلادى بلادى » فقد وقع اختيار المنظمة عليه .

ليكون نشيدا خاصا بها ، وتم تعميمه في كل مؤتمر واحتفال عام ، وقد أصبح هو النشيد الوطنى المصرى بعد ذلك عندما سمعه الرئيس أنور السادات في أحد المؤتمرات فقرر أن يصبح نشيد الوطن كله .

فى يوم ٢٧ / ١ / ١٩٦٨ دعيت إلى لقاء مع على صبرى واستمر الحديث فى هذه المقابلة لمدة ساعتين متصلتين ، كان بدوره يبدى اعتراضا على خطة المنظمة الجديدة ، ولم تخرج اعتراضاته عن ذلك السياق الذى تضمنته مذكرة د . حسين كامل بهاء الدين ، بل إن أكثر ما أدهشنى اعتراضه على فكرة نشر البرنامج على نحو علنى فى جريدة الأهرام حسب اتفاقى مع محمد حسنين هيكل . فقد قال إن ذلك معناه إدخال أناس غير مسئولين فى مناقشة الخطة ، وكأنه يتصور أن منظمة الشباب أو أن العمل السياسى عموما هو كهنوت محظور على غير كهانه الاقتراب منه ، وكان من أغرب الأمور التى أثارها إيمانه الكامل بالكم لا الكيف ، رغم أن أكثر ما كنا نقوله قبل ذلك أن الاتحاد الاشتراكى يضم فى عضويته كذا والمنظمة كذا ونحن نشعر بالزهو أمام الأرقام الهائلة.

ثم انهار كل ذلك مع أول اكتشاف للحقيقة فى لحظة الهزيمة الدامية فى يونيه ١٩٦٧ ، ودون أن أدخل فى مزيد من التفاصيل فقد أوضح لى هذا اللقاء أن الأفكار الثابتة القديمة ماتزال متشبثة بذهنه ، رغم أنه فرضها على المنظمة قبل ذلك ، وكان أهم أسباب أنهارها ، ولكنه يعود بعد إعادة تعيينه لمحاولة فرضها من جديد ، وفى ظروف مختلفة ومناخ جديد ، كان يقينى أنه سيكون من الصعب التعامل معه وأن العمل الجديد الذى يدفع نبضا حارا فى عروق المنظمة والشباب لن يقدر لدورته أن تكتمل ، وقد سعيت الى مقابلة سامى شرف يوم ٢٨ / ١ وعرضت عليه كل ما دار وما أراه ورجوته أن يوصل ذلك إلى الرئيس لأننى غير مستعد لأن أتنازل عن الأسلوب الذى أراه صحيحا ، وكررت الأمر نفسه مع شعراوى جمعه ، أملا فى أن يرفع الرئيس التضارب ، ومع الأسف لا عديد فإن ذلك لم يحدث .

لقد حاولنا فى المنظمة أن نستبق حوادث الصدام التى حدثت بين الثورة والأجيال الجديدة من الشباب ، وحاولت مذكرة أمانة الشباب - التى رفعت إلى التنظيم الطليعى فى ١٢ / ٢ / ١٩٦٨ أى قبل انفجار المظاهرات بعشرة أيام - أن تؤكد - حتى قبل صدور أحكام الطيران - أن المناخ العام يؤذن تحت تأثير الضغوط الشديدة على الجماهير بانفجار عام ، وسوف أورد بعض سطور هذه المذكرة (التى أرفق نصها بالوثائق الملحقه) .

قالت المذكرة :

« إن الجماهير التى خرجت فى التاسع والعشر من يونيه الماضى والتى تتمسك بطريق النضال تعيش اليوم حالة من اللبلة والتشكك وفقدان الثقة فى القيادات وفى إمكان إحراز النصر ، إن مكتب أمانة الشباب قد استعرض الموقف الحالى

بكل أبعاده وجوانبه وبكل ما يحمله من خطورة على النظام والجماهير في ظروف العدوان ، قبل التقدم بهذا التقرير .

وبالنسبة للاتجاهات السائدة بين الجماهير ، فقد كان للموقف المتناقض بين ما أعلنه السيد الرئيس في ٢٢ يوليو و٢٢ نوفمبر الماضيين (١٩٦٧) وبين ما يجري في الحياة اليومية من أحداث وتغييرات لا تعبر عما يريده الشعب والقائد أثرا بالغا في حالة اليأس والتشكك التي اجتاحت الجماهير في الفترة الحالية والتي انعكست في الاتجاهات التالية :

أ - الاستنكار التام لموقف أجهزة الإعلام في الاذاعة والصحافة والتلفزيون وما تقدمه للمواطنين من مواد لا تتناسب مع واقع المعركة واحتياجاتها ، ومع استنكار الجماهير لموقف أجهزة الإعلام تتساعل في الوقت نفسه عن موقف الأجهزة الثقافية التي تغرق الأسواق بالأفلام الجنسية والاباحية التي زاد معدلها بعد الخامس من يونيو في الوقت الذي يملك فيه العالم عددا من الأفلام البطولية أثبتت تجربة عرضها الاقبال المتزايد عليها .

ب - بينما يتحدث الرئيس عن اقتصاد الحرب في ٢٢ نوفمبر (١٩٦٧) ويقول :

« إذا أردنا أن نصمد لأبد أن يكون اقتصادنا اقتصاد حرب يتحمل معركة طويلة لأن عدونا سيستخدم ضدنا كل الأسلحة بما في ذلك أسلحة الضغط الاقتصادي ، ترى الجماهير في مظهر الرخاء الذي يسود الحالة التموينية ما يتعارض ويتناقض مع احتياجات اقتصاد الحرب ، فضلا عن ذلك فإن الاستهلاك ، الحكومي لم يحدث به من التغييرات ما يشير إلى أن الأمور جادة في تطوير الاقتصاد لخدمة المعركة .

لقد زاد استياء الجماهير فضلا عما تقدم ، فإن هناك بعض التصرفات والتصريحات من بعض المسؤولين تسير في اتجاه يخالف ما أعلنه السيد الرئيس وتتطلبه احتياجات المعركة ، ويشيرون بذلك إلى القرار الصادر بتعيين « ه وكلاء وزارة جدد لوزارة الاقتصاد ليكون عددهم ١١ وكلاء وتصريحات وزير التموين عن إغراق الأسواق بالمواد التموينية) .

وكان طبيعيا أن تنعكس هذه الحالة على الانتاج في المصانع وعلى الخدمات في المواقع المختلفة خاصة الخدمات الصحية والمواصلات حيث تشير معدلات الانتاج ومستوى أداء الخدمات إلى حالة اليأس والحيرة التي تنتاب الجماهير .

ج - وبينما يتحدث السيد الرئيس في ٢٢ يوليو الماضي عن الجدية والحزم والتخطيط ودقة التنفيذ كدروس مستفادة من النكسة ، تعيش الجماهير مظاهر متعددة للارتجال والتخبط في كثير من الأجهزة المسئولة .

د - وعندما يتحدث الرئيس عن مبدأ الثواب والحساب وعن ضرورة تجديد

القيادات وتمكين الأجيال الجديدة من المواقع المختلفة ترى الجماهير ما يتناقض مع هذه المبادئ والشعارات فضلا عما تردد بين الجماهير من آراء حول إعادة تعيين بعض الوزراء رغم تصرفاتهم السابقة التي يعلمها الجميع .

كما تنظر الجماهير إلى بعض القيادات المسئولة في الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي والتي خلقت لها أمانات جديدة أو وضعوا دون عمل لمجرد الاستغناء عن خدماتهم في الجهاز التنفيذي .

ومع هذه التساؤلات تنتهي الجماهير إلى الحكم بأن المعايير الشخصية في الحكم على الأفراد لازال لها السيادة وأن من خرج ليلة الثورة مازال يحسب على الثورة بصرف النظر عن كفاعته وقدرته على العمل .

هـ - ولقد انعكست حالة فقدان الثقة في القيادات واتخاذ التفسيرات المضادة للظواهر المختلفة على اتجاهات الرأي العام حول قضية التآمر على نظام الحكم فبينما يتسائل البعض عما حدث في عامي ٥٧ و ١٩٦٢ كما ورد في أقوال عباس رضوان ، وعن موقف الثورة من عملاء المتآمرين في القطاع العام ومؤسسات الدولة ، وقد تمثلت آراء الجماهير في هذه المحاكمات فيما يلي :

(أ) أن هذه المحاكمات صورية وأنه حتى لو صدرت الأحكام بالإعدام فإن السيد الرئيس سيصدر أوامر بتخفيف الحكم .

(ب) أن هذه المحاكمات تعبر عن مرحلة جديدة من مراحل التصفية الداخلية بين القيادات .

(جـ) أن قفص الاتهام كان يمكن أن يجمع القيادات المسئولة في مواقع الحكم ويوجه إليها الاتهامات نفسها فيما لو نجحت المؤامرة .

(د) أن كل ما ذكر من انحرافات للقيادات المتآمرة ليس فيها جديد وسبق أن كشفها الشعب ، وكانت القيادات تقدم لها التبريرات أو أساليب الردع مما حال بينها وبين معرفة الحقيقة .

إن هذه الموجة من التردد والتشكك ونوبات اليأس تنتهي بالجماهير إلى عديد من النتائج :

أنا لم نستفد من دروس النكسة والهزيمة ولا زال الارتجال والتخبط يحكم الكثير من تصرفات الأجهزة التنفيذية والشعبية .

ثم يمضي التقرير بعد ذلك في تقديم مقترحات تفصيلية للعمل لمواجهة الموقف من خلال اجراءات عاجلة وأخرى على المدى البعيد ، وثالثة متعلقة بالاتحاد الاشتراكي وبالديمقراطية .

وفي اجتماع الأمانة العامة للتنظيم الطليعي (٢٠ / ٢) رفضت المذكرة بعد أن

قدم سامى شرف مذكرة أخرى وردية اللون عن الوضع العام ، وحدثت مناقشة حادة أبدت خلالها إصرارى على رفع المذكرة للرئيس حتى لو اقتضى الأمر رفع المذكرتين ، ولكن شعراوى جمعه تدخل لتشكيل لجنة تضع مذكرة جديدة كنت أحد أعضائها ، وفى أثناء الاجتماع وصلت تقارير الرأى العام عن أثر إصدار أحكام الطيران ، وكانت التقارير توحى باحتمال قيام مظاهرات فى الجامعة فى اليوم التالى (٢١/٢) وكان ذلك هو ما حدث بالضبط .

ثم بدأت تتجمع تقارير الرأى العام على مستوى محافظات الجمهورية من داخل المنظمة بشأن الأحكام ونحن ما نزال داخل الاجتماع ، كان تقرير محافظة القاهرة يقول - مثلا :

أ - الاتجاه العام استياء شديد للغاية .

ب - ستخرج غدا مظاهرات على جميع مستويات الطلبة .

ج - كتب على حائط احدى المؤسسات بوحدة قضايا الحكومة العبارة الآتية :

« صدقى محمود + ١٥ ألف شهيد فى سيناء + نكسة البلد + ضياع المعدات والأسلحة = ١٥ سنة فقط .. يا بلاش » .

محافظة الاسكندرية : « تربط الجماهير بين عقوبة المخدرات والاخوان وبين أحكام اليوم - أحكام السجن المؤبد على الرتب الصغيرة لتجنب الحكم على المسئولين الكبار » .

المحلة الكبرى : « اهتزت ثقة الجماهير فى كلمة الرئيس الأخيرة والتي أكد فيها أنه لن تكون هناك حلول وسط » .

المنيا وملوى : « رأى يقول أن التهمة ملفقة وأن الرئيس يهادن على مصلحة البلد » . « هذه الأحكام نكسة النكسة » .

سوهاج : « تتردد نكتة : شمس بدران وعباس رضوان حياخدوا لفت نظر » ..

أسيوط : « ضالة الأحكام تدل على أن هناك مسئولين آخرين مشتركين فى مسئولية النكسة » .

(نص تقرير الرأى العام على مستوى محافظات مصر كلها ملحق بالوثائق تحت عنوان : طليعة الاشتراكيين - سرى للغاية - تقرير بشأن الرأى العام حول موضوع الأحكام) .

استمرت المظاهرات بعد ذلك دون انقطاع ووصلت إحداها إلى مجلس الأمة ، وخرج لها أنور السادات - رئيس المجلس آن ذاك - ولكن لأن المظاهرة لم تكن منظمة فلم يصل إلى نتيجة معها .

وفى يوم ٢٤ صدر قرار وزارة الداخلية بمنع المظاهرات ، ولكنها استمرت فى اليوم التالى أيضا ، وفى صباح يوم ٢٧/٢٠ اجتمع مكتب الأمانة مع على صبرى الذى صب على المنظمة هجوما شديدا ، واتهمها بأنها المسئولة عن تفجر المظاهرات ، وكان قولا غريبا ، فقد كان على صبرى قابعا فى مكتبه على امتداد الأحداث الساخنة ولم يبد رأيا أو توجيهها ، ولم يمارس عملا سياسيا واحدا لمواجهة الموقف ، بينما كانت المنظمة تبذل قصارى جهدها لاحتواء الموقف وفرض اعتصام الطلاب .

فى مساء اليوم نفسه عقد فى مجلس الشيوخ (مجلس الشورى حاليا) اجتماع مع طلاب كلية الهندسة شارك فيه ٢٠٠ طالب وحضره أنور السادات الذى وافق الطلاب على أن ما حدث كان خطأ .. وقد حضر الاجتماع شعراوى جمعه ولبيب شقير (وزير التعليم العالى) ومدير الجامعات .

عقدت بعد ذلك جلسة لمجلس الأمة لمناقشة الأحوال السائدة ، وكان يرأس الجلسة أنور السادات ، وقد كانت جلسة صاخبة ، جال وصال فيها أحد الأعضاء حيث سب الاتحاد الاشتراكى وقيادته والمنظمة واتهمهم بتدبير المظاهرات ، وحينلقى شعراوى جمعه بيانه أمام المجلس ذكر أن هناك اتفاقا بين الاتحاد الاشتراكى والمنظمة ووزارة الداخلية بمنع المظاهرات منعاً باتاً وهو ما لم يحدث بالفعل ، وقد كان واضحا أن هناك تأمرا مشتركا على المنظمة باتفاق أقوال على صبرى صباحا وأقوال شعراوى جمعه أمام مجلس الأمة ، وتقارير أمين هويدى من المخابرات العامة ، مما دفعنى إلى أن أكتب مذكرة ثانية إلى الرئيس اخترت أن أرسلها أيضا عن طريق محمد أحمد (مرفق نص المذكرة بالوثائق الملحقة) .

وبالرغم من تعليمات الرئيس التى صدرت فى اليوم السابق والتى جاءت ببيان وزير الداخلية أمام مجلس الأمة ، فإن الطلبة الذين سبق أن أمنهم أنور السادات رئيس المجلس عند لقائه بهم قد تم القبض عليهم فى اليوم نفسه ليلا فى منازلهم مما أدى إلى زيادة تفاقم الموقف فى صباح اليوم التالى .

وفوجئت بعلى صبرى يطلب منى فى هذا اليوم أن تتصدى المنظمة للرجعية وأن تكشفها وتعمل على تعريضها حتى بين أعضاء مجلس الأمة ، كما طلب منى تشكيل لجان للدفاع عن « الثورة الاشتراكية » غير أنه عاد فى اجتماع آخر يوم (١١/٣) إلى النغمة الأولى مؤكدا أن المنظمة هى السبب فى كل الاضطرابات ، لأنها تسير حسب الفاظه نفسها على « الخط الشيوعى » وأنها تخلق مع الجماهير قوة ضغط على القيادة وتشكك فيها .

كانت المنظمة قد نجحت فى فرض الاعتصام بكلية الهندسة ، وقد كان للأستاذ الدكتور أسامة الخولى فضل كبير فى معاونة المنظمة على فرض الاعتصام ، وهو الأستاذ الفاضل الذى كان يسعى إلى خير طلبته وخير الوطن .

فى يوم ١١/٢ أبلغت بقرار لعل صبرى كان يعنى إلغاء استقلالية المنظمة نهائيا ، وذلك - كما قال - بتوحيد القيادة بين المنظمة والاتحاد الاشتراكى عن طريق أمناء المكاتب التنفيذية ، وفى مساء اليوم نفسه قابلت سامى شرف وشعراوى جمعه وشرحت لهما كل متاعبى مع على صبرى ، وكان تقديرى أن على صبرى قد أصدر قرارا بإعدام منظمة الشباب ليس لأنها حاولت أن تستوعب طاقة الأجيال الجديدة ، وأن تمارس بها دورا تصحيحيا للأخطاء التى تراكت ، وإنما لأنها - أيضا - لم تعد بحكم ما تراكم فيها من طاقة ، غير خاضعة لسلطته .

وفى يوم ١٤/٤ عقد اجتماع مع قيادات المنظمة على مستوى أمناء المحافظات والمراكز وحضره على صبرى ، وحين سألتى الشباب قبل الاجتماع ماذا يقولون ، قلت لهم أن يقولوا كل ما يعتدل فى نفوسهم دون تردد أو خشية ، وكانت المواجهة بين على صبرى والشباب ملتهبة ، فقد اندفعوا فى نقد حاد لكل الإجراءات التى اتبعت والاعتقالات التى تمت ، وتقارير المخابرات ووصل الصدام والاحتدام حد أن أحد الشباب سأل دون موارد ، من أين له تلك الفيللا الفاخرة التى تقطنها والتى قيل عن تكاليفها الكثير ، ورد هو بأنها ثمن بعض الأقدنة التى كان يمتلكها وياعها ، وخرج على صبرى من هذا الاجتماع بأن كل الإجراءات التى اتخذت لتحجيم دور المنظمة وإلغاء استقلاليتها لم تكن كافية .

وهكذا حين صدر بعد بيان « ٣٠ مارس ١٩٦٨ » قرار باستقالة الأمانة العامة ، كنت العضو الوحيد الذى أبهجنى القرار لأنه سيعنى أن أترك العمل مع على صبرى .

وقد استعدت فى تلك اللحظة نص كلمات قالها لى جمال عبدالناصر فى لقاء منفرد :

لقد قال لى جمال عبدالناصر بالحرف الواحد :

« إن على صبرى رجل غلبان ، فالناس تحسبه على روسيا وهو أبعد ما يكون عن ذلك ، وبعض الناس تحسبه على أمريكا وهو لا هذا ولا ذاك » .

كانت اللطمة شديدة ، ليس بالنسبة لى فقد حاولت بقدر ما وسعنى الوقت والجهد والظروف ، ولكن بالنسبة للأجيال الجديدة التى كانت تريد أن ترفع أنقاض الهزيمة لتعيد بناء وطنها .

فى اتون تجربة منظمة الشباب

لا يمكن تقييم تجربة منظمة الشباب فى هذه الظروف دون الرجوع إلى حقيقة أساسية تنطبق على جميع التنظيمات الشبابية التى أقيمت بعد الثورة ، وبدون أن أدخل فى التفاصيل فإن هذه الحقيقة يمكن تلخيصها فى أن الهدف من أى من هذه التنظيمات لم يكن فى الواقع هو استثمار طاقات الأجيال الجديدة ولا الزج بهذه الطاقات فى معارك البناء والتنمية ، ولكنه كان أقرب إلى احتواء هذه الطاقات وإذلك لم يكن مسموحا للشباب بأن يعبر عن خصوصيته بشكل مستقل ، ولا أن يتعامل مع أى مرحلة من مراحل الثورة تعاملًا نقديًا ، كان المطلوب هو الاصطفاف القوى باسم مخاطر الثورة المضادة ، والتعبئة ، بمقاييس الحكم المعروفة ، بينما لم يكن بمقدور الحكم أن يضع قاعدة رصيد راسخة ، ولم يكن الاكتفاء بالهتاف الموحد ، يمكن أن يشكل حائطا يمنع الثورة المضادة من أن تآكل البراعم الجديدة قبل الجذور .

لقد حاولت - خلال تجربتي - أن أعبر عن رؤية مختلفة ، وكان أقرب الوسائل للتعبير عن هذه الرؤية ، هو عدم الانفصال عن مشاعر الشباب ، ولذلك حاولت أن أكون أمينًا فى التعبير عن هذه المشاعر فى أعقاب صدور أحكام الطيران ، وأن تصل هذه المشاعر بدقة إلى الرئيس عبدالناصر ، ولهذا لم أتورع عن إرسال برقية باسم الشباب فى أوج المظاهرات التى اندلعت ضد الأحكام إلى الرئيس عبدالناصر ، وهى برقية اعتبرها البعض إساءة إلى النظام ورأى آخرون عندما وقعت فى أيديهم أنها لا يمكن إلا أن تكون مزورة .

كان نص البرقية يقول بالحرف الواحد :

« السيد الرئيس جمال عبدالناصر ...

مكتب أمانة الشباب يستنكر الأحكام على المسؤولين عن نكسة الطيران ويرى أنها لا تعبر عن الحساب العادل لمسئولية هذه الأشخاص .. باسم الشباب الاشتراكي نطالب بإلغاء هذه الأحكام وإحالة القضية إلى محكمة ثورة ..

إن وفاءنا للثورة وإيماننا بقيادتكم وإخلاصنا للمبادئ التى تاضلت من أجلها يجعلنا نصر على ضرورة اتخاذ إجراءات حاسمة تحمى الثورة ومصالح الشعب .

أحمد كامل عضو الأمانة العامة وأمين الشباب .

كان أحد بواعث إرسال البرقية - أيضا - أن الشباب لم تتح له مع القيادة من قبل سوى قناة اتصال واحدة وحيدة الاتجاه من أعلى إلى أسفل ، وكنت أرى أن الوضع ينبغي أن يصحح وأن تكون قنوات الاتصال ذات اتجاهين حتى تسمع القيادات صوت القواعد الصحيح .

إذا عدت إلى موضوع المظاهرات الطلابية العارمة في عام ١٩٦٨ فإننى أريد أن أؤكد أن كل من يملك بصيرة سياسية كان يمكن أن يتوقع الانفجار قبل ذلك بشهور طويلة .

كان الشعور بالرفض واضحا في القواعد الشعبية ، ولكن القيادة السياسية ظلت تعيش في أحلام قوتها الغاربة ، فلم تدرك أن هزيمة ١٩٦٧ أوصلت الثورة إلى مرحلة الشيخوخة ، وكان أحد غيوب المهيمنين على السياسة في بلادنا أنهم اعتمدوا بشكل كلى على تقارير الأجهزة وتصوروا أنه يمكن امتصاص مشاعر الغضب والرفض بالتبريرات والمهدئات المختلفة ، لقد تصوروا أيضا أن تمسك جماهير الشعب بجمال عبدالناصر في ٩ و ١٠ يونيه ١٩٦٧ ، كان بمثابة توقيع شعبى على « شيك » على بياض للقيادة السياسية ، ولم يكن ذلك صحيحا ، لأنهم لم يلمسوا نبض الجماهير الحقيقى ، ولم يتبينوا أن تمسك الجماهير بعبدالناصر

كان مشروطا بضرورة التغيير فى كل شيء .. كانت الجماهير تريد من جمال عبدالناصر أن يعمل باسمها لتغيير نظام الحكم بما فيه تلك القيادات التى تصورت الجماهير أنها كانت السبب وراء الهزيمة النكراء .

وجاءت أحكام الطيران بصراحة ووضوح لتهزئة الناس فى أن النظام قادر على أن يصحح نفسه بنفسه ، ويغير بيديه .

كان الشباب فى هذه المرحلة هو نبض بلادنا الحقيقى ، وفى كل مؤتمراته كان النقاط الصورة الحقيقية لا يحتاج إلى مجهود ، كانت هناك استقهامات وتساؤلات عن إعادة على صبرى لأمانة الاتحاد الاشتراكى فى ٢٧/١/١٩٦٨ بعد أن عزل عنها فى أعقاب الهزيمة وكان ذلك أول محك لعدم الجدية فى التغيير الذى ينتظره .

أذكر أنه فى يوم ١٢/٢/١٩٦٨ عقد اجتماع للأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى ، وأثير فيه موضوع رأى العام ، ومطالبه الواضحة الضاغطة بالتغيير وكان رد على صبرى واضحا : أنه لا تغيير حاليا وأن العمل سوف يسير على ما هو عليه .

أذكر أيضا أنه فى يوم ١٩/٢/١٩٦٨ عقد اجتماع لأمانة طليعة الاشتراكيين وقد عرضت فيه مذكرة مكتب الأمانة ، واختلف الرأى حولها ، لأن سامى شرف تقدم وقرأ تقريراً يقدم صورة وردية للموقف وإرضا الناس ، وهو ما كان يجافى الحقيقة تماما ، وقد اعترضت على هذه الصورة الوردية التى تضمنها التقرير ، حتى احتدم الخلاف بيننا ثم تدخل شعراوى جمعه وأحال التقرير إلى لجنة تتولى تقديم تقرير آخر للرئيس عبدالناصر فى اليوم التالى .

وقد تم فعلا اجتماع اللجنة فى يوم ٢٠/٢/١٩٦٨ فى مكتب سامى شرف ، وكنت أحد أعضائها ، وفى هذا اليوم صدرت أحكام الطيران وبدأ للوهلة الأولى أن هناك اعتراضا شعبيا على هذه الأحكام ، حيث بدأت تتوالى علينا ونحن فى الاجتماع تقارير الرأى العام من المنظمة ومن تنظيم طليعة الاشتراكيين بالقاهرة ، وكانت كلها تجمع على تبلور احتجاج شعبى شديد على الأحكام ، وقد تضمن بعضها احتمال انفجار تظاهرات وأعمال عنف ، كرد فعل للأحكام .

وفى أوج الاجتماع اتصل الرئيس عبدالناصر بسامى شرف وقدم سامى عبر أسلاك التليفون إلى الرئيس فى حضورنا صورة عن الموقف ، وهذا كله يعنى أن المظاهرات لم تكن مفاجأة لجمال عبدالناصر .

فعلى الرغم من ظهور الأحكام فى جريدة « المساء » ، حتى لا تعطى أهمية إعلامية ، فما أكثر ما تضمنت التقارير قيام أناس عاديين بتمزيق الجريدة فى وسائل النقل العام ، مثلما داسوها على الأرصفة .

وفى نفس هذا الاجتماع اتفق على أن تتولى المنظمة محاولة احتواء المظاهرات ، وتهديتها أو تحويلها إلى مؤتمرات بدلا من خروجها إلى الشوارع ، وقد أبلغت هذا الكلام إلى على صبرى فى المساء ، كما يفترض أن سامى شرف أبلغه إلى الرئيس فور انتهاء الاجتماع .

ثم كان اليوم التالى هو يوم ٢١ فبراير ، وهو ذكرى يوم الطالب العالمى الذى يحتفل به الطلاب فى جميع أنحاء العالم بعد أن اتخذوه عيدا لهم تحية لنضال الطلاب المصريين فى الحادثة المشهورة عام ١٩٤٦ .

كان طلاب الجامعة قد حاولوا أن يحصلوا على تصريح من وزير التعليم العالى بعقد اجتماع احتفائى للمناسبة فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ، ولكن خشية المسئولين من اجتماع هذا العدد الكبير من الطلاب الذى يمكن أن يكون فى حد ذاته محرضا على الانفجار حالت دون منحهم التصريح بإقامة الاحتفال .

وتم الاتفاق بالفعل على أن يحتفل الطلاب فى كلياتهم دون تجمع مركزى ووافق الطلاب على ذلك ، ومر الصباح هادئا بالجامعات حتى بدأت بوادر المظاهرات العمالية فى حلوان ، وعلى وجه التحديد من مصنع ٣٦ الحربى ، وقد تجمع العمال فى البداية ولكن مدير المصنع تصرف معهم بحس بيروقراطى متسلط فازدادت الإثارة ، وتحول التجمع إلى مظاهرة .. خرجت منظمة وسلمية وكان ينظم حركتها شباب المنظمة أنفسهم ، ثم انضم عمال مصنع ١٢٥ و ٣٦٠ وكلها بالمناسبة مصانع طائرات إلى عمال مصنع ٣٦ ، وحضر إلى المظاهرة عبداللطيف بلطية حيث حمله العمال على أكتافهم تعبيرا عن مظاهراتهم السلمية للتعبير عن آرائهم فى الأحكام ، لكن الشرطة واجهت المظاهرة دون حوار بخراطيم المياه ثم بالقبائل المسيلة للدموع ، وفى مناخ التوتر والرفض تصاعدت الإثارة ، وتعرض

قسم حلوان إلى الاعتداء ، ومع تصاعد الموقف وتأزمه ثم انفجاره ، استخدمت الشرطة بنادق الخرطوش ثم الطلقات الحية التي أصيب من جرائها عاملان نقلوا إلى مستشفى حلوان .

وكان طبيعيا أن تصل هذه الأخبار مهولة ومبالغيا فيها كالعادة إلى طلبة كلية الهندسة بجامعة القاهرة ، حيث كانت الكلية الوحيدة التي تأجل مؤتمرها إلى ما بعد الظهر وبدأت المظاهرة في الجامعة احتجاجا على تصرف الشرطة مع العمال في حلوان ولم يعرف عبدالناصر بخبر إطلاق الرصاص على المتظاهرين ، كما سبق وأن أوضحت ، إلا من تلك المكالمات التليفونية التي تمت معي يوم ٢ مارس .

وفي اجتماع تم بمكتب على صبرى يوم ٢٢/٢ حضره مديرو الجامعات وأمناء المكاتب التنفيذية ولبيب شقير وزير التعليم ، وأمين هويدى وزير الدولة إضافة إلى شعراوى جمعه وسامى شرف ، بدا تجاهلى تماما ، واتفق على أن يجتمع وزير التعليم العالى بالطلاب ، ولم يقدر لهذا القرار أن يرى النجاح ، فقد انفجرت المظاهرات ثانية فى شكل تجمعات داخل الحرم الجامعى لجامعة القاهرة ، وبدلا من تركها داخل الجامعة ، تم التعامل معها من خارج الجامعة بقذفها بالقنابل المسيلة للدموع .

وقد اتصل بى فى هذا التوقيت بعض أساتذة الجامعة يستغيثون ويحذرون من نتيجة هذا الاستفزاز ، ولم يحل ذلك كله دون أن تخرج المظاهرات العارمة من الجامعة ، وأن تصل وهى تطلق شعارات تعبر عن التمزق والألم والعنف حتى قلب ميدان التحرير ، ولم تمنع خراطيم المياه والعصى والقنابل المسيلة للدموع من استمرار المظاهرات فى اليوم التالى فى جامعته القاهرة وعين شمس ، قبل أن يعتصم طلاب هندسة القاهرة وعين شمس فى مقار كلياتهم .

كانت الناس تطالب بالتغيير إذن ، وقد صدمتها أحكام الطيران لأنها رأت فيها علامة على أن التغيير الذى تنتظره لن يجرى .. كانت الجماهير تتجه إلى مجلس الشعب معبرة عن رفضها للأجهزة السياسية القائمة التى لم تعد تمثلها ولم تعد قادرة على استيعاب حركتها السياسية ، لكن بعض تداعيات الوضع فى النهاية كان

نتيجة مؤكدة للأسلوب الإدارى الذى تعاملت به أجهزة الدولة مع بواذر ومقدمات الغضب والرفض التى كانت واضحة قبل ذلك بشهور ، ثم لهذا الأسلوب نفسه الذى تصدت به لفورة الحماس الوطنى للشباب الذى كان يتعجل التغيير وهو يحاول أن ينفى الهزيمة فى داخله .

كانت الأجهزة السياسية كلها قد أصابها الشلل ، بينما كانت منظمة الشباب هى الجهاز السياسى الوحيد الذى يعمل والذى لم يفقد ثقة الطلاب والشباب به ، ولذلك كان طبيعيا أن يسارع بقية المسؤولين لتحميل منظمة الشباب نفسها مسئولية انفجار المظاهرات والتحريض عليها ، وكان ذلك يعنى أيضا من بين ما يعنيه أن القيادات السياسية مصرة على الاستمرار فى غيها ، وفى يوم ٢٧/٢/١٩٦٨

اجتمع على صبرى مع مكتب الأمانة العامة واستمر الاجتماع أربع ساعات متصلة ولكن ظل على امتدادها متمسكا برأيه فى عدم التغيير لأنه لم يكن مقتنعا أن الناس تطلب التغيير بالفعل وكان مثله الذى ضربه فى ذلك تشرشل وحكومة الحرب البريطانية التى كانت تتكون من خمسة أفراد أداروا الدولة وأداروا آلة الحرب البريطانية فى مجتمع ليبرالى دون اعتراض .

أما بالنسبة للرئيس عبدالناصر ، فمن المؤكد أن جميع التقارير قد وصلت له قبيل المظاهرات وأثناءها وبعدها ، ومن المؤكد أن صوت الشعب الحقيقى كان قادرا على أن يخترق الصفوف ويصل إليه ، ومن المؤكد أن برنامج ٣٠ مارس لم يأت من فراغ وإنما جاء محاولا أن يتجاوب مع الصوت الداخلى للمظاهرات ، ولكن روح برنامج ٣٠ مارس رغم كل ذلك لم يقدر لها أن تتحقق أو تسود .

بالنسبة لى فقد حاولت أن أضع ما أراه كاملا بين يدى الرئيس ، وقد اخترت فى هذه اللحظة قناة أخرى غير قنوات التنظيم الطليعى ، وسامى شرف ، فقد تحدثت مع محمد أحمد سكرتير الرئيس واتفقت معه على أن أرفع مذكرة شاملة للرئيس من خلاله ، ووافق وتسلم المذكرة يوم ١٥ مارس ١٩٦٨ وسلمها إلى عبدالناصر بالفعل .

إن هذه المذكرة تعكس الوضع كاملا ، وقد لا تحتاج بما تتضمنه أى شرح أو توضيح ولذلك فإننى حريص على أن أورها بنصها :

لقد كان نصها يقول :

السيد الرئيس :

تحية واحتراما وولاء

فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ وطننا أجد أن من واجبى أن أضع تحت أنظار سيادتكم بعض الحقائق التى توضح موقفا يؤخذ من المنظمة حاليا ، فمنظمة الشباب الآن متهمة بأنها هى سبب جميع الاضطرابات ، بل أن تفكك قيادتها وتسببها هو الذى أدى إلى أن تظهر المنظمة بهذه الصورة التى يحاول أن تلصق بها ، وأحب أن أعرض على سيادتكم الحقائق التالية :

١ - أننى يوم استلمت عملى بالمنظمة وجدتها فى حالة رهيبية من التفكك بل قوبلت أنا نفسى بشعور عدائى استمر لفترة طويلة نتيجة تولى ضابط سابق ، وقد حرصت على أن أعرف حقيقة الأمور بنفسى وقد زرت حتى الآن ١٤ محافظة اجتمعت خلالها بكثير من شباب المنظمة الذى عبر عن نفسه بصدق وأعلن رفضه لجميع الأساليب القديمة .

٢ - لن قيادات المنظمة فى السكرتارية المركزية كانت دائما ما تقول أنها كانت

تعمل بأوامر القيادة السياسية وقد قال لى حسين كامل بهاء الدين أنه لم يكن مسئولاً عن شيء وأنه كان يعمل بتعليمات وتوجيهات القيادة السياسية .

٢ - لم أسع إلى تطهير المنظمة وهى فى هذه الحالة من التسبب الشديد لسببين :

أ - عدم قدرتى على الحكم الصحيح بالنسبة لكفاءة الأفراد حيث أننى كنت أعمل بنفس القيادات القديمة والتي كانت دائماً ما تحاول أن تغطى جميع الأخطاء التى ارتكبت فى ذلك الوقت .

ب - خوفى الشديد من أن من تطهره المنظمة سوف تلتقطه أية تنظيمات مضادة خاصة أن الشباب دائماً ما كان يعبر عن ضرورة التغيير بعد الظروف التى مرت بها البلاد وتصورهم المستمر أنه مازالت هناك مراكز للقوة تحول بين الزعيم والقائد والقدرة على التغيير .

٤ - بعد ذلك خرجت بعد الدراسة المستفيضة بخطة عمل عرضتها على القواعد لمناقشتها وقد تضمنت هذه الخطة النقد الذى وجه إلى المنظمة بواسطة الاعضاء أنفسهم وضمنها أسلوب علمى لجميع ما ورد من نقد . وقد بدأت هذه الخطة فى جذب الكثير من الشباب للبدء فى عمل جدى منظم .

٥ - فى جميع مجريات الأمور وجميع التصرفات كنت أخطر بها السيد سامى شرف كذلك السيد عبدالمحسن أبوالنور وكثيراً ما طالبت بالتوجيهات فيما أقوم به من عمل وخاصة فى موضوعين رئيسيين وهما موضوع العلاقات الخارجية كذلك موضوع الخطة ولكن لم تصل إلى أية توجيهات فى هذا الشأن .

٦ - فوجئت بعد ذلك بمهاجمة شديدة للإطار العام للخطة من السيد حسين كامل بهاء الدين فى خطاب أرسلت صورته إلى السيد سامى شرف وعرضته على السيد شعراوى جمعه ونصحت بتجاهل هذا الخطاب وعلمت بعد ذلك أن السيد على صبرى قد ضايقه أيضاً نشر الإطار العام للخطة .

٧ - تطورت الأحداث بعد ذلك وعين السيد على صبرى أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكى العربى وقد قابلته فى اجتماعات طويلة وشرحت له تفصيلاً حقيقة الأمور فى المنظمة وحقيقة موقفى ، وقد عرضت صورة كاملة لما دار بينى وبينه من أحاديث على السيد سامى شرف وعلى السيد شعراوى جمعه وقد نقلت إليهما إحساسى بأن السيد على صبرى لا يرضى عن وجودى فى موقع عملى فى المنظمة وأنتى أرجو أن يعرض كل ذلك على سيادتكم .

٨ - كان واضحاً لى باستمرار إصرار السيد على صبرى على نظريته بأن الكم هو الأساس بالنسبة للمنظمة وأنه يرى تسييساً فى المنظمة وأن الإلزام هو الأساس فى عمل أى تنظيم وكان هذا يناقض باستمرار واقعاً أعيش فيه من خلال عملى

المستمر ولقاءاتى المستمرة بالشباب ورفضهم المستمر للأسلوب القديم فى العمل داخل المنظمة ونقدمهم المر لجميع أوجه الحياة فى داخل التنظيم السياسى وفى خارجه ، وقد كان كل ذلك واضحا فى اجتماع السيد على صبرى بأمناء لجان المحافظات فى ١٩٦٨/٢/٢ وفى خطابه إلى مؤتمر شباب القاهرة فى يوم ١٩٦٨/٢/٣ ، ١٩٦٨/٢/٤ .

٩ - من اللقاءات الكثيرة مع الشباب ومن تقارير الرأى العام وما كانت تعبر عنه ، رأى مكتب أمانة الشباب أن من واجبه أن يرفع مذكرة شاملة عن الموقف وما وصل إليه الرأى العام وانتهى من إعداد هذه المذكرة فى ١٩٦٨/٢/١٢ وكلفت برفعها إلى السيد الأمين العام .

١٠ - فى يوم ١٩٦٨/٢/١٣ عقد اجتماع للأمانة العامة للاتحاد برئاسة السيد على صبرى وقد أثير فيه موضوع الرأى العام ومطالبته الشديدة بالتغيير وكان رد السيد على صبرى واضحا أنه لا تغيير حاليا وأن العمل سوف يستمر على ما هو عليه ، وأنه لا ينتظر عقد اجتماعات للأمانة وأنه يميل أكثر إلى الاتصالات الفردية ، وعلى هذا فضلت ألا أعرض المذكرة التى تم إعدادها بواسطة مكتب الأمانة لأننى اعتبرت أن هذا رد كاف على المذكرة .

١١ - عقد اجتماع يوم ١٩٦٨/٢/١٩ لأمانة طلعية الاشتراكيين وقد عرضت فيه مذكرة الأمانة واختلف الرأى عليها وأحال السيد شعراوى جمعه جميع التقارير المقدمة إلى لجنة الأمانة كلفت أن أكون أحد أعضائها لتعد تقريراً شاملاً يرفع إلى سيادتكم .

١٢ - فى يوم ١٩٦٨/٢/٢٠ اجتمعت اللجنة فى مكتب السيد سامى شرف وفى هذا اليوم صدرت أحكام الطيران وبدا من أول وهلة أن هناك اعتراضاً شديداً على الأحكام ، وفى أثناء وجودى بمكتب السيد سامى شرف بدأت تتوالى تقارير الرأى العام من المنظمة وبدأ تجمع الرأى العام من تنظيم الطليعة بالقاهرة وكانت كلها تتفق فى الاحتجاج الشديد على الأحكام ، ومن ضمن تقارير الرأى العام كان

هناك احتمال قيام مظاهرات فى بعض الأماكن وبدأت المنظمة تسأل عن واجبها ، وكان على أن اتخذ قراراً وبعد بحث الموضوع من كل وجوهه ، وكان قد تم اتصال سيادتكم بالسيد سامى شرف استقر الرأى على أن أصدر التوجيهات التالية :

أ - أن يحاول أعضاء المنظمة تفرقة أية تجمعات صغيرة ولا اعتراض أن يعبروا عن رأيهم بأسلوب منظم .

ب - إذا حدثت تجمعات كبيرة فليحاول أعضاء المنظمة جعلها تتحرك إلى مؤتمرات تعبر عن رأيها بأسلوب منظم .

ج - إذا أصرت الجماهير على الخروج فى مظاهرة فليكن واجب المنظمة حمايتها من أى تدخل من جانب القوى الرجعية .

وقد اتصلت تليفونيا بالسيد على صبرى فى حوالى منتصف الليل وقرأت عليه تقارير الرأى العام والتوجيهات التى سوف أصدرها للمنظمة وطلبت توجيهات سيادته فى ذلك فوافق .

كل ذلك صدر بحضور السيد سامى شرف ومن مكتبه وقد طلبت منه أن يخطر الداخلية بهذه التعليمات لدى المنظمة حتى لا تتعرض الشرطة للمظاهرات ويحدث مالا يكون فى الحسبان .

١٣ - فى الأيام السابقة أيضا تم اتصال بين اتحادات الطلاب والسيد وزير التعليم العالى بطلب عقد يوم الطالب العالمى وهو يوم ٢١ فبراير فى قاعة الاحتفالات الكبرى فى جامعة القاهرة ورفض السيد الوزير الطلب وأبلغت أن الطلبة يقولون أن السيد وزير التعليم العالى أخطرهم أن هناك اتفاقا بين المنظمة وبينه بهذا الخصوص فاتصلت به وأفهمنى أن هذا لم يحدث وأنه فعلا لم يوافق على عقد المؤتمر فى قاعة الاحتفالات الكبرى ولكنه صرح بعقد مؤتمرات على مستوى الكليات وقد أثار هذا التصرف الطلاب .

١٤ - فى يوم ٢١/٢ من اليوم هادئا فى الصباح بالجامعات ، ولكن بدأ التبليغ عن مظاهرات فى حلوان من مصنع ٣٦ ، وكان متوقعا هذا من اليوم السابق ، وكان تصرف السيد مدير المصنع هو الذى أثار العمال وفى النهاية تحول تجمهرهم إلى مظاهرة خرجت منظمة وكان ينظم حركتها شباب المنظمة ، وخرج مع عمال مصنع ٣٦ عمال من مصنع ١٣٥ ، ٣٦٠ وكلها مصانع الطائرات ، وللأسف الشديد تعرضت الشرطة للمظاهرة بخراطيم المياه والقنابل المسيلة للدموع مما أدى إلى إثارة الجماهير وانتهى بإطلاق بنادق الخرطوش والرصاص (يقال أنه من مسدس المأمور)

لماذا إذن لم يغير جمال عبدالناصر أولئك الذين كان يعتقد الناس أنهم أحد أسباب الهزيمة .

أن أكثر التفسيرات ابتذالا تقول إن جمال عبدالناصر لم يكن قادرا على أن يغيرهم ، بسبب ظروف مركبة فى مقدمتها أنهم تحولوا إلى مراكز قوى حقيقية فى ظل مرضه ، وفى وقت الاستعداد لمعركة التحرير .

استطيع أن أؤكد أن جمال عبدالناصر كان مصرا على التمسك بهم ، فقد انتقاهم بنفسه ، وأستطيع أن أؤكد أكثر أنه لم يكن من الممكن أو المتاح أن ينشأ مركز قوى إلى جوار عبدالناصر لا يمتلك هو كل الوسائل الحاسمة للاطاحة به .

لم يكن عبدالناصر عاجزا أو ضعيفا أمامهم ، ولم تكن فرصة التغيير قد تبددت من يده ، ولكنه كان يعتقد - وليكن للتاريخ حكمة كما يشاء بعد ذلك - أنهم ينبغي أن يظلوا فى أماكنهم على مقاعد الحكم .

أستطيع أن أستعيد صورة عزل على صبرى من أمانة الاتحاد الاشتراكى للمرة

الثانية بعد الهزيمة ، لقد طلب عبدالناصر أخذ الموافقة على القرار برفع الأيدي ، وتسابق أعضاء اللجنة المركزية فى إعلانهم على الموافقة ، بل لقد ارتفعت الأيدي الموافقة بسرعة خاطفة حتى خيل للمرء أن عددها قد تضاعف ، كان هناك سبق من الأعضاء على الموافقة ولم يمض وقت طويل حتى تم اختيار على صبرى عضواً فى اللجنة التنفيذية العليا ثم مسئولاً عن الطيران بدرجة وزير ، وكان الاختيار فى كل مرة من نصيب شخص واحد هو جمال عبدالناصر .

استطيع أيضاً أن أستعيد جانباً من تلك المكالمات التليفونية التى جرت بينى وبين جمال عبدالناصر ، عند نقطة محددة سألتى عبدالناصر بتحديد صارم :

ماذا يطلب الناس ؟

قلت : إنهم يطلبون التغيير .

كنت أعلم أنه شديد الحساسية فى مواجهة هذه الكلمة ، ولهذا لم أفاجأ حين جاعنى صوته مشبعاً بالتوتر والضيق .. وما التغيير الذى يريدونه ؟

قلت وأنا أحاول أن أتوازن : أسلوب الحكم .

استطرد بهدوء أكثر : أوافق على تغيير الأسلوب ، لكن الأشخاص من أين نأتى بهم .. هل نلجأ إلى الاستيراد ؟

قلت : سيادة الرئيس أى تغيير فى أسلوب الحكم يعنى تغيير الأشخاص القائمين عليه حالياً ، إذ كيف تغير الأسلوب بنفس الأشخاص .

رد عبدالناصر وهو ينهى الحديث : الموضوع يحتاج إلى التفكير .

كان عبدالناصر - إذن - قوياً وقادراً ، ولكن هو نفسه لم يكن يميل إلى إحداث التغيير المطلوب .

أما الرد الثانى على مسألة عدم تغيير الأشخاص بأنه كان يحتاج للتخلص منهم إلى طريقة دستورية ، فيكفى أن يكون الرد عليه فى شكل تساؤل : منذ متى كانت الطريقة الدستورية هى وسيلة تغيير الأفراد فى نظام حكم جمال عبدالناصر ؟ .

يبقى الرد الأخير ، وهو أن عبدالناصر قام بمحاولة ثانية للتغيير فى أعقاب ذلك ، فى صورة تشكيل لجنة المواطنين من أجل المعركة .

ولا أعتقد أن أحداً سيختلف معى إذا قلت أن هذه اللجنة التى وضع على رأسها حافظ بدوى قد ولدت ميتة .

لقد تم اختياري عضوا في هذه اللجنة ، وتم تقسيمها إلى لجان ، كان أغلب أعضائها من التنظيم الطبيعي ، وتم ترشيحهم من قبل سامي شرف وشعراوي جمعه ، ولقد حضر عبدالناصر الاجتماع الافتتاحي لأعمال اللجنة ، وكانت طلباته تنطوي على استحالة عملية ، فقد كان يريد لهذه اللجنة أن تهز التنظيم الطبيعي وتنقيه وترشح له ، ولعلها استهانة بالمنطق والعقل أن أقول أن جمال عبدالناصر كان لا يدرك عن يقين طبيعة وأسباب هذه الاستحالة العملية ..

من أسبوط إلى الاسكندرية إلى رئاسة الجمهورية .. المتاعب مستمرة

ظللت محافظا للمنيا مدة ستة أشهر فقط ، لم تكن بالنسبة لى فترة توهج أو نشاط ، كنت أؤدي عملى بدرجة أقل من الحماس ، فلم تبرح تجربة منظمة الشباب رأسى ولا وجدانى .

بعد ستة أشهر بالضبط طلبنى سامى شرف ، وقال لى ضاحكا :

تعال إلى القاهرة .. نريدك ..

قلت : هل أجمع حوائجى ؟

استطرد : نعم أقفل مكتبك وتعال فوراً ..

لم أكن قد نقلت أثاث بيتى إلى المنيا بعد .. فأعددت حقيبتى الصغيرة وذهبت إلى القاهرة ، وإلى مكتب سامى شرف مباشرة .

قلت لسامى : ما الموضوع ؟

قال : لحظة واحدة ، وطلب الرئيس عبدالناصر وأعطانى سماعة التليفون .. كلمنى عبدالناصر ، كان صوته أكثر دفئاً .. قال :

حمدا لله على السلامة يا سى أحمد .. لقد عينتك محافظا للاسكندرية حتى لا يكون تعيينك من زفت إلى أزفت وضحك عبدالناصر ولم أعلق ..

استطرد : عليك أن تذهب فوراً إلى الاسكندرية ..

نظرت إلى سامى شرف مفتوح العينين ، ولم يبد على سامى شرف شىء ، فقد اعتبر أنه تصرف بشكل طبيعى جدا عندما نقل إلى الرئيس عبدالناصر ملاحظتى التى كانت سوقية الألفاظ عندما صدر قرار تعيينى محافظا للمنيا .

تسلمت عملى كمحافظ للاسكندرية ، وانفجرت المظاهرات العارمة فى جامعة الاسكندرية ، كان الطلاب قد تحصنوا بالجامعة ، وأعلنوا اعتصاما مفتوحا ، وكان الموقف يؤذن بانفجار واسع .

تذكرت أنتى قلت لعللى صبرى مرة قبل شهر قليلة مع مقدمات مظاهرات القاهرة : أنزل إلى الطلاب وجاورهم .. ولذلك كان لزاما على أن أفعل ما نصحت به .

ذهبت إلى الجامعة ، كانت تحت حصار بوليسى مكثف .. لم أكن بعد وجها مألوفاً أو معروفا كمحافظ ، ولذلك وجدت إلى جوارى ضابط شرطة يطلق بندقية رش فى اتجاه الطلاب المعتصمين ، خطفت البندقية من يده ، وكادت تنشب معركة جانبية ، لولا أن رأتى سيد فهمى مدير مباحث الاسكندرية أن ذاك وزير الداخلية بعد ذلك .

قلت له : اخرج هذا الضابط بعيدا من هنا ، وأحضر حسن الشاطر رئيس اتحاد طلاب الاسكندرية - أن ذاك - من السجن فورا .

وجاء سيد فهمى بحسن الشاطر وهو فى نوبة بكاء حادة ..

قال : ضربونى يا أفندم ..

قلت له : كن رجلا .. أدخل إلى الجامعة الآن واجمع زملايك فى القاعة الكبيرة وسوف أدخل ورايك لنجلس ونتناقش جميعا ونرى من المخطئ ونحاسبه .

حذرنى مسئولو الأمن بأنه من قبيل المغامرة غير المحسوبة أن أدخل وحدى إلى الحرم الجامعى وسط آلاف الطلاب الغاضبين وأنهم لا يضمنون سلامتى فى هذه الحالة ، ولكننى أصررت على الدخول .

جلست فى مواجهة الطلاب الغاضبين ، وقد أحضروا طالبا ينزف من طلقات البندقية ، ثم قال أحدهم بصوت محرض ووسط غيوم ثقيلة من الانفجالات وهو يشير إلى زميله الطالب : أنظر ماذا تفعلون .. أى تفاهم يمكن أن يكون بيننا .

قلت : أنا لا أعرف شيئا ، ووزير الداخلية هو الذى أعطى تعليماته لمسئولى الأمن بهذا الخصوص ، وهو قرار خاطئ تماما ، واستمر الحوار المنفعل بينما مسئولو الأمن خارج حرم الجامعة فى حالة ترقب وقلق .. وهكذا اتصلوا بوزير الداخلية واتصلوا بمكتب الرئيس وقالوا : ان المحافظ دخل مبنى الجامعة ، ونحن نخشى أن يفتك به الطلاب الغاضبون .. ماذا نفعل .. هل نقترح الجامعة لانتقاذه ؟

ونقل سامى شرف على الفور الموقف إلى الرئيس عبدالناصر ، وكان رده : لا اقتحام اتركوه يتصرف وحده .

لم يكن ممكنا أن تجرى المناقشة مع آلاف الحناجر الغاضبة ، ولذلك اقترحت عليهم أن يشكلوا لجنة تتولى مهمة الحوار ، ولكن الحوار تواصل إلى الصباح دون أن نصل إلى تفاهم أو اتفاق ودون أن تهدأ جذوة الغضب والانفعال .

غادرت الجامعة قبل موعد الفطور فقد كنا فى شهر رمضان الكريم وقفز نحوى

الضباط الذين أمضوا يوما مضطربا وقلقا على مصيرى المعلق .

اتجهت إلى مبنى المحافظة بعد الفطور مباشرة وتركت الصحيفة حسن شاه فى منزلى بعد أن اعتذرت عن إمكان الادلاء بحديث صحفى فى هذه الظروف المتفجرة ، كنت فى حالة من الاجهاد الشديد ، وقد خرجت من الجامعة بانطباع أن تجربة الحوار لن تحقق النتائج المنتظرة ، تزامنت التقارير على مكتبى خلال الساعات التالية ، بأن الطلاب المعتصمين داخل الجامعة قد جهزوا كميات من قنابل المولوتوف ، وأن اتجاه سيناريو الأحداث وفق ذلك يعنى أن الجامعة ستتحول الى ساحة معركة لا يمكن التنبؤ بنتيجتها أو خسائرها .

اتصلت بسامى شرف وقلت له : أبلغ الرئيس أننى أطلب تدخل الجيش لانتهاء الاعتصام .

قال سامى مندهشا : الجيش ؟ جيش إيه ؟

قلت : لا مناص ، فالموقف بالغ الصعوبة ، كانت قد تمت بضع محاولات لإحراق محطات بنزين وأشعلت حرائق فى مناطق مختلفة من المدينة مما أعاد إلى ذاكرتى حريق القاهرة .. وانتابنى الخوف على مصير المحافظة خاصة أن ضغوط الموقف واحتمالاته كانت تتعدى قدرات أجهزة الأمن بالمحافظة .

قال سامى شرف : كيف ؟

قلت : أبلغ الرئيس أننى مسئول عن ذلك ..

بعد دقائق جاء رد سامى :

الرئيس أمرنى بأن أتصل بالفريق أول محمد فوزى - القائد العام للقوات المسلحة وأن أبلغه بأن يتصل بك لكى تتفاهما معا فى الموضوع وتنسقا طبيعة الأجراء المطوب .

بعد دقائق أخرى كلمنى الفريق أول محمد فوزى وقال : لقد وضعت قائد المنطقة العسكرية الشمالية تحت قيادتك .. أخبره بطلباتك وسوف يقوم بتنفيذها على الفور .

قلت بعدها لقائد المنطقة العسكرية الشمالية أن يعطى أوامره لقيادة الطيران فى المنطقة ليتم إرسال عدد من طائرات الهليكوبتر فوق مواقع اعتصام الطلبة ، على أن يكون دور الطائرات هو إعطاء إحياء باللجوء إلى استخدام القوة لفض الاعتصام دون استخدام أية أسلحة أو قنابل من أى نوع .

كما طلبت من قائد المنطقة العسكرية الشمالية وضع بعض قوات الجيش لتدخل إلى المحافظة وتمر بدياباتها وأسلحتها فى استعراض للقوة من أمام كلية الهندسة حيث مركز الاعتصام والاضطراب الطلابى .

عندما وصلت مجموعات طائرات الهليكوبتر فوق كلية الهندسة ، شاركت الطبيعة فى اخراج مسرحى للموقف ، فقد تزامن معها رعد وبرق ومطر ، ومع اصوات الرياح والسحب تصور الطلاب أن الطيران قد بدأ القصف والهجوم فى الوقت الذى مرت فيه بعض قوات الجيش أمام الجامعة وتمركزت بعض الوحدات فى استاد الرياضى المجاور ، ورن جرس التليفون فى مكتبى .. كان المتحدث أحد قادة الاعتصام : قال : لقد قررنا انهاء الاعتصام .

قلت : إذن اخرجوا ولن يتعرض لكم أحد .. وأعطيت تعليماتى للشرطة بأن يسمح لهم بالخروج فى أمان ودون احتكاك .. وخرج الطلاب من باب الجامعة مخترقين صفوف قوات الشرطة .

كان قرار جمال عبدالناصر بعد ذلك ، هو جمع قيادات الطلاب المعتصمين وتسليمهم للقوات المسلحة كعساكر مجندين ، كان رايه أن خدمتهم فى الجيش سوف تريحهم بالضبط مدى الجهد الذى تبذله القوات المسلحة والذي يحتاج إلى جبهة داخلية متماسكة من ورائها ، ورغم ذلك وحين فاتحت جمال عبدالناصر بعد شهر بأن ينهى خدمتهم العسكرية ويعيدهم إلى الجامعة حتى يلحقوا بزملائهم فى الدراسة وافق على الفور .

عندما جاء وقت انتخابات مجلس الشعب بعد ذلك ، جاعنى أحد الأشخاص وسألنى : هل تسمحون لى بأن أشرح نفسى أم لا .. قلت له : لا علاقة لى بذلك ، وسأسال شعراوى جمعه ، وفى حضور الشخص طلبت شعراوى جمعه وقلت له : إن فلانا عندى وهو يسأل عن إمكان السماح له بنزول الانتخابات .

قال شعراوى جمعه : لا مانع .

اكتشفت بعدها أن شعراوى اتصل بعيسى شاهين أمين عام الاتحاد الاشتراكى بالاسكندرية وقال له : أسقطوا فلانا فى الانتخابات .. وبالفعل سقط الرجل ..

بعدها مباشرة جاء جمال عبدالناصر إلى الاسكندرية ونزل فى بيت إلى جوار المحافظة هو أحد متاحف أسرة محمد على ، ذهبت إليه ، وكان أنور السادات برفقته .

سألنى عبدالناصر : ما أخبار الاسكندرية ؟

قلت له : الاسكندرية أخبارها سيئة .

قال : لماذا ؟

قلت بصراحة : أن الناس يتهمون سيادتكم شخصيا بالتزوير فى الانتخابات . لم يبد عليه الضيق ، فقد كان يعلم أنني مباشر معه ولا أحتاج إلى مقدمات أو ألفاظ منتقاة ، ولذلك سألنى بنفس النبرة الهادئة : أعطنى أمثلة .

قلت له كل الأمثلة بما فيها واقعة شعراوى جمعه وعيسى شاهين ..

استمع عبدالناصر جيدا كالعادة دون مقاطعة ثم قال : لقد قدموا لى كل كشوف المتقدمين للانتخابات ، سواء كمرشحين من قبل التنظيم أو من خارجه ، ووفق رغباتهم الشخصية ، وقد اعترضت بالطبع على ١٢ اسما من جميع المرشحين على مستوى الجمهورية وقلت لشعراوى أن يخير أصحاب هذه الأسماء بأن ينسحبوا من الانتخابات وإذا أصروا فليسمح لهم - على أن يتولى التنظيم إسقاطهم .. أما بقية الأسماء من التنظيم أو خارجه فلنترك لها فرصة أن تخوض معركة الانتخابات نظيفة دون وصاية على أحد أو تبني لأحد .

لم أعرف بالضبط كيف تصرف عبدالناصر ، لكننى بمجرد انتهاء المقابلة وذهابى إلى مكتبى بالمحافضة ، لم يتوقف رنين التليفون ، كان الجميع يسألوننى : كيف تقول ذلك للرئيس ..

أما شعراوى جمعه فقد اتصل بى وسألنى : ماذا حدث بالضبط مع الرئيس قلت له باقتضاب : لقد أبلغته بما حدث بالضبط ولم يكن ثمة إمكان بعد ذلك للسؤال عن التفاصيل .

اننى مضطر لأن أقفز إلى الخلف قليلا لأشرح جانبا من أسباب انتقالى للعمل فى القطاع المدنى من الدولة بعد أن ظلت بعد الثورة ولمدة اثنى عشر عاما مصرا بشكل قاطع على ألا أترك خدمة القوات المسلحة .

كان يقينى دائما أن البقاء فى الجيش هو الطريق الأفضل بالنسبة لى لتقديم أفضل خدمة يمكن أن أؤديها إلى وطنى ..

وعندما عدت من سوريا إلى القاهرة وقبل أن تقع مأساة الانفصال كنت ناقدا وناقما على بعض الأسباب والمظاهر التى يصنعها العسكريون المصريون فى سوريا ، سارعت بلقاء عبدالحكيم عامر وشرحت له تفصيلا ما رأيت وقلت له أن

بعض ما يحدث يؤذن بانفجار سورى حقيقى وأنتا ستنحمل النتائج بعد الأسباب التى ساهمنا كعسكريين فى صنعها ، بل قلت لعبدالحكيم عامر بالحرف الواحد : « إذا كان السوريون يحفظون لنا بعض الود فسوف يكتفون بترحيلنا على السفن ، أما إذا كان الود قد تبدد فلن يتورعوا عن قتلنا ، وكان تقدير عبدالحكيم عامر لما سمع ، أن أعصابى قد تعبت أو أفلتت منى ولذلك أصدر قرارا بإرسالى ملحقا عسكريا فى باكستان حتى أستريح ، وفى باكستان أصابنى الضجر ، ثم تحولت أعراض الأزمة النفسية إلى أزمة صحية ، فعدت إلى القاهرة مقررا ألا أعود ، لكن عبدالحكيم عامر تصور أننى ضجر من المكان لا من الدور ، فأصدر قرارا بتعيينى ملحقا عسكريا فى أسبانيا والمغرب فى وقت واحد .. لكننى عدت من هناك أكثر ضجرا وتأزما وصممت أن أعود إلى الجيش .. كان الطريق لذلك هو أن التقي بعبدالحكيم عامر ، ولكنى أخطأت وطلبت المقابلة عن طريق على شفيق .

وفى الوقت الذى كان فيه المشير عبدالحكيم عامر نائب السؤال عنى - كما تحققت بنفسى بعد ذلك - كان على شفيق قد أخفى عنه تماما طلبى للقاءه ، بل أخبره بأننى قد اختفيت وأنهم لم يتمكنوا من العثور على ، كنت قد ضقت ذرعا بانتظار لقاء المشير عامر ، فأبلغت على شفيق أنتى سأترك الخدمة وأبقى فى البيت حتى أبلغ بموعد المقابلة .

وظللت قابعا فى بيتى خمسة أشهر دون جدوى ، ولم أجد بديلا عن طلب للقاء الرئيس عبدالناصر ففعلت ، وتحدد موعد اللقاء فى اليوم التالى مباشرة وكنا فى بداية شهر يناير عام ١٩٦٤ .

لم أكن قد رأيت عبدالناصر منذ خمس سنوات فاضت خلالها مياه كثيرة وتغيرت أشياء أكثر .

دخلت الصالون المعهود فى منزله بمنشية البكرى ، وبعد دقائق دخل جمال عبدالناصر .. مد يده مرحبا ، تأملت وجهه فلم أعثر فوق ملامحه على أى تعبير ، ظللت واقفا فقد أحسست بمشاعر ثرية مباغتة وخيل إلى أنه ليس صديقى القديم الذى كنت أعرفه ويعرفنى جيدا ، وأنه قد تغير وأصبح شخصا آخر .

انتبهت على صوته وهو يطلب منى الجلوس .. قلت بسرعة : كم الوقت المخصص للمقابلة ، ولعله انتبه لنبرة غريبة فى صوتى فقال باقتضاب : الوقت مفتوح ..

حسبت أنها يمكن أن تكون المقابلة الأخيرة فلم أكنم شيئا .. ولا أبالغ إذا قلت أنتى تقايت كل ما فى جوفى .. كل ملاحظاتي ، كل ما رأيته من سلبيات واخفاقات .. فى السلك الدبلوماسى .. ما يحدث فى الجيش ..

كان يسمعنى دون تدخل أو تعليق .. لكن ملامحه بدأت تتغير شيئا فشيئا .. ولم يمض وقت طويل حتى أحسست أنتى استعدت صديقى وأستاذى القديم .. مروقت طويلا قبل أن أتوقف .. وسألتنى : ثم ماذا ؟

منذ شهور وأنا أحاول أن أقابل عبدالحكيم عامر دون جدوى وبالنسبة لى فعندى اقتراحان : أن أعود إلى القوات المسلحة وأعمل للإصلاح ، أو أن أغادر القوات المسلحة عكس رغبتى وفى هذه الحالة لك أن تختار لى مكانا بعيدا عن السفارات والشركات .

قال : إذن أين يكون هذا المكان ...

قلت : كما تشاء : جندى .. شاويش

قال : ولماذا ؟

قلت : لا أريد أن أذهب إلى شركة واسمع الناس من ورائى تقول : لقد جاعوا

بالضباط كالعادة ، أما السلك الدبلوماسى فقد عاشرتة بنفسى وهى معاشرة لا أحب أن تتكرر .. إنهم بصراحة يفعلون أى شىء إلا العمل الدبلوماسى ..

قال وهو يشد قامته الطويلة : طيب يا أحمد ..

اضفت وأنا أصافحه قرب الباب :

أنا لن أعود إلى الشغل إلا عندما يصلنى من سيادتك خبر ..

بعد يوم ٤ مارس اتصل بى شمس بدران وكان وزيرا للدفاع وقال : الرئيس وافق على نقلك من القوات المسلحة .

سألته : إلى أين ؟

قال : لا أعرف .

ثم صدر قرار جمهورى بتعيينى فى رئاسة الجمهورية بدرجة مدير عام ، وذهبت إلى الرئاسة ، ولكننى لم أجد أى عمل قد أسند إلى ، وظللت شهورا طويلة أكتب كل اسبوع خطابا قصيرا إلى جمال عبدالناصر أقول فيه : سيادة الرئيس : أحيطكم علما بأننى ما أزال موجودا فى رئاسة الجمهورية دون أن يسند إلى أى عمل .

ولما كانت أيام الأسبوع تمضى دون رد من جمال عبدالناصر فقد كنت أكتب إليه خطابا جديدا يتضمن نفس الكلمات وهكذا لا يرد الرئيس ولا أتوقف عن كتابة الخطابات إليه .

بعدها بعام كامل ذهبت مهنئا بزواج ابنته هدى ، وفوجئت بعبدالناصر يقول لى وهو يصافحنى : لقد أصدرت قرارا بتعيينك محافظا لأسبوط .. هل ستنتج فى المهمة ؟

قلت : « قوى » .

قال : حسنا .. أسبوط بها أهلى وأقاربى ، ولا أريد منك أن تجامل أحدا منهم أبدا ومهما تكن الظروف .. أنتى أطلب منك على العكس من ذلك .. أن تعاملهم بقدر من الخشونة والعنف ..

ولما كنت أعرف الرئيس جيدا ، فلم تكن إضافته الأخيرة موضع اندهاش منى ..

ذهبت فى اليوم التالى للقاء وزير الحكم المحلى وقلت له : أنتى رجل قضيت عمرى كله فى العمل العسكرى ، ولست أعرف على وجه التحديد ما عمل المحافظ .. ولذلك أطلب أن يتم تأهيلى أولا لهذا العمل الجديد ..

ضحك وزير الحكم المحلى وخرجت الضحكات من مكتبه ووزعت على مكاتب

عدد من الزملاء والمسؤولين .. ولم أعدم من يقول لى بعد ذلك مستظرفا : ماذا كنت تريد ؟ أن يقيموا لك دورة تدريبية ؟ ..

أصبح حديثى عن ضرورة إعداد المسئول لموقعه الجديد موضع تنذر شديد بينما كنت أعنى ما أقول تماما .. فلم يكن لدينا - وما يزال - نظاما مؤسسا لإعداد القادة ليصبحوا وزراء أو محافظين أو قادة وحدات اقتصادية أو إدارية .. نحن نختار ويتم الاختيار وفق أسس غير موضوعية فى الغالب لأنها تعتمد على الثقة الشخصية ، وإذا لم يكن هناك مقياس واضح وعام وموحد وليس شخصيا نقيس به الناس وهو ما يشكل مصدر خطر ، فالأكثر خطورة أنه ليس ثمة إعداد يسبق الانتقاء ، لأن إحدى مهام العمل السياسى الناجح أن يقوم بإعداد قادة المستقبل فى كل فروع الحياة ..

• أتصور - مثلا - أن أهم وظيفة فى مصر كلها ، هى وظيفة المحافظ ، وهى فى الوقت نفسه من أشق الوظائف على النفس والبدن ، فمن حولها تتراكم هموم الناس وتدور متاعبهم واحباطاتهم ومعاناتهم ، وبواسطة سياسيين حقيقيين يمكن التخفيف عن أعباء الناس بل يمكن أن يتحمل الناس أعباء أكثر وأثقل إذا تم مخاطبة عقولهم وقلوبهم بصدق واقتناع ، أذكر تدليلا على ذلك أننى كنت أقف على محطات الأوتوبيس المكتظة فى الصباح الباكر ، وكان كثير من الواقفين على المحطات يأتون متبرمين إلى من طول الانتظار ومن سوء وسائل المواصلات ، وكان زحام الجمهور سرعان ما يتحول إلى حلقة نقاش ، وكنت أقول لهم : اختاروا أنتم ونحن نواجه مشكلة احتلال أراضينا .. هل تشتري أوتوبيسا جديدا ، أم تشتري دبابة .. وأظن أن الذين كنت أخاطبهم بنفسى كانوا يقفون على المحطات أو ينحشرون فى الأوتوبيسات وهم أكثر استعدادا لتحمل متاعب الانتظار والتنقل .

ولا أبالغ بعد ذلك إذا قلت أنه إذا تم اختيار محافظين جيدين وفق أسس موضوعية على مستوى مصر كلها ، لحلت مشكلاتنا بأسرع ما نتصور أو نعتقد ، ولو تم اختيار الوزراء من المحافظين الذين برهنوا على نجاحهم فى عملهم ، لحلت مشكلات الدولة ككل ، إن المحافظ ، فى معمة تتفجر وتتداخل فيها مشكلات التعليم بالصحة بالصرف الصحى بالزراعة ، بالرى ... إلخ .. كما أنه يعايش مشكلات الجماهير اليومية ، وإيقاعها اليومية ، كجرائم ومخدرات وتطرف إلخ ... وأظن أن انصهاره فى هذه البوتقة اليومية سيتيح له عندما يصدر قرارا وهو فى موقع الوزير ألا يكون قراره مرتكزا على منطقة القاهرة والاسكندرية التى تتوقف معرفتها عند حدودها .

لقد اتصل عملى فى أسبوط عامين كاملين ، تجولت خلالهما على قدمى فى ٢١٥ قرية هم مجموع قرى المحافظة .. حيث عرفت كل حقل فى أسبوط ، وكل مخبز ومقهى ، ومصرف وطريق وزاوية ولقد أعطتني أسبوط فوق ما أعطيتها زاد حب ومعرفة لا ينقد .

رؤية من داخل التنظيم الطليعى أو السرى

تبلورت فكرة التنظيم الطليعى - أو التنظيم السرى - فى عقل جمال عبدالناصر من محصلة فشل الأطر السياسية المختلفة التى أقامتها الثورة ، فى تحقيق أهدافها .

كان أول تنظيم سياسى أقامته الثورة هو هيئة التحرير ، ولقد عكس هذا التنظيم نفسه أكبر أخطاء التجربة ، وهو الاعتماد على هيكل النظام القديم ومحاولة إقامة دعائم النظام الجديد على قاعدته .

كان التنظيم الأول هلاميا ، بلا بوصلة فكرية ، أو قواعد تنظيمية ، أو تقاليد عمل سياسى ، وكان من الطليعى أن يسيطر العسكريون عليه وأن يعتقد بعضهم أن العمل من خلاله هو امتداد للعمل فى بعض الوحدات العسكرية .

وحين انتقل العمل السياسى للثورة خطوة أخرى إلى الأمام ، وأقيم الاتحاد القومى تسالت إلى القيادة فيه ، نفس العناصر التى قادت تجربة هيئة التحرير إلى الفشل الذريع ، ولذلك كان من الطليعى أن يخفق التنظيم الجديد بدوره فى مهمة جمع الجماهير وتنظيم حركتها فى عمل سياسى جاد .

وحين فشل الاتحاد القومى ، وأقيم الاتحاد الاشتراكى بعد ذلك ، وتأسست له فرصة الإمساك بهوية فكرية وسياسية أكثر نضجا واكتمالا ، حالت البيروقراطية السياسية التى تحصنت بالمكاتب واستغنت عن العمل السياسى الجاد فى صفوف الجماهير ، بإطلاق الشعارات وإقامة السراقات ، دون أن يمتلك جسم التنظيم بالروح والدم ، فأصبح هو الآخر إطارا فضفاضا أهم سماته العجز عند القيادة والتخلف عن نبض الشارع .

وهكذا قدر لجمال عبدالناصر أن يقود التجربة ، حتى فى ميدان العمل الجماهيرى بشخصه وبمفرده ، وحين حسم الشارع المصرى فى كثير من التحديات التاريخية الموقف بقوة الجماهير ونبضها الحى ، فقد تم الحسم خارج أى من التنظيمات القائمة .

فقد كان الشارع باختصار شديد ، لا أيا من هذه التنظيمات ، هو حزب عبدالناصر .

فى عام ١٩٥٦ ، عندما وقف جمال عبدالناصر على منبر الجامع الأزهر يهتف « سنحارب .. سنحارب » رددت الجماهير وراءه الهتاف ، وكانت وحدها سنده ومنبع قوته ، بينما كانت الأطر السياسية حائرة فيما تفعل ومالا تفعل .

وفى عام ١٩٥٨ عندما قامت أول وحدة عربية فى العصر الحديث بين مصر وسوريا ، قدر لى أن أرى الجماهير السورية وهى تحمل سيارة عبدالناصر على أكتافها ، وأن أراها وهى تبث فى العراء ، فى انتظار أن يطل عليها من قصر الضيافة ، غير أن غياب العمل السياسى ، وقصور أجهزته لم يستطع أن يستثمر هذا التيار الجماهيرى الكاسح ، وكما بدد حلاوة الوحدة ، أنجب مرارة الانفصال .

وفى عام ١٩٦٧ ، عندما خرجت الجماهير إلى الشارع ، ترفض الهزيمة ، لم يكن رغم ادعاء البعض بعد ذلك ، للتنظيم السياسى ، ولا لمنظمة الشباب ، أدنى دور أو تدخل ، بل ان القيادات فى هذه الأطر السياسية لم يكن لديها ما تفعله سوى أن تعدو وراء الجماهير لكى تظهر إلى جوارها فى الصورة كذبا وافتراء .

وفىما أعلم فقد كان جمال عبدالناصر يفهم ذلك كله ويدركه ، وبهذا الفهم والادراك تبلورت فكرة انشاء جهاز سياسى خاص ، ليقود العمل داخل تنظيم الاتحاد الاشتراكى الذى أصابه الترهل ولم يعد يفعل شيئا غير الوساطة ، ومحاولة فرض السيطرة .

وبدأ التنظيم الطليعى ، أو الجهاز السياسى الجديد ، باختيار عبدالناصر لخمسة أشخاص من المقربين إليه ، على أن يكون دور كل واحد منهم ، أن يسعى إلى تجنيد مجموعة خاصة به ، من عشرة أشخاص ، بشرط أن يعرض كل منهم أسماء أشخاصه المنتقنين على عبدالناصر للموافقة عليها أولا ، كان الأشخاص الخمسة الذين بدأ بهم عبدالناصر فكرة بناء التنظيم الطليعى هم على وجه التحديد : عباس رضوان ، كمال رفعت ، على صبرى ، أحمد فؤاد ، محمد حسنين هيكل .

واختار كل واحد من هؤلاء الخمسة ، عشرة أشخاص عرضها على جمال عبدالناصر ثم اختار كل واحد من العشرة المختارين عشرة أشخاص آخرين ، وهكذا أخذت الدوائر تتسع وتبتعد شيئا فشيئا عن متابعة جمال عبدالناصر ، بل وعن متابعة الخمسة المكلفين ، ثم بدأت تظهر بعض المشكلات ذات الطبيعة التنظيمية أو الاجرائية ، خاصة أن الدوائر التى اتسعت شملت أسماء تنتمى جغرافيا إلى محافظات مختلفة ، مما شكل صعوبة فى حضور الاجتماعات ، وبذلك بدأ التفكير فى عمل هيكل تنظيمى للأسماء المختارة ، وأطلق عليه اسم « التنظيم الطليعى » .

كانت الفكرة الأساسية أن الاعلان عن عضوية هذا التنظيم سيمثل حافزا للناس لكى تعمل فى صمت ، وتتعلم فى صمت ، ثم أنشئ المعهد الاشتراكى ليكون أداة التثقيف .

غير أنه لم يمض وقت طويل حتى كانت الفكرة الأساسية قد جرى لى عنقها ، فقد بدأ بعض المنتفعين الذين تم اختيارهم للتنظيم الطليعى يصورون للناس أنهم أعضاء فى التنظيم السرى لجمال عبدالناصر ، ثم شكلت أمانة التنظيم بعد ذلك برئاسة شعراوى جمعه وعينت لجنة لإدارته حيث عينت أنا أميناً للعمل السياسى وعين محمد المصرى أميناً للتنظيم وعين أحمد حمروش أميناً للتثقيف ، وكان ضمن أعضاء أمانة التنظيم : سامى شرف ، أحمد شهاب ، حسين كامل بهاء الدين ، عبدالمجيد شديد ، عبدالمعبود الجبيلى ، محمد عروق ، يوسف غزولى ، أمين عزالدين ، ومحمود أمين العالم .

لقد انبرت فى مرحلة تالية أقلام كثيرة تهاجم التنظيم الطليعى ، وأطلقت على أعضائه أسماء الجواسيس وكتاب التقارير ، ولم يكن ذلك فى الحقيقة هو دور التنظيم فعلاً ، وأيا كانت الأخطاء ، وأوجه القصور والتجاوزات - وسوف أناقشها تفصيلاً بعد ذلك - فقد استطاع هذا الإطار أن يساهم فى تثقيف كثير من الكوادر والقيادات السياسية ، التى برزت بعد ذلك فى مهام العمل السياسى أو التنفيذى ، يكفى - مثلاً - أن أربعة من رؤساء الوزارات بعد رحيل جمال عبدالناصر كانوا أعضاء فى التنظيم الطليعى ، ولا أبالغ إذا قلت أن كثيراً من أبرز القيادات فى العمل السياسى والتنفيذى على مستوى الوزارات والمحافظات حتى الآن كانوا جميعاً أعضاء فى التنظيم الطليعى ، بل أن بروزهم فى عملهم السياسى والتنفيذى يرجع فى جانب كبير منه الى التنمية السياسية والفكرية التى وفرتها لهم تجربتهم السابقة فى إطار التنظيم .

ربما يكون الخطأ الأكبر والأول فى عملية بناء التنظيم الطليعى ، يرجع إلى جمال عبدالناصر نفسه ، حيث عين على رأس التنظيم ، وعلى رأس الاتحاد الاشتراكى نفسه ، عناصر قيادية ، قضت سنوات طويلة من عملها فى المخابرات العامة ، وهذا ما ينطبق على على صبرى وشعراوى جمعه وسامى شرف .

وإذا كانت وظيفة ضابط المخابرات فى الأصل هى جمع المعلومات ، أو أن المعلومات هى أساس عمله ، فكان من الطبيعى أن ينعكس هذا الحس الوظيفى السابق على أسلوب العمل السياسى نفسه بحكم القائمين عليه ، فتعطى أجهزة العمل السياسى أولوية لجمع المعلومات ، أو تتحول نفسها إلى أجهزة جمع معلومات .

وإذا أضفنا إلى ذلك أن هذه العناصر القيادية نفسها كانت فى الوقت نفسه ، تصب لديها بقية أجهزة المعلومات الأصلية ، فإن ترتيب الأولويات يصبح رصيذاً منتقفاً من العمل السياسى .

لقد كانت تصب عند سامى شرف جميع أجهزة المعلومات (مخابرات - مباحث - رقابة إدارية .. إلخ) وكان شعراوى جمعه على رأس جهاز الشرطة وكانت تتوافر لى صبرى كل هذه المعلومات فى الوقت نفسه .. ولذلك وإضافة

إلى سيادة نمط وظيفة جمع المعلومات ، فإن معلومات الأجهزة الحكومية بحكم هذه الصلات المتداخلة كانت تعطى مصداقية خاصة على أجهزة التنظيم السياسى .

أما الخطأ الثانى فقد ترتب على إنكار مبدأ التفرغ للعمل السياسى وبذلك أصبح جميع العاملين فى قيادات الاتحاد الاشتراكى موظفين لدى الدولة ، بل أصبح لهم درجات وظيفية ، فأمناء الاتحاد الاشتراكى يتقاضون راتب وزير ، وأمناء المحافظات يتقاضون راتب نائب وزير حتى يتساووا مع المحافظين ، وهكذا كاد العمل فى الاتحاد الاشتراكى يتحول إلى مهنة وظيفية جديدة وزاد الصراع بين الوزراء والأمناء ، وبين المحافظين وأمناء المحافظات ، وكان يفترض أن يحل التنظيم الطليعى هذا التناقض ولكن للأسف الشديد لم يحدث أى تنسيق أو تخطيط يحفظ للعمل السياسى دوره أو هدفه أو أدواته .

الخطأ الثالث ترتب على طبيعة الانتقاء نفسه من فوق الخريطة الاجتماعية لقد تحدث جمال عبدالناصر نفسه عن تحولات الطبقة الجديدة التى سدت بنموها مجرى التطور وورثت كثيرا من الأوضاع الاجتماعية الخاصة التى قامت الثورة أصلا للإطاحة بها ، لقد اكتنزت الثروات فى أيدي البعض ، وسكنوا قصور الطبقة القديمة ، ولم يكن ممكنا أن يصلحوا لأدوار تعين على التحول إلى الاشتراكية .

لقد واجهنا صعوبات كثيرة أخرى عندما بدأنا العمل فى أمانة التنظيم الطليعى ، وقد اقترحت وقتها أن يكون التنظيم جغرافيا ، وبعد مناقشات وافقت أمانة التنظيم على تنفيذ التجربة ، وانيطت بى مهمة البدء بها فى محافظتى الاسكندرية والبحيرة ، الأولى كمحافظة حضرية والثانية كمحافظة ريفية ، ثم واصلت الأمانة العامة التجربة على مستوى باقى المحافظات .

ونجحت التجربة وبدأنا نكلف لجان المحافظات بأن تقدم لنا تقريرا عن أحوال محافظاتها فى جميع نواحي الحياة ، وأن تخطرنا بجميع النواقص ، وبدأنا فى أمانة التنظيم نجلل هذه المعلومات وندققها ، ثم نرفع تقريرا يوميا إلى الرئيس عبدالناصر يغطي أوضاع وأحوال الجمهورية كلها ، وقد حرصنا على أن يكون فوق مكتبه فى تمام الساعة الثامنة صباح كل يوم ، وكان عبدالناصر يعيد إلينا التقرير فى اليوم نفسه ، وعليه تأشيراته فى شكل قرارات حاسمة وحازمة ، عقابا وثوابا ، واتصلت دورة العمل بإرسالنا قرارات الرئيس فى اليوم نفسه إلى الوزارات المختلفة لوضعها موضع التنفيذ ، كنت بوصفى مسئولا عن العمل السياسى فى التنظيم أرسل التقرير اليومى لعرضه على الرئيس مباشرة عن طريق سامى شرف ، لكن الوزراء والأجهزة التنفيذية لم تتحمل هذا العمل ، فبدعوا يضجون بالشكوى إلى شعراوى جمعه ، وبدأت الخواطر والمجاملات تتدخل ، وطلب شعراوى جمعه أن ترسل إليه التقارير أولا لقراءتها ثم يرفع هو إلى الرئيس ما يراه مناسبا ، وهكذا قدر لهذه الخطوة الناجحة أن تتعثر ، فقد بدأت التقارير بحكم مسئوليات شعراوى جمعه الكبيرة تتراكم على مكتبه ، ثم بدأت معلوماتها تفقد - بمرور الوقت - قيمتها وكان من الطليعى أن يفتر الحماس فى القواعد لأن العمل السياسى ، طريق نو

اتجاهين .. ثم كان من الطبيعي أيضا أن تتسلل الشللية إلى أمانة التنظيم الطبيعي ذاته .

وما أكثر ما أصبحت التعليمات تصدر من أعلى ، ولا يجد الأعضاء الجادون والمملوون حماسا في مواجهتها سوى الاعتراض ، ثم لا تجد القيادات سوى التبرير وسيلة لانتهاه المناقشات وفرض الأمر الواقع .

ولعل الخطأ الأكبر في ذلك كله كانت - فوق عدم وجود مواصفات خاصة للانضمام والعضوية - تتعلق بغياب الديمقراطية داخل التنظيم ، سواء أثناء المناقشات أو عند الترشيح أو في الانتخابات نفسها .

ففي جميع الانتخابات كانت تصدر التعليمات بمن يتم انتخابه ، وكان التنظيم الطبيعي نفسه هو أداة تحقيق ذلك ، تحت شعار أن القيادة تعرف أكثر ، ولقد تم ذلك في الاتحاد الاشتراكي كما في مجلس الأمة وفي النقابات المختلفة .

والأمثلة على ذلك كثيرة ..

لقد انتخب محمد حسنين هيكل عضوا باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي في انتخابات عام ١٩٦٨ بينما كان موضع نقاش جاد في كل المستويات السياسية في الاتحاد وفي منظمة الشباب ، ورغم أنه لم يحضر إلى اللجنة في المؤتمر القومي العام الذي انتخبه .

وأثناء محاكمات ١٥ مايو ١٩٧١ فسر ضياء الدين داود موقف المدعى العام منه تفسيراً شخصياً على أساس أن المدعى العام رشح نفسه لانتخابات اللجنة التنفيذية العليا ولم يحصل إلا على ٨ أصوات ، بينما نجح ضياء داود في أن يصبح عضواً في اللجنة التنفيذية العليا .

والحقيقة أنه لم يكن لشخص ضياء داود دور في نجاحه ، ولولا التعليمات الواضحة التي صدرت بانتخابه لما استطاع الوصول إلى مقعده القيادي ، وذلك ما ينطبق على جميع أعضاء اللجنة التنفيذية العليا باستثناء واحد وحيد هو عبدالمحسن أبوالنور الذي نجح بجدارة ودون تعليمات ، ولولا التعليمات التي أعطيت للتنظيم الطبيعي ، لتغير شكل اللجنة التنفيذية تماما .

بالنسبة لي فلم يطل بي المقام في أمانة التنظيم الطبيعي ، فقد تركت الأمانة بعد أن تم تعييني محافظاً لأسبوط وأميناً للتنظيم الطبيعي بها ، وقد فوجئت بالمستوى الذي وجدت عليه مجموعات التنظيم هناك ، فقد ضمت الكثير من العناصر التي لا تعرف حتى الهدف من انشاء التنظيم ، وقد استوى الأمر بين المثقفين وغيرهم ، وكان ذلك بالطبع راجعاً إلى غياب معايير العضوية والتنظيم والتثقيف ، وأعدت تشكيل التنظيم وسط صعوبات بالغة . فرغم أن أمين الاتحاد الاشتراكي في المحافظة كان عضواً في لجنة المحافظة ، فإن كلا منا كان يسير في

واد . ولم يقدر للقيادة أن تتوحد أبدا . ويبدو أن أحد أسباب ذلك أننا لم نتدرب سياسيا على العمل الجماعى ، لقد لجأت إلى تعبئة الشباب المتحفز للمشاركة ونجحت بالشباب فى حل كثير من المشكلات المزمنة فى المحافظة ، كان الشباب هو طريقى لنزع فتيل كثير من الالغام الطائفية ، وحل كثير من الخلافات العائلية التى تقود إلى حوادث ثار ، ثم كان ساعد العمل السياسى القوى لردم كثير من البرك ، وإقامة كثير من الطرق ، وإشاعة طاقة عمل متحمس على مستوى المحافظة كلها ، سواء فى المستشفيات أو الجمعيات التعاونية ، أو الوحدات الريفية ، كما تم ربط جامعة أسيوط - والتى قام بإنشائها الأستاذ الدكتور سليمان حزين ، والذي قام بعمل عظيم لا ينسى ، بالمجتمع الأوسع من حولها ، وكانت نتائج ذلك كله ممتازة على مستوى تحسن الأداء الجماهيرى العام .

ويكفى على سبيل المثال ، أن نورالدين قره وزير التموين فى ذلك الوقت طلب سرعة توريد محصول قمح المحافظة ، نظرا لأن المخزون المركزى من القمح لم يكن يكفى لاستهلاك شهر واحد ، وقد اعتبر التنظيم أن هذه هى مهمته الأولى ، فأُضيفت حقول أسيوط كلها ليلا واستطاعت سواعد الرجال والشباب - متقنين وعمالا وفلاحين - أن تجمع القمح وتحصده ، وتوصله إلى القاهرة فى وقت قياسى ووسط تعقيدات شديدة فى مجتمع كانت العائلات الكبيرة ما تزال فيه هى مصدر القوة ، وفى ظروف كانت الأجهزة الحكومية نفسها هى أول من يقاوم التغيير .

عندما عدت من أسيوط أمينا للشباب ، انضمت مرة أخرى لأمانة التنظيم الطليعى وكلفت بمتابعة بعض أعماله فى محافظات الصعيد ، وكان التنظيم فيها ضعيفا وقد اشتد وهنا بعد حادثة هزت الثقة فى عمله .

لقد عينت بعد الأخ الفاضل على فهمى شريف أحد الضباط الأحرار ، وأحد وجوههم المشرقة إيمانا وخلقا واستقامة ، ويبدولى أن هذه الصفات فيه هى جزء من تراث عائلى عريق ، فقد كان شقيقه هو قائد المدفعية المصرية العظيم اللواء محمد شريف الذى أخرج أجيالا متصلة من ألمع ضباط المدفعية والذى لم ينس أبناءه حتى فى قلب حرب ١٩٤٨ ، فقد وزع نفسه على ميادين القتال ، حشدا للروح المعنوية وزرعا للثقة والطمأنينة فى قلوب المقاتلين ، ولم ينس جيلنا اللواء محمد شريف كذلك ، كما لم ينس له أن قدم استقالته وقبع فى منزله اعتزازا بكرامته عندما تم تخطيطه قبل الثورة بتعيين اللواء حسين فريد رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة .

لقد تصرف على فهمى شريف فى إحدى جلسات التنظيم الطليعى من وحي إيمانه وتأجج مشاعره الوطنية ، وقال ما يعتقد أنه الصواب فى حق هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وحمل المسؤولية على أكتاف أصحابها ، ولم يتجاوز فيما قال لأنه كان يستند إلى لائحة التنظيم التى كانت تنص على حق المناقشة فى كل قضية بصراحة ووضوح ، ولم يهضم المسئولون عن التنظيم ما قاله فهمى شريف

واعتبروه تجاوزا ، ثم أرسلوا إليه من أمانة التنظيم الأخ شوقي عبدالناصر ليستوضحه عما قيل فى هذه الجلسة ، وقد أعاد تكرار آرائه بنفس الوضوح والصراحة فكانت النتيجة صدور قرار بإعفائه من التنظيم ومن موقعه كمحافظ للمنيا .

لقد قلت فيما سبق أن اختيار عناصر بعينها لقيادة التنظيم الطليعى عند إقامته أدى إلى سيطرة عقلية بوليسية على عمله ووظيفته ، وكان ذلك على حساب دوره السياسى الذى كان هو جوهر عمله المفترض ، وكان ذلك - أيضا - سببا فى هبوط التنظيم وتحله المبكر .

أذكر أنه أثبتت فى بداية إنشاء منظمة الشباب قضية أمنية ، حين رفعت إلى على صبرى تقارير تفيد أن اختراقا قد حدث للمنظمة بواسطة أحد التنظيمات السياسية العربية ، وكان أحد الأعضاء الذين شملهم الاتهام هو سمير حمزة الذى كان عضوا فى التنظيم وضمن مجموعة سامى شرف .

وقد اعتبر على صبرى تقارير الأمن بمثابة حقيقة مسلم بها ، وتم اعتقال المتهمين بعد أن قبضت عليهم أجهزة الأمن ، ثم سلمتهم إلى أمانة الشباب ، فتم اختجازهم فى مبنى الاتحاد الاشتراكى ، وتم معاملتهم بشكل بالغ السوء ، حتى أن حسين كامل بهاء الدين أمين الشباب شارك فى صفعهم بالأقلام على وجوههم ، وانتهى الأمر بفصلهم جميعا من منظمة الشباب دون أن يتم تحقيق سياسى رفيع المستوى يجلى الحقيقة ويحددها بوضوح .

ورغم أن سمير حمزة ، كان مقربا من سامى شرف ، وكان يدرى كل تحركاته السابقة واللاحقة ، فإن سامى شرف لم يتحرك لحمايته أو استنقاذه .

ولقد كان هذا الحادث سببا فى ترك الكثير من الشباب الملتزم المؤمن للتنظيم ، وتفضيله أما الانزواء بعيدا عن العمل السياسى ، أو الهجرة إلى الخارج التماسا لمخرج .

كان هدف جمال عبدالناصر إذن من إنشاء التنظيم الطليعى مختلفا تماما عن السياق العام الذى تحركت فيه تجربته ، بل أن جمال عبدالناصر كان يستهدف فى النهاية أن يتحول التنظيم السرى الى تنظيم علنى للثورة ، بعد أن تم تكوينه على أسس سليمة وصحيحة ، وبعد أن يتطهر أعضاؤه فى بوتقة العمل السياسى الخالص من أمراض البيروقراطية والتطلعات والانتهازية التى كانت قد تفشت فى أوصال الاتحاد الاشتراكى .

وهكذا أهدرت فرصة أخرى ، كان يمكن أن تحقق عملا سياسيا فريدا فى تطور الحياة السياسية المصرية .

هكذا تاكلت الثورة مبكرا من داخلها

ربما لن يكون مفاجئاً للبعض أن أقول أن عدد الضباط الأحرار الذين خرجوا بالفعل ليلة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ وهم يحملون أرواحهم على أكفهم كان ٩٩ ضابطاً ، لكن قد يشكل مفاجأة للكثيرين أن أضيف أن الأغلبية المطلقة من هؤلاء الضباط لم يقدر لها أن تستمر على سطح الحياة السياسية بعد الثورة ، بل أن معظمهم قد تعرض بعد ذلك إلى متاعب جمة تبدأ بالسجن وتنتهى بالتصفية الأدبية ، فى حين قدر لآخرين أن يتسلقوا قمة الموج الثورى بعد ذلك وأن يقفزوا إلى مواقع الحكم والتأثير فى أجهزة الدولة المختلفة ، وذلك فيما أحسب لا يشكل حالة خاصة لثورة يوليو ١٩٥٢ ولكنه يكاد يكون قانوناً عاماً لكل ثورة .

إن البعض يفسر الخلل الأساسى فى تطور مسيرة ثورة يوليو ، بالتحول المبكر الذى حدث نتيجة انتقال طلائع الطبقة المتوسطة التى قادت الثورة إلى مواقع اجتماعية أخرى بعدها ، خاصة أن هذا التحول - كغيره من التحولات الاجتماعية - قد حدث حسياساً ودون إدراك ، وذلك تفسير صحيح بالمعنى العام ، لكن الصحيح أيضاً أن الثورة - أية ثورة - يخطط لها العقلاء ، وينفذها المجانين ويستفيد منها المنافقون ، ولهذا فإن مصادر الخلل كانت إلى حد ما ، قائمة فى التركيبة الأولى للثورة .

لقد ضمت هذه التركيبة الأولى ثلاثة عناصر : نواة أساسية قوامها وطنيون أنقياء هدفهم الأساسى تحسين أوضاع وطنهم ، وهى فئة قليلة العدد لكنها واسعة التأثير بحكم مشاعرها الوطنية المتأججة وثقافتها العالية .

أما العنصر الثانى فهو يتشكل من عدد من المغامرين ، هؤلاء الذين يجذبهم بريق المغامرة فى كل زمان ومكان ، فيبحثون عنها ويدمجون أنفسهم فيها .

أما العنصر الثالث فيضم فئات قريبة من القاع لن تخسر بالمغامرة الكبرى نجاحاً أو فشلاً سوى قيودها .

إن الثورة نفسها عمل إيجابى عظيم ، ولكن بعد نجاحها سرعان ما يبدأ الصراع بين مصالح هذه العناصر الثلاثة : أولئك يريدون المغنم العاجلة ، وأولئك يطلبون ثمن المغامرة دون انتظار بينما ينشد غيرهما مصلحة الوطن العليا .

وعلى شبكة من التناقض بين المصالح الخاصة الجديدة ، والمصالح العامة المستهدفة ، تتكون شبكة معقدة من التناقضات تحتاج معالجتها إلى اقتدار حكيم .

وفى أوج الصعود والنجاح تكون عوامل الدوار والاندفاع أكثر تأثيرا من عوامل التآنى والحكمة . ذلك أن قادة الثورة القادمين من المجهول يحتاجون بعد نجاحها إلى تأييد وجمهرة ومنتهمين ، وعندما تتسع دوائر المؤيدين والمصفقين سرعان ما ينعكس هذا الاتساع على الثورة ذاتها ، التى تستمر فى بناء قصيدة طويلة من الاعجاب بنفسها تندمج فى مفردات القصيدة أكثر الحناجر حماسا وأكثر الأكف تصفيقا ، حيث يصبح الحماس والتصفيق قبل النقاء الثورى هو مقياس الصعود والاقتراب فيمتلىء المسرح بالمستفيدين الذين أجروا حناجرهم وأكفهم للاندفاع الجديدة .

إن هذا هو ما حدث تماما مع ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فهؤلاء الذين أجروا حناجرهم وأكفهم للثورة فى البداية دون أن يشاركوا موضوعيا ولا ذاتيا فى صنعها ، هم الذين قدر لهم بعد ذلك أن يتسببوا فى إنتاج كثير من الأخطاء والتجاوزات عبر مسيرة الثورة ، وهذا هو الذى راكم تراثا كاملا من التقصير .

إننى لا أريد أن أتكلم عن أفراد أو أشخاص ، أو أن أضع مسئولية ذلك على اكتاف شخص دون آخر ، فالحقيقة أن كل فرد فى الثورة مسئول عن هذا التراث .. من أعضاء تنظيم الضباط الأحرار ، إلى أعضاء مجلس قيادة الثورة .. وليس ثمة واحد من بيننا جميعا يستطيع أن يعفى نفسه من المسئولية .. إننا جميعا لم ندافع بالقدر الكافى ، ولم نحاول بالقدر المطلوب .. تلك حقيقة لا أريد أن أدخل فى تفاصيلها الآن ولكن حسبى أن أضع ملامح عامة ليت غبرى من الباحثين الجادين يأتى ليطبقها عمليا على خريطة الثورة . لأن نتيجة ذلك سوف تكون دسا عظيمة ينبغى أن تظل حاضرة فى عقول الأجيال القادمة .

أريد أن أضيف فى هذا الإطار - قبل أن أعود إلى ذلك بالتفصيل - أن جمال عبدالناصر ظل هو صمام الأمان الوحيد فى التجربة كلها ، وأنه كان حاضرا ومتيقظا وواعيا لما يحدث ، وأنه كان يحاول أن يصحح قدر الإمكان .. فقد كان أمينا مع نفسه ، ومع مواطنيه ، مثلما كان صادق العزم ، لكنه للأسف كان محكوما بتوازنات معقدة ، تعوق التصحيح ، وتجهض المحاولة .

لقد قدر لى أن أعرف جمال عبدالناصر مبكرا جدا وعن قرب ، فقد كان مدرسى فى الكلية الحربية ، ثم فى مدرسة الشئون الادارية ، وكان يعرفنى جيدا منذ هذا الوقت المبكر ، فقد كنت بأشجاويش السرية الثالثة بالكلية ، ولذلك عندما طرح أسمى عليه للانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار رحب بشدة ، ولقد اتصلت علاقتنا بعد ذلك ، وكانت تفيض ثقة وتقديرا واحتراما .

غير أن ثمة مفارقة غريبة في مسألة انضمامي لتنظيم الضباط الأحرار ، فقد كان أول من ضمنى في التنظيم هو محسن عبدالخالق - من قيادات المدفعية ، وكانت له أعمال بطولية في فلسطين ولكن ضمى تم بعد عودتي منسحباً من « المجدل » في حرب عام ١٩٤٨ ، بينما كان جمال عبدالناصر ما يزال محاصراً في الفالوجا .. ثم ضمنت للتنظيم مرتين بعد ذلك - كانت احدهما بواسطة الفريق أول محمد فوزى وزير الدفاع بعد ذلك ، والثانية بواسطة ضابط زميل هو زغلول عبدالرحمن ، وربما يوضح هذا أن عملية بناء تنظيم الضباط الأحرار لم تكن تتم بشكل مركزى جداً ، وأن عملية الضم لم تكن تخلو من خلل .

بعد نجاح الثورة بفترة وجيزة ، عرض على - مع تمسكى ببقائى فى القوات المسلحة - أن أعمل ياورا لمحمد نجيب ، ولكننى رفضت العرض بحسم وحدة ، قلت لهم : إنتى لم أشارك فى صنع الثورة ، لكى أجد نفسى بعدها ظلاً لضابط أيا كان أو حاملاً لحقيبه ، ولم يكن ذلك بالطبع موقفاً من محمد نجيب ، الذى كنت أكن له احتراماً وحباً .

وقد تكرر رفضى مرة ثانية بعد ذلك بعام واحد حينما عرض على أن أعين فى مكتب المشير عبدالحكيم عامر ، ولم يكن السبب متعلقاً - أيضاً - بعبدالحكيم عامر ، وإنما كان مرجعه إلى أنتى سأنضم إلى شخصين كانا موجودين فى مكتبه بالفعل هما على شفيق وشمس بدران ، وكان هضم هذه العلاقة بالنسبة لى أمراً مستحيلاً .

بعد ذلك بعام آخر ، وفى أعقاب عودتى من بعثة فى فرنسا ألحوا فى نقلى إلى المخابرات العسكرية ، فرفضت ، فقد كنت أشعر أنتى لا أصلح لهذه المهمة ، وعندما حاول رئيس المخابرات العسكرية أن يمارس ضغطاً على القبول قلت له : لا أحد سيجبرنى على أن أعمل فى هذا السلك ، ولم يدر بخلقى عندها أن ظروفها أخرى سوف تجبرنى على أن أعمل فى هذا السلك بعد أكثر من خمسة عشر عاماً ، لست أعرف حتى الآن تفسيراً عقلانياً لرفضى المتكرر ترك خدمة الجندية بعد الثورة إلا أنتى كنت أشعر فوق حبى لسلاحى أو عملى أن القتال هو الحرفة الوحيدة التى أتقنها ، وكنت ممثلاً ثقة أنها الحرفة الباقية التى سيكون الوطن دوماً فى حاجة إليها ، لكن وجودى فى سلاح المدفعية لم يكن انعزالاً عن التطورات السياسية التى كانت تجرى على قدم وساق فى أعقاب الثورة ، بل كنت كما كان سلاح المدفعية نفسه فى قلب هذه التطورات ، إنتى أقول ذلك موضحاً لأننى أعتقد أن حادثة المدفعية تمثل بشكل موضوعى نقطة تحول فى تاريخ ثورة ٢٢ يوليو ، وفى الحقيقة فإن تشكيل مجلس قيادة الثورة كما أعلن وقتها ، لم يكن يمثل تمثيلاً حقيقياً لضباط الثورة ، فقد كان مجموعة من الضباط أطلقوا على أنفسهم الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار ، ثم حولوا أنفسهم إلى مجلس قيادة الثورة ، التى قامت بينما كان بعضهم خارج العاصمة .

أريد أن أؤكد أنه لولا وجود جمال عبدالناصر على رأس تنظيم الضباط الأحرار ما قبلت عرض العضوية الذى تكرر ثلاث مرات ، ولعل ذلك بأمانة ينطبق على كثيرين غيرى كان جمال عبدالناصر يمثل لهم منذ البداية نموذجا مشرقا للوطنية والرجولة والثقة والعلم .

بالنسبة لى فلم أكن أعرف - قبل الثورة - كمال الدين حسين أو صلاح سالم إلا معرفة سطحية ، وكانت مقابلتى الأولى مع صلاح سالم فى أجازة من إجازات

الميدان فى رحلة القطاع التى تستهلك نصف يوم من غزة إلى القاهرة ، وكنت وغيرى من الضباط نكبر فيه وفى زكريا محبى الدين جولتهما المتسللة المغامرة بقوافل الأطعمة والبريد ، فى داخل الأرض المحتلة لفتح ثغرات تماس مع المقاتلين المحاصرين فى الفالوجا .

أما كمال الدين حسين فلم أسمع عنه إلا عند تطوعه للقتال تحت قيادة البطل أحمد عبدالعزيز قبل أن تدفع القوات المصرية إلى خطوط المعركة ، وقد سمعت عنه من الصديق العزيز خالد فوزى الذى كان فى مقدمة المتطوعين عن إيمان وعزيمة .

كنت كأركان حرب المدفعية فى العريش ، أتستتر على تسلل الأخوة محسن عبدالخالق وفتح الله رفعت وخالد فوزى ، إلى داخل فلسطين والعودة فى إجازات نهاية الأسبوع - وما أكثر ما تعرضت للقلق بسبب ذلك .

وقبل قيام الثورة كنت أعمل مدرسا بمدرسة المدفعية وكان كمال الدين حسين يعمل مدرسا بها أيضا ، ولكن لقاءاتنا لم تكن تتعدى تبادل التحية ، ولكننا - نحن ضباط الدفاع الجوى - كنا نعتقد أن محمد فوزى هو الذى يمثلنا إلى أن فوجئنا بأنه لم يكن حاضرا ليلة التنفيذ فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

لكن حقيقة غياب محمد فوزى عن تنفيذ خطة الثورة تحتاج إلى وقفة سريعة ، ذلك أن كمال الدين حسين قال لى ولغيرى أن محمد فوزى رفض الخروج فى صفوف الضباط الأحرار فى تلك الليلة ، ولم يكن ممكنا بالنسبة لى ولكل أولئك الضباط الذين عرفوا محمد فوزى عن قرب وتعلقوا به قائدا ومعلما - أن يصدقوا أن يكون هذا موقفه ولكن كلمات كمال الدين حسين للأسف لم تكن أكثر من سوء فهم وجد من يزرده .

الحقيقة فى ذلك أن محمد فوزى كان فى هيكل تنظيم الضباط الأحرار ضمن مجموعة زكريا محبى الدين ، وكان المفروض تنظيميا وأمنيا أن يتصل به زكريا محبى الدين ليحدد له الدور والتوقيت فى اليوم السابق ، وبسبب انشغال زكريا فى التجهيز لخطة الثورة مع جمال عبدالناصر ، تولى كمال رفعت الاتصال بمحمد فوزى وقال له أنه مطلوب للتحرك يوم ٢٢ يوليو فسأل محمد فوزى : ومن أنت ؟ فلم

يجب . وخشى محمد فوزى أن يكون ذلك طعما من المخابرات العسكرية التى كان كمال رفعت أحد ضباطها فرد عليه قائلا : أنا لا أعرفك ولا أعرف عم تتحدث . ثم حاول فوزى أن يتصل بذكريا محبى الدين لينقل إليه ما حدث ، ولكنه لم يستطع أن يعثر عليه ، لقد كان اتصال كمال رفعت بدلا من ذكريا محبى الدين بمحمد فوزى خطأ تنظيميا فادحا ولكن فيما يبدو فإن كمال رفعت فهم من رد فعل فوزى أنه لا يريد الخروج مع بقية الضباط الأحرار وأن هذا ما نقله بعد ذلك إلى ذكريا محبى الدين .

بعد أن اكتشفنا غياب محمد فوزى كان إصرارنا على أن يمثلنا عبدالمنعم أمين ويكفى عبدالمنعم أمين أنه يوم ففتح فى الانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار قبل الثورة ، قال لمن فاتحه : أنا معكم قلبا وقالبا ولكنى لا أحبذ الدخول فى عمل الاجتماعات والمناقشات ، وعندما يكون لديكم عمل جاد حاسم فأنا جاهز ، وكان عند كلمته ، فلم يتردد ليلة ٢٢ يوليو ولم يتخلف .

وفى اجتماعاتنا الأسبوعية فى كل يوم أربعاء - كانت مجموعة المدفعية تناقش كل التطورات بوضوح وصراحة ، فلم تكن تشعر بفارق بيتنا أو بين أى منا ، وبين من أطلقوا على أنفسهم مجلس قيادة الثورة ، كان جمال عبدالناصر من بين الجميع هو موضع ثقتنا بغير حدود . وكانت اجتماعات المجلس تنقل إلينا بأمانة ودقة من خلاله أو من خلال عبدالحكيم عامر ، واعتقد أيضا أننا كنا بنفس القدر موضع ثقة جمال عبدالناصر .

أذكر أن مجلس الثورة كان يهم أن يبدأ اجتماعا بعد الثورة مباشرة ، ليقرر ما إذا كان أنور السادات يضم إلى عضوية المجلس أم لا ، وكان مطلوبا أن يبعد أنور السادات عن مكان الاجتماع ، وجاء لى جمال عبدالناصر وقال أن هناك مهمة سأكلفكم بها على أن تأخذوا معكم أنور السادات .

وحين سألته : ولماذا أنور السادات ؟

قال بوضوح : أنتى لا أريده أن يحضر جلسة اليوم .

ثم أضاف :

سوف أجد معه مبررا مقنعا لأن يذهب معكم إلى محافظة القاهرة وسوف يكون المطلوب أن تبحثوا عن المسئول عن القلم السياسى ، واسمه « إمام » وتحضره معكم ، وذهبنا بالفعل إلى المحافظة لاحتضار الرجل ، بحثنا وأطلقنا البحث ولم نعثر له على أثر ، وكما ذهبنا أنا وصحبتنا محمد رياض فى عربة مدرعة عدنا ومعنا أنور السادات ، حين عدنا كان الاجتماع قد انتهى بالفعل .

أريد أن أقول أن العلاقة بيننا وبين مجلس قيادة الثورة كانت أساسا بيننا وبين جمال عبدالناصر .

كانت مجموعة المدفعية ، متألّفة القلوب والإرادات ، فقد كنا جميعا محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت وأنا ومصطفى فهمى عبد المحسن ومحمد المصرى دائمى الاتصال واللقاء .

أما عن صلتى برشاد مهنا ، ففى الحقيقة أننى لم أكن أعرفه إلا اسما مشرقا فى المدفعية - من أكفأ ضباطها - وصاحب مواقف وطنية ناصعة بينهم ، وقد قابلته أثناء حرب ١٩٤٨ عندما نقل إلى العريش بناء على رغبته لكنه لم يكن ضمن مجموعتنا ولم يكن لنا به أى اتصال ولذلك فإن ضمه إلى قائمة قضية المدفعية كان - كما أعتقد عن يقين - من قبيل التمويه ، وهذا ما ينطبق تماما على أحمد حمروش ، فلم يكن لنا به كمجموعة مدفعية أى اتصال اللهم إلا ما تفرضه الزمالة ، وقد كان ضمن هيئة التدريس من مجموعة المدفعية (م / ط) عندما تم نقلها إلى الاسكندرية ، ولذلك فإن ضمه إلى قضية مجموعة المدفعية كان خلطا لا مبرر له .

ولم يكن هدف مجموعة المدفعية أن تقوم بانقلاب ، فقد كانت دروس انقلابات سوريا حسنى الزعيم ثم الشيشكلى حاضرة فى أذهاننا ، ولم نكن نريد أن تدخل بلدنا دائرة الانقلابات العسكرية ، إنما كان هدفنا بوضوح ألا ينفرد مجموعة من الضباط الذين أطلقوا على أنفسهم مجلس قيادة الثورة بالسلطة .

كان ما ينشر فى الصحف فى هذه الأيام أيضا ، مستقرا ، فقد امتلأت الصفحات بمسلسلات طويلة يروى فيها بعض أعضاء المجلس أدوارهم فى الثورة كالدخان كل واحد قام بالثورة منفردا ، وكما لو كان قد قام بثورة أخرى غير تلك التى انخرطنا فى مقدمة صفوفها .

أضرب مثلا واحدا - فقد ذكر أحد الضباط أنه هو الذى قبض على قائد المدفعية فى ذلك الوقت اللواء حافظ بكري ، ولم يكن الضابط المذكور موجودا حتى على مقربة من الموقع الذى تمت فيه العملية ، فقد كان ذلك جزءا من دورى ودور مصطفى فهمى عبد المحسن ، أذكر أننا دخلنا معه فى نقاش وأن حارسه صوب مسدسه إلى صدرى وكاد يطلقه لولا أن حافظ بكري نفسه ، وكان أستاذا وقائدا لى يوما هو الذى منعه قبل أن يأتى كمال الدين حسين ويأخذه مفخورا إلى ميس المدفعية .

كانت مجموعة المدفعية - إذن - متماسكة إلى حد كبير ، وكانت تتناقش فيما بينها وبشكل علنى كل التطورات التى تحدث ، وكانت مناقشاتها تتم عاليا بروح نقدية واضحة ، ولذلك فقد تحول النقد العلنى بعد فترة إلى صراع مع الضباط الأحرار ومع مجلس قيادة الثورة قبل أن يتحول إلى صدام .. ولكن العلاقة بيننا وبين عبد الناصر شخصيا ظلت متصلة سواء فى مرحلة النقد العلنى أو الصراع أو حتى الصدام بعد ذلك .

كان جوهر الصراع يدور حول الديمقراطية ، فقد كانت مجموعة المدفعية تريد أن تفرض شكلا ديمقراطيا لعمل الضباط الأحرار ، لكي يثمر هذا الشكل في النهاية ، تشكيل مجلس قيادة الثورة بالانتخاب ويتمثيل أسلحة القوات المسلحة المختلفة .

وكانت العناصر الأساسية في مجموعة المدفعية مثل عبدالمحسن عبدالخالق ، ومثلى أوفتح الله رفعت تلتقى بعبدالناصر أسبوعيا كل يوم جمعة في تمام العاشرة صباحا في مكتبه بالقيادة العامة ، كنا نطرق الباب في هذا الموعد لنجده في انتظارنا قبل أن نتحلق من حوله ، ونمارس نقدا قاسيا لكل شيء ولكل شخص ولكل متغير جديد . وكان عبدالناصر يجلس في قلب الدائرة يسمع بعقله قبل أذنيه ، وحينما كان النقد يتركز حول شخص بعينه من الضباط الأحرار أو من أعضاء المجلس كان عبدالناصر يحضره إلى مكتبه لنجده في الأسبوع التالي منتظرا كي نصب نقدنا بشكل مباشر في أذنيه قبل أن يرد وتبدأ المواجهة بيننا .

لقد أثارت هذه اللقاءات - كما أثارت اجتماعاتنا الناقدة المختلفة في « ميس » المدفعية حفيظة أعضاء مجلس قيادة الثورة ، حيث رأوا فيها وصاية على تصرفاتهم ، وبدأ كمال الدين حسين - وقد كان همزة الوصل بين مجموعة المدفعية والمجلس - يحاول أن يهدئ الأمور بعمل لقاءات دورية في المدفعية ، اقتصرت في البداية على الضباط الأحرار ثم سرعان ما تم توسيع اللقاءات بضم ضباط جدد إليها من غير الضباط الأحرار ومن التابعين له .. اعترضنا على ذلك بوضوح ، وكان التبرير الذي قدمه : أنه يحاول أن يوسع دائرة المساندين للثورة ، ولم يكن التبرير مقنعا لنا ، ولهذا فقد اتخذنا قرارا جماعيا بمقاطعة الاجتماع الأسبوعي مع كمال الدين حسين ، لكننا ظللنا متمسكين بلقاءنا الأسبوعي مع جمال عبدالناصر صباح كل يوم جمعة .

وحين تصاعد الصراع ووصل إلى هذا الحد ، قررنا أن نلوح بالقوة ، فتدخلنا ضد قائمة مجلس قيادة الثورة في انتخابات نادي الضباط ، وقدمنا قائمة أخرى ، وفرضنا نجاحها بالفعل ووصلت رسالتنا بوضوح إلى مجلس قيادة الثورة ، وكان رده أكثر وضوحا ، فقد تم اعتقال عدد من ضباط مجموعة المدفعية في مقدمتهم محسن عبدالخالق ، وفتح الله رفعت ، وانتهى الأمر إلى أننا قررنا الاعتصام في ميس المدفعية لمناقشة التطور الجديد .

جاء إلينا عبدالمنعم أمين ولم نقبل منه كلاما لأنه كان صديقا حميما لرشاد مهنا هاجمه في جولات بسلاح المدفعية بصفته عضوا بمجلس قيادة الثورة ثم جاء إلينا كمال الدين حسين وأبو الفضل الجيزاوي ثم جاء صلاح سالم ولكن الحوار في كل مرة لم يصل إلى نتيجة ولم يكن ثمة بديل على أن يحضر إلينا جمال عبدالناصر بنفسه .

أخبروا عبدالناصر قبل أن يأتى أنتى أقود التمرد ، وبدأ جمال عبدالناصر حواراً وسط مجموعة المدفعية بحكمته وهدوئه ، وقال : إن هناك وجهات نظر متعارضة ، ولا سبيل سوى تشكيل لجنة تحقيق تقيم الموقف وتقرّر الحقائق التى فى ضوءها يمكن أن يتخذ القرار .

وهتف أحد الضباط : نوافق بشرط أن يضم أحمد كامل إلى لجنة التحقيق كمندوب عن مجموعة المدفعية .

وقفت ، خاطبني جمال عبدالناصر أمام المجموعة قائلاً : يا أحمد أنت بالذات تعرف صلتى بمحسن عبدالخالق ، وتعرف مدى عمق وخصوصية صداقتنا .

قلت : نعم ..

قال : سأسألك أمام الجميع هل تثق بى ؟

قلت : بالتأكيد .

قال : إذن هل تثق أن أكون المسئول عن هذا الوضع ؟

قلت : بالطبع .

قال : إذن فأنا مفوض أن أكون المسئول عن الموضوع ، وأنا أعدك أن أتابعه بنفسى ، المهم أن تستمر الثورة ، أما المشكلات والخلافات فهى قابلة للحل ، وهذا ما سوف يحدث .

أسرنا جمال عبدالناصر بمنطقه الهادىء مستثمرا كل رصيد ثقتنا فيه ففضضنا الاعتصام وخرجنا .

وفى اليوم التالى كانت فى انتظارنا مفاجأة مذهشة ، فقد تم القبض على أنا ومبارك رفاعى - أصبح محافظا لكفرالشيخ ثم الاسماعيلية - وتم اقتيادنا إلى إدارة الجيش بواسطة البوليس الحربى .

قابلنا فى إدارة الجيش اللواء حسن حمذى - كان مدرسنا فى الكلية الحربية ، قال لنا أنه لا يعرف لماذا جىء بنا .. لكن المفروض أن يتم التحفظ علينا .. وظللنا قيد التحفظ من الصباح إلى المساء بعد أن وضع كل منا فى مكتب منفرد .. وفى

المساء أخذنا إلى ثكنات قصر النيل (مكان مقر الجامعة العربية الآن) حيث وجدنا مفاجأة أخرى فى انتظارنا فى شكل مجلس تحقيق يتكون من ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة الثورة هم زكريا محيى الدين وكمال الدين حسين وعبداللطيف البغدادى لمحاكمتنا .

هكذا قرر الثوار ان يتحولوا الى حكام

كان زكريا محيى الدين مدرسنا فى الكلية الحربية ، وكان يعرفنى جيدا ، وكان كمال الدين حسين مسئول الاتصال بين مجموعة المدفعية وبين مجلس قيادة الثورة وبالتالى فإن معرفتنا المشتركة كانت كاملة ، أما عبداللطيف البغدادى - الذى كان أحد ضباط سلاح الطيران - فلم يكن بيننا رصيد خبرة أو معرفة يساعد على اجتياز الموقف فى مجلس التحقيق الذى شكله مجلس قيادة الثورة لنا .

وبدا عبداللطيف البغدادى منفعلا يسألنى : ماذا حدث ؟

قلت : لم يحدث شيء .. إننا كضباط أحرار فى سلاح المدفعية تصرفنا دفاعا عن الثورة وعن الديمقراطية وعن زملائنا ، وهذا واجبنا .

قال وقد تضاعف انفعاله : ماذا تقول ؟ ألا تدرك أن هذا الكلام يقودك إلى السجن .

انتقلت حمى الانفعال لى ، ووجدتنى أقول : « هذا كلام غير مقبول .. سجن ؟ أى سجن ، وهل قمنا بالثورة لنوضع بعد ذلك فى السجن ؟ لو كنا نعلم أن هذا هو مصير الثورة ما شاركنا فيها ، ..

وازدادت حدة الاحتكاك .. لولا محاولات حكيمة من زكريا محيى الدين لامتنصص الحدة والانفعال .. ثم انتهى التحقيق بزوبعة كما بدأ .

سألت كمال الدين حسين فى النهاية : ما تعليماتكم .. هل أنا مقبوض على ؟

قال : لا .. أنت غير مقبوض عليك ..

قلت : طيب أنا ذاهب إلى الاسكندرية ..

قال : هناك طائرة سوف تقلع إلى هناك ويمكن أن تكون على متنها ..

قلت : لا .. أفضل أن أذهب بوسائلى الخاصة ..

لم يكن حماسنا مفتعلا أو مبالغيا فيه ، فقد كان تابعا من إحساس حقيقى عميق

بأننا ندافع عن الثورة التي شاركنا في صنعها والتي تتهددها المخاطر من كل جانب ، وكانت أهم المخاطر حقيقية أيضا .. فقد بدا أن الثورة تتآكل من داخلها ..

خرجنا من التحقيق وذهبنا إلى سجن الأجانب - بعد أن اشترينا كتبنا وطعاما وحلوى لزملائنا المعتقلين ، لم يكن لدينا فكرة عن نظم السجون فطرقنا الباب وأمرنا بتوصيل ما نحمل إلى زملائنا ، ولم يستطع ضباط الشرطة منعنا فاتصلوا بمجلس قيادة الثورة وتلقوا ردا بأن يأخذوا منا ما نحمل ويعدوا بتسليمها إلى المعتقلين ، ثم ذهبنا إلى قائد المدفعية في هذا الوقت محمد حسين وحرصناه على أن يسلك سلوكا مماثلا لما فعلنا واقتنع ولكننا تسببنا في لومه .

في الطريق إلى الاسكندرية اكتشفت أنني موضوع تحت مراقبة مشددة من الشرطة العسكرية ، ورأيت على طول الطريق عملية مطاردة واضحة ، ثم نجحت في الاختفاء بعيدا عن أعين المطاردين ، وقد ملأني ذلك بمزيج غريب من الأسى والحنق والغضب ..

مع ذلك فإن صلتى بجمال عبدالناصر لم تنقطع ، ظللت محافظا على موعدنا الأسبوعي صباح كل يوم جمعة ، وظللت أضع رصيدي المتجدد من الأسى والغضب بين يديه ، وظل يسمع ويمتص ويتحمل بطاقة لا تتفد .. ومهما يكن حجم غضبي فقد كنت أخرج من عنده كأنتى اغتسلت تماما من كل شيء .. فقد كان يحدثني عن الوقت والظروف والضغط في إشارات سريعة ولكنها موحية .. بينما كانت ثقتي في فهمه وحكمته وانحيازه إلى المصلحة العامة بلا حدود .

تمت بعد ذلك محاكمة ضباط المدفعية المعتقلين وصدرت بحقهم أحكام قاسية جدا ، فوق أنها جائرة تماما ، فقد كان محسن عبدالخالق أوفتح الله رفعت من أكثر الضباط رجولة ووطنية وشرفا ، ولذلك فقد لحق بهما ظلم بين لم يرفعه إلا جمال عبدالناصر - كعادته - وقف حائلا دون تنفيذ هذه الأحكام ، وأطلق سراحهما بعد عام وبضعة أشهر في أوج أزمة سلاح الفرسان .

أريد أن أضيف أن موقف مجموعة المدفعية لم يتأسس فوق قاعدة ذاتية مطلقا ، فقد كان النقاء الثوري والمصلحة الوطنية والتماسك بالديمقراطية تشكل عماد وقاعدة هذا الموقف .

أما عن الأحكام المتشددة الجائرة التي صدرت بحق بعض قيادات مجموعة المدفعية في محاكمات أشرف عليها زملاؤهم في مجلس قيادة الثورة فإنها لم تعد تحتاج إلى تفسير .. فقد كان الهدف الواضح هو إجهاضا مبكرا لجماعات الضغط وتصفية سريعة لأي تجمعات يمكن أن تمارس ضغوطا على مجلس قيادة الثورة .

ورغم أنني علمت بعد ذلك بسنوات طويلة ، وعندما كنت مسجوناً على ذمة قضية ١٥ مايو ١٩٧١ والتقيت بعباس رضوان في السجن ، وكان يعمل في مكتب القائد

العام للقوات المسلحة فى ذروة أزمة المدفعية ، أن هناك من نقل إلى جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر مؤكدا أن محسن عبدالخالق إنما يسعى - عكس كل الوقائع الصحيحة إلى القيام بانقلاب عسكرى ضد مجلس قيادة الثورة .

إلا أنه من المؤكد أيضا أن المجلس لم يكن يريد مراجعا ولا رقبيا ، ولا قوى ضغط حتى ولو كانت من قلب معسكر الثورة ، وكانت الثورة - كما قلت - تتآكل مبكرا جدا من داخلها .

كان دور المدفعية متميزا فى أحداث الثورة ، ثم بعد ذلك فى مواجهة أحداث مجموعة الفرسان ، ويستلزم توضيح ذلك ، الرجوع إلى بعض التفاصيل .

لقد بقيت فى العرش بعد حرب عام ١٩٤٨ حتى تم إعلان الهدنة فى عام ١٩٤٩ وفى أعقاب عودتى انضمت إلى قوة مدرسة المدفعية إلى أن جاءت ليلة الثورة ، بل لقد تعجلنا لحظة القيام بالثورة مع حريق القاهرة فى ٢٦/١/١٩٥٢ وتصورنا أن الفوضى التى ملأت شوارع القاهرة كافية لأن تستدعى الجيش ليفرض نظاما جديدا ولكن القيادة لم توافق .

قبل ليلة ٢٢ يوليو بثلاثة أيام تم ترتيب اجتماعين ، كان الأول فى منزل البيوزباشى أبو الفضل الجيزاوى وقد ضم الاجتماع حوالى عشرين ضابطا من ضباط المدفعية ، وفيما أذكر فقد انتظم أمام الرصيف المواجه لبيت الجيزاوى فى منشية البكرى رتل من من العربات العسكرية رغم أن ذلك كان تحلا من أبسط قواعد الأمن والتأمين .

وقد تكرر المشهد نفسه أمام بيت محسن عبدالخالق الذى شهد الاجتماع الثانى ، كان كل ما أبلغنا به أن نبقى فى منازلنا خلال الأيام القادمة فى انتظار استدعاء تليفونى للقيام بالثورة .

وحوالى الساعة الخامسة من عصر يوم ٢٢/٧ استدعيت إلى منزل محسن عبدالخالق حيث أخذت التلقين الأخير ، وطلب منى الذهاب إلى كمال الدين حسين فى منزله فى مواجهة كلية أركان الحرب وذهبت فى الموعد المحدد ، حيث لم يلبث أن حضر جمال عبدالناصر فى حوالى الساعة الحادية عشرة ليلا ، وكان يرتدى ملابس العسكرية .

طلب منى عبدالناصر فى هذا الاجتماع أن أقوم بتنفيذ واجب اعتقال قائد المدفعية الأميرالاي حافظ بكري ، وقال : إن الخطة تقتضى بأن أقوم باعتقاله فى بيته ، ووجدتنى دون تفكير أرفض التنفيذ ، وسألنى عبدالناصر يهدوء عن سبب الرفض فقلت له : إننى لا أستطيع أن أعقله وسط أسرته لأسباب إنسانية خالصة ، وفوجئت به يوافقنى على ما قلت .

اختار لى عبدالناصر بعد ذلك تكليفا آخر وهو انزال مجموعة الماظة لاغلاق

طريق القاهرة السويس ، فنزلت مباشرة مع كمال الدين حسين حيث مررنا على مصطفى فهمي عبدالمحسن ومحمد أبو الفضل الجيزاوى وخالد فوزى وجمال الليثى وفؤاد حسن صالح ومصطفى كامل مراد ، وركبنا جميعا فى عربة « بيك أب » فيات تداخلت أجسادنا فيها .

عندما وصلت بعد ذلك إلى إدارة المدفعية تزامن معنا وصول اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة فأصبح بذلك أول المعتقلين وقام كمال الدين حسين وأبو الفضل الجيزاوى بوضعه فى الميس ، أما بالنسبة لى فقد ذهبت إلى مدرسة المدفعية لاستكمال المهمة ، حيث كان التوبتجى هناك كلا من على فوزى يونس ومبارك رفاعى من الضباط الأحرار .

وهكذا تحركنا وقمنا بدفع مدافع البوفرز إلى طريق السويس ، وقطعنا أسلاك التليفون ورجعنا مع مصطفى عبدالمحسن إلى أول طريق المازة حيث قمنا باحتلال نقطة البوليس الحربى هناك ، وأغلقتنا الطريق بأن وضعنا السيارات التى كانت قد استدعيت لاحتضار كبار الضباط متعامدة معه ، لم تمض سوى لحظات قليلة حتى وصل الأميرالاي حافظ بكري وانتهت مناقشتى معه بوصول كمال الدين حسين حيث تم اعتقاله وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة والنصف بدقائق قليلة .

كانت قطع المدفعية قد بدأ وصولها لاحتلال منطقة المازة وشارع السويس وعند الكيلو ٤,٥ على طريق السويس كانت بعض قوات الحدود قد حاولت التحرك بأوامر الأميرالاي حسين سرى عامر حيث أوقفتها قوات المدفعية .

غادرنا فى حوالى الساعة الثانية صباحا كمال الدين حسين بصحبة كبار الضباط المعتقلين إلى معتقل الكلية الحربية ، ولم تمض غير ساعة واحدة بعد ذلك حتى وصل البكباشى عبدالمنعم أمين فى سيارة « بويك » وهو يرتدى الملابس العسكرية وحين أوقف السيارة وهبط منها كان أول ما قاله :

« مبروك لقد نجحت الحركة » .

لم أغادر موقعى حتى ذهبت فى مساء اليوم التالى ٢٣ يوليو إلى القيادة للاجتماع مع كمال الدين حسين لمناقشة موضوع تطهير سلاح المدفعية ولكن جمال عبدالناصر كلفنى بالذهاب إلى مصلحة التليفونات للبحث عن برقية مضادة للحركة قيل أن مصطفى وعلى أمين قد أرسلها إلى الخارج ، وقد ذهبت فعلا ولكننى لم أجد شيئا .

فى مساء اليوم التالى (٧/٢٤) طلب منى جمال عبدالناصر أن أذهب مع خالد فوزى إلى الاسكندرية لتنسيق سفر بعض القوات والاتصال بالبكباشى عاطف نصار والصاغ عبدالحليم الأعسر ، وقد قمنا بتنفيذ المهمة ، ثم اتصل بنا زكريا محبى الدين وأخبرنا بوقف أى تحركات عسكرية يوم ٢٥ ولم تفهم تفسير ذلك لأننا لم نكن نعرف شيئا عن خروج الملك .

وفى صباح اليوم التالى (٧/٢٦) تم تعيين البكياشى عبدالمنعم أمين قائدا لقطاع رأس التين ، وعينت أركان حرب له خلال اجراءات عملية طرد الملك ، وقد قمنا بوضع بطارية مدفعية عيار ٢٤ رطلا فى الأنفوشى كان ضمن ضباطها فتح الله رفعت وعلى شريف وأحمد شبيب وكان قائد المشاة عبدالمنعم عبدالرغوف .

وأثناء الاجراءات قام بعض جنود الحرس الملكى بإطلاق أعيرة نارية ، لكننا لم نرد عليها ثم حضر اللواء عبدالله النجومى والأميرالاي عبدالله رفعت وتم تصفية الموضوع دون اشتباك .

وفى أواخر عام ١٩٥٢ حضر إلى القاهرة أديب الشيشكلى قائد الثورة السورية فى ذلك الوقت مهنتا بالثورة المصرية ، وطلب أن يمنح بعض ضباط الثورة المصرية أوسمة سورية ، ولقد كنت أحد أولئك الذين منحوا فى هذه المناسبة وسام الاستحقاق السورى ، كنا فى الاسكندرية أنا ومحسن عبدالخالق وفتح الله رفعت وحمزة أدهم حيث طلب منا العودة إلى القاهرة على الفور لحضور الاحتفال ، وبعد الاحتفال اختلى بنا جمال عبدالناصر وطلب منا أن نذهب إلى رشاد مهنا الوصى على العرش ومعنا عيسى سراج الدين (وهو نسييه) ونتفاهم معه فيما يريده ، وأبلغنا عبدالناصر أنه عرض عليه أن يعين سفيرا فى الخارج فرفض ، وذهبنا إلى المنزل ، وفى اليوم التالى ذهبنا إلى منزل رشاد مهنا فى شارع الخليفة المأمون ، لم يكن رشاد مهنا من الضباط الأحرار ولكنه اختير وصيا على العرش بحكم نضاله الوطنى فى صفوف القوات المسلحة .

وبعد لحظات من المناقشة فوجئنا برشاد مهنا يقول لنا وكأنه يحسم الحوار « الوصى على العرش كالملك يملك ويحكم ، وامتلات عروقنا بالغضب وقلنا له : إننا لم نخلع الملك من على العرش لقاتى أنت وتقول ذلك .

كانت مهمتنا قد انتهت عند ذلك ولم يبق لنا سوى أن نبليغ عبدالناصر بنتيجة المحاولة ، وقد فعلنا ذلك .

بصدور الأحكام القاسية بالسجن على قيادات المدفعية ، كان واضحا أن الثوار قد قرروا أن يتحولوا إلى حكام ، بعد أن قاموا بتصفية أول معارضة منظمة من داخل معسكر الثورة ، وقد سارت الأمور دون معارضة للمجلس بالفعل حتى تفجرت بعد ذلك أزمة مارس ١٩٥٤ ، أو أزمة سلاح الفرسان . واحتاج مجلس قيادة الثورة إلى ضباط المدفعية لحسم الصراع أو الخلاف ، ولم يتردد ضباط المدفعية فى أن يستجيبوا للنداء ، وكان دافعهم الوحيد هو وجود جمال عبدالناصر على رأس مجلس قيادة الثورة .

ولاشك فى أن مبادرة المدفعية بالتحرك فى أزمة مارس ضد سلاح الفرسان تحتاج إلى تفسير وتحليل خاصة أن هدف ضباط الفرسان كان هو نفسه هدف ضباط المدفعية أى الديمقراطية وخاصة - أيضا - أن ضباط الفرسان كانوا من أصدق الضباط الأحرار وطنية وإخلاصا ، وأن مفردات مناقشتهم مع عبدالناصر

فى أوج الأزمة عندما ذهبت إليهم فى سلاح الفرسان لم تكن تختلف عن مفردات مناقشة ضباط المدفعية قبل أن يتم سوقهم إلى المحاكمة ثم السجن .

كان هدف الفرسان - كما كان هدف المدفعية - هو إبعاد شبح الديكتاتورية العسكرية وفتح الباب أمام الديمقراطية التى يجرى إبعادها عن الساحة ، فكيف يتولى ضباط المدفعية إسكات الرجال الذين جاء دورهم وكأنه امتداد أو استكمال للمسيرة نفسها ؟ أن ذلك يبدو مدهشاً للذين يتأمنون الموقفين من بعيد .

لكن استجابة المدفعية لمجلس قيادة الثورة وانحيازها له - رغم كل ما صدر عنه - كان سببه أن خلاف المدفعية كان داخلياً ومحصوراً داخل دائرة الضباط الأحرار ، كما أنه تجنب أن يحدث شروخاً أو انقسامات بين الضباط ، ولكن أزمة مارس استطاع أن يدخل إليها عنصر جديد يتمثل فى بعض الدوائر الرجعية التى كانت قد أضررت بحكم قوانين الطبيعة من الثورة ، وهى دوائر ساهمت فى دفع محمد نجيب إلى موقفه وتحصنت وراءه بحكم رصيده من الشعبية ، ولولا أن الشعار الذى كان مرفوعاً هو الديمقراطية أيضاً ، ولكن نتيجة الاصطفاف على مستوى معسكر الثورة ومعسكر خصومها أمر كان يؤذن دون شك بحرب أهلية تصفى التجربة كلها من أى مستقبل ، ولعل هذا هو ما دفع عبدالناصر وعبدالحكيم عامر إلى تقديم استقالتيهما .

كان خيار المدفعية للتدخل والحسم - إذن - يتعلق بالإجابة عن سؤال واحد ، إما أن تستمر الثورة ، وإما أن يجرى تصفيتاها والانقلاب عليها عن طريق بث الوقيعة والتناقض بين أسلحة الثورة نفسها ، ومن هنا كان لا بد من التدخل والحسم دفاعاً عن معنى الثورة قبل رموزها .

وكما قلت فقد تمت تصفية المعارضة مبكراً جداً ، وبدأ الثوار يتحولون إلى حكام ، ثم بمرضى الوقت بدعوا يرثون ما خلفه القدامى ، بدعوا ببناء القيللات ، وكانت قلة منهم هى التى تقى إمكاناتها بذلك ، وقبل القيللات كانت العربات الفارسة ، وبعد عام ١٩٦٢ أخذوا يحتلون مساكن من صودرت أموالهم .

أذكر فى صيف ١٩٥٢ أن جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر قد استأجرا قبلاً فى سيدى بشر للمصيف مشاركة ، وباليتهما استمرا على ذلك ، إذن لكان وجه الثورة قد تغير ، أما عندما بنيت لعبدالناصر وعبدالحكيم عامر قيلتان فى المعمورة ، منح الآخرون المصيف فى جزيرة الشاى فى المنتزه ، وبدأ المنتفعون من حولهم يحصلون على الشقق المصادرة أو التى تركها الأجانب ووضعت تحت الحراسة .. كل حسب قربه من صاحب السلطة ، وكأن الثورة تحولت إلى توزيع أسلاب معركة على المحاسيب والمقربين .

بل تعدى الأمر إلى أن بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة اختاروا النزول فى بعض القصور المصادرة .

إن البعض قد يعتبر ذلك مجرد ضغط على بعض المظاهر والشكليات والبعض الآخر قد يعتبره مجرد تعبير عن حقد .. لكنه فى توقيته وسياقه التاريخى والاجتماعى شكل منزلقا خطيرا لعدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ودون دخول فى التفاصيل فقد كان ذلك هو الرحم الحقيقى الذى ولدت منه بعد ذلك طبقة جديدة لم تكن مصالحها بالتأكيد هى مصالح القاعدة الشعبية العريضة ، ولم تكن تطلعاتها هى نفسها تطلعات الثورة والثوار فى اندفاعهم وبكارتهم .

أريد أن أقول مؤكدا أن جمال عبدالناصر وحده كاد يشكل الاستثناء الوحيد الذى حافظ على موقعه وانتمائه فلم تجذبه الحياة الطرية ، ولم تشده أسباب العيش الرغد بل ظل قابعا فى خندق الثورة منتميا إلى القاعدة المنتجة التى خرج يدافع عن حقها فى الحياة الكريمة .

من المؤسف أن أحدا لم يهتم بتسجيل أسماء الضباط الأحرار بعد سلسلة الصدامات والقضايا التى انتهت بالاطاحة ببعضهم مثلما حدث فى قضية المدفعية أو الفرسان .

كانت هناك محاولات قد بدأت ثم توقفت ، وكانت ذاكرة الناس لأسباب عديدة قد أخذت تخبو ، وهكذا تم الخلط كثيرا وطويلا بين الذين انتسبوا أصلا إلى الضباط الأحرار ، وبين أولئك الذين تسلقوا قطار الثورة .

وفى صيف عام ١٩٦٥ تذكر جمال عبدالناصر الضباط الأحرار عندما كان يزوج ابنته هدى فقد أراد أن يشاركوه فرحته بزواج ابنته الكبرى ، وتمت دعوة الضباط الأحرار إلى الزفاف ، ولكن لا أحد يعلم هل وجهت الدعوة إليهم جميعا ، أم سقطت وهى فى طريقها إلى البعض ، وتكرر الأمر مع أفراح أخرى فى بيت الرئيس أو المشير ، وبعدها هبط مرة أخرى الحماس لتسجيل الضباط الأحرار ، ولم يفكر أحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين كانوا يقولون أنهم يمثلون الضباط الأحرار فى التحرك نحو ذلك صيانة للتاريخ .. فما أكثر الأمور التى شغلته عن غيرها .

لكن القضية عادت إليها الحياة فى عهد السادات ، وبتحرك ايجابى من الأخ توفيق عبده اسماعيل صدر القرار الجمهورى رقم ١٢٨٦ لسنة ١٩٧٢ بمنح معاش استثنائى للضباط الأحرار ، وسجل الضباط الأحرار فى هذا القرار الجمهورى الذى نشر فى الجريدة الرسمية بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٧٢ ، وكان هذا هو التسجيل الرسمى الوحيد للضباط الأحرار .

شيء من الجذور

لماذا تلج على الرغبة فى العودة إلى الجذور؟

لست أعتقد أنه الحنين وحده إلى تلك الأيام الخوالى التى بدأت أتحمس فيها خطواتى الأولى على السلم الأول لحياة ملأتها العواصف والأنواء بعد ذلك .

ولكننى أشعر أن كل شيء سيبدو مجتثا من جذوره ، وماله من قراره ، دون عودة إلى سنوات التشكيل الأولى ، ولست أقصد بذلك إرهابات تشكيل البعد الذاتى فى تلك الرحلة الطويلة ، ولكننى أقصد إرهابات تكوين الجيل الذى انتسب إليه ، بالبيئة السياسية والاجتماعية التى ولد ونمى وتشكل فى رحمها الخاص ، بل أستطيع أن أقول إرهابات ولادة الثورة الوطنية التى تفجرت فى عام ١٩٥٢ بوقود هذا الجيل الذى ولد تحت القوس المتدد بين حربين عالميتين والذى أعاد بناء الحياة على أرض مصر ، بكل مستوى وكل بعد ، والذى كانت نجاحاته عظيمة واخفاقاته مدوية ، وكان جهده كبيرا وطموحه أكبر .

إنه جيل دون شك من طراز خاص ، وتلك ليست ميزة خاصة ، فلكل جيل خصوصيته .. ولكن أجيالا بعينها فى التاريخ الوطنى يقدر لها ، بحكم ولادتها فوق معبر أو جسر ، أو مفصل من فواصل هذا التاريخ ، أن تكون مشبعة أكثر من غيرها بمخزون تاريخى متراكم يفرض عليها دورا خاصا ، وكأن القدر أولنقل الضرورة أو بالحاجة ندبته للقيام به .

لست أعتقد لذلك كله أننى معنى برسم ملامح تجربة خاصة ، بقدر تلخيص بعض أعماق ذلك الرحم السياسى الاجتماعى الذى ولد جيلى بين أحشائه ، وتلقى منه بذور الرفض والثورة بشكل مبكر .

بالنسبة لى فقد ولدت فى بيت ينتمى إلى مدرسة العسكرية المصرية بشكل كامل ، كان أبى ضابطا ، وكان جدى لأمى ضابطا ، وكان اثنان من أخوالى ضابطا وكان زوج خالتى الوحيدة ضابطا أيضا .

رحل أبى عن عالمنا مبكرا جدا ، وهو ما يزال بعد يحمل رتبة عقيد فى سلاح المدفعية ، كان راتبه فى ذلك الوقت سبعون جنيها ولكن معاشه انكمش إلى الثلاثين . ولولا تنقا من الأرض الزراعية تركها وراءه وقام بتأجيرها بالمصادفة فى

نفس عام رحيله ، ما قدر لى ولأخوتي أن نكمل دورة حياتنا على هذا النحو بحكم أعباء اقتصادية لم يكن يمكن أن يكفى معاشه معها .

ولقد كان الجيش فى عصر أبى ، رمزا أكثر منه حقيقة ، أعداد محدودة من الرجال يحملون البنادق والسناكى ولا تتاح لهم فرصة تطهيرها فى نيران الحروب فقد كان الجيش يشارك فى الحملات ضد الجراد ، وفى حراسة المحمل أو الكسوة الشريفة التى تهدى فى كل عام إلى الكعبة فى الأراضى المقدسة ، وكما كان الجيش يخرج لجسور النيل فى الفيضان ، فقد كان يخرج مضطرا أيضا ليشارك فى مواجهة المظاهرات الوطنية عندما يشتعل أوارها ، مثلما كان يدق الشوارع بكعوبه وهو يختال فى استعراضات المناسبات المختلفة ، وكما كان الجيش محتجزا فى هذه الأدوار ، كانت الخريطة من حولنا تعمق هذا الدور وتؤكد .. فأنين هو العدو الذى سيخرج ليحاربه ، ودفاعا عن من ، إذا كان الإيطاليون غربا يجثمون على صدر ليبيا ، والإنجليز جنوبا يعيشون فى السودان ، والفرنسيون شمالا يحتلون سوريا ولبنان ، وعلى التخوم العربية الأبعد ، إنجليز وفرنسيون أيضا .

وذهب أبى مع الجيش المصرى فى الحرب العالمية الأولى فى حراسة قوافل الامدادات عبر صحراء سيناء لإمداد جيوش الحلفاء ، واشترك فى حراسة المحمل حتى مكة المكرمة بعد أن هاجمه الوهابيون ، وكان كسبه الوحيد ، فرصة الحج إلى بيت الله الحرام ، وذهب إلى السودان ثم سحب مع بقية قوات الجيش بعد أن اضطدم مع الجيش الانجليزى بعد مقتل السردار ، أما داخل مصر فلم يستقر أبى بل دار دوراته فى أقاليمها دون استقرار ، ولقد درت طفلا مع أبى هذه الدورات كلها .

أذكر بيتنا على شاطئ البحر والنخيل فى العريش ، ورياض الأطفال فى القاهرة والاسكندرية ومدرسة أسىوط الابتدائية ، ومدرسة الزقازيق الأولية .. ثم بدء دراستى الثانوية فى أسىوط ، ثم فى الاسكندرية ثم فى مدرسة فاروق الأول بالقاهرة . لم يقدر لى فى طفولتى أن أحتفظ بأصدقاء دائمين ، فلم نهجع فى مكان أو مدينة واحدة أكثر من عامين .

لكن أكثر ما احتفظت به عيونى على امتداد رحلة الدوران المتصلة فى أنحاء مصر ، كان التضاريس الاجتماعية لمصر نفسها .. فى أسىوط - مثلا - كانت مدرستى بالقرب من الخزان الشهير ، وكنت أملك دراجة أقطع بها الطريق إلى المدرسة ، ذهابا وعودة ، وفى شارع الخزان نفسه ، كان ثمة قصر منيف يملكه أحد كبار إقطاعى أسىوط ، ويوم ضم القصر زوجة جديدة ، حمل قطاران خاصان المدعوين من القاهرة وجاء الطعام طائرا من باريس حتى قلب الصعيد .. ومن أسىوط أيضا - جاء رئيس الوزراء الذى كان يرسل قمصانه لى تكوى فى باريس وأمام منزلنا مباشرة كان يقطن صانع القلل المهلهل داخل عش من أعواد الذرة والذى يقطع الليل صوته المذبوح بغناء كأنه النشيج ، لعل النجوم البعيدة تسمع شكاية مواويله الحزينة .

كان الفقر المدقع والغنى الفاحش يتجاوران ، ويجدان منطقاً لأن يتمددا إلى جوار بعضهما وكأتهما نسيج صورة واحدة ، على ما بهما من تناقض في المدرسة أيضا - كان الفقر والغنى يتجاوران على منضدة واحدة .. التلاميذ الذين تجيء بهم السيارات الفارهة ، والذين لا تكاد أحذيتهم تحتمل توصيلهم دون أن تبطل أقدامهم في برك المطر الشتائي .

كان التعليم بمصاريف ولذلك فقد كان من يجد الفرصة ليتعلم يشعر أنه يحظى بامتياز ، وكم من المكافحين الذين تسلقوا قطار التفوق سقطوا في منتصف الطريق ولأسباب مادية دائما .

كان التلاميذ في الغالب يأتون من الشرائح الاجتماعية المتوسطة ، فقد كان لأبناء الأغنياء مدارسهم الخاصة ، إنجليزية كانت أو فرنسية ، وإن كانت قلة منها ألمانية وإيطالية ويونانية .. ثم كان هؤلاء الأبناء يكملون دراستهم الجامعية في البلاد التي تنتمي إليها هذه المدارس .

لقد لمست حتى الأعماق ، كيف كان الغنى هو وسيلة التفوق في كل شيء في التعليم وفي الحياة ، فقد كان طلبة هذه المدارس يشكلون في النهاية البناء الاجتماعي العلوي الحاكم والمتحكم في المجتمع .

كان أكثر ما احتفظت به عيوني أيضا ، خلال تلك الرحلة تلك الازدواجية الغريبة في المجتمع .

عائلة مالكة لا تتكلم العربية لأنها لا تعرفها ولا يعنيتها أن تعرفها ، بل كانت تعتبر أنه من العيب أن يتكلم بها أحد في حضرته .. وملك يخرج في حراسة راكبي موتوسيكلات من الأجانب .

وإذا قدر لك أن تذهب إلى السينما فسوف تتكلم معك فتاة الشباك بلغة أجنبية ، وإذا دخلت محلا للشراء فسوف تتحدث معك البائعة بالفرنسية ، وإذا دخلت مطعما فسوف تقدم لك قائمة الطعام باللغة الأجنبية ، وحتى إذا أردت أن تركب القطار فسوف تحصل على تذكرة ركوب مكتوبة بالانجليزية ، كانت اللغة العربية تتوارى خجلة خلف واجهات أجنبية في كل شيء وكأنتنا نعيش في ضيافة وطننا .

من أين إذن .. كان يتسلل إلى قلوبنا حب الوطن .

كان ذلك هو دور البيت ، ودور بعض الأساتذة الوطنيين في المدرسة الذين كانوا يسرقون من زمن التعليم وقتا ليشرحوا لنا حقيقة أوضاع أوطاننا ، فقد عاشوا في شبابهم ثورة الجهاد الوطني مع ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول وامترجت بخلاياهم خطب مصطفى كامل النارية ، ولم يبق لديهم من دور مع الوقت سوى أن ينقلوا الجذوة إلينا ، لعلنا نكمل الدور والمشوار .

فى مدرسة فاروق الأول فتحت عيونى على ما يجيش فى قلوب الشباب من مشاعر وطنية متأججة ، تستنفذ جهودها فى المظاهرات ومبارياتها مع الشرطة ، كانت حصص الأستاذ السنهورى أستاذ اللغة العربية دروسا فى الوطنية وتحريضا على حب الوطن وعلى ترجمته إلى جهاد من أجل الاستقلال .

أخذت أنتقل فى هذه المرحلة من قراءة رواية الجيب إلى قراءة المنفلوطى وطه حسين والحكيم والعقاد وقبلهم أحمد لطفى السيد وأحمد أمين والمازنى ، حتى أصبحت مجلتى الثقافة والرسالة صديقتين دائمتين إضافة إلى الكتب الانجليزية والفرنسية .

بقى فى ذاكرتى أيضا بدايات الحرب العالمية الثانية حيث فاجأتنا فى الاسكندرية فى يونيه ١٩٤١ ، كانت المدينة تتعرض لغارات دائمة تركز هجومها على الميناء مقر الأسطول البريطانى ، وماتزال ذاكرتى تستعيد صورا غريبة من هذه الأيام : المعارك بين الانجليز والمصريين وحلفائهم ، الجنود المحتلون وهم يعودون من ميدان القتال سكارى ليستولوا على نقود المارة بالقوة ، ولقد بلغ ذلك القمة يوم انسحابهم مع هزيمتهم فى الصحراء الغربية .

ولقد كانت أقسى الغارات ليلة ١٦ من يونيه ١٩٤١ على الاسكندرية حيث هاجمت الطائرات الألمانية بشكل متصل من العاشرة مساء حتى السادسة صباحا ، وتساقطت القنابل بكثرة على أحياء الاسكندرية المختلفة وكان من نصيب حينا سقوط قنبلتين على بعد أمتار من منزلنا .

وفى الصباح اضطرت الاسكندرية كلها للرحيل هربا من نيران معركة لم تكن طرفا فيها ، كانت الطرقات كلها مشحونة بصفوف متراصة من الزاحفين إلى محطة السكك الحديدية ليقاوموا جحيم القصف الألمانى .

فتحت الحرب العالمية الثانية مداركنا أكثر .. كانت الاذاعات تصب أخبارها فى أذاننا بشكل متصل : إذاعات يونس بحرى بالعربية ، إذاعات لورد هوو بالإنجليزية نترب من خلالها هزيمة عدونا ومستعمرنا .

عمق معرفتى وحبى للقراءة فى هذه المرحلة ابن عمى محمود سامى وكان يكبر والدى - يرحمه الله - بعام واحد ، وقد بدأ حياته - أيضا - ضابطا فى الجيش وكان أول ضابط يدخل الكلية الحربية بشهادة البكالوريا حيث كانت مدرسة تقبل حملة الشهادة الابتدائية ، لكنه لم يستمر فى الخدمة العسكرية طويلا فلم يدع فرصة دون أن يهاجم الانجليز بالعربية والانجليزية والفرنسية التى كان يتقنها ، ولم يكن ثمة بديل عن أن يتخلصوا منه بالطرد ، ولكنه لم ييأس وواصل التعليم وحصل على ليسانس الآداب وأسس بعد ذلك مدرسة المبتديان ، ومنه تعلمت من بين ما تعلمت الصبر والمثابرة .

لقد عشت جانبا من معاناة أبى وهو ضابط فى جيش يسيطر عليه المحتل ، كانت غضباته مدوية ولم يكن يعنيه سوى كرامته وكرامة العسكرية المصرية التى ينتمى إليها .

ولأنسى حتى الآن يوم عودته من مرسى مطروح أثناء الحرب العالمية الثانية حين قص علينا ما أذاعه راديو بارى (إيطاليا) من أن قائد وحدة المدفعية المضادة فى مرسى مطروح رفض أن يطلق النار على الطائرات المغيرة فاستدعاه القائد البريطانى وأعدمه رميا بالرصاص . وكان أبى هو المعنى بالقصة ، ولقد كتب أبى تقريرا إلى قيادته فى الجيش يسأل ماذا سيكون عليه مصير أسرته إذا ما قُتل فى ميدان القتال ، وكان الرد مصدر معاناة شديدة له ، فقد قالت القيادة : أننا لسنا فى حرب .

أظن أن التناقضات التى عاشها أبى كجندى مصرى فى هذه الظروف ساهمت فى وفاته المبكرة ، ولقد كان من الممكن أن يدفعنى هذا كله إلى إحساس بكرهية الجيش والجندية ، ولكن العكس هو الذى حدث ، فقد استولت على تماما رغبة عارمة فى أن أصبح ضابطا ، ولقد ساهمت فى ذلك عدة عوامل ، منها الجناح العسكرى للعائلة كلها .. خاصة خالى أحمد بدر الذى كان أمير البحر وتولى قيادة البحرية المصرية ، وكان كثيرا ما يقص على قصصه المثيرة فى البحار ويشركنى فى رغبته الحارة بأن تستعيد البحرية المصرية أمجادها القديمة التى عاشتها مع محمد على ومنها قصص بطولات ما بعد الحرب .. من رومل ثعلب الصحراء إلى مونجمرى إلى أيزنهاور ومن معارك أوروبا إلى معارك ستالينجراد ومقاومتها الأسطورية . ولكن كان من بينها أيضا إحساس دفين بأن الخلاص من الاستعمار لن يتم إلا بالقوة وأن وعاء القوة الوحيد هو الجيش وأنه لا سبيل لتحرير الوطن سواه وسوى الاتخراط فى صفوفه .

هكذا تقدمت إلى الكلية الحربية فى عام ١٩٤٢ ، وقبلت بها طالبا ، كان الدخول إلى الكلية الحربية يحتاج إلى وساطة كبيرة .. ولولا أن أبى كان ضابطا ما كان يمكن أن تتاح لى هذه الفرصة ، ومع ذلك فقد كان أبى أن يقدم كشفا بممتلكاته وإيراده السنوى .

كانت دفعتنا دفعة خاصة وكنا نسميها دفعة « الوفد » فقد كان حزب الوفد فى الحكم ، وقد ساهم فى فتح أبواب الكلية ليدخل فيها من أبنائه الكثيرون ، ولذلك كانت دفعتنا من أكبر الدفعات عددا فقد وصلت إلى ٥٠٠ طالب ، كانت فترة التعليم فى الكلية الحربية فترة انضباط وصرامة كما كانت أيضا فترة علم وفهم وتفتح ، فقد كان من مدرسينا فى الكلية الحربية اليوزباشى جمال عبدالناصر واليوزباشى زكريا محيى الدين واليوزباشى عبدالمحسن أبوالنور واليوزباشى يوسف السباعى وغيرهم ممن تبوأوا أعلى المناصب فى الدولة بعد ذلك . ولم يكن يجول فى خاطرى وأنا أخطو أولى خطواتى فى الجندية أننى دخلت أكبر مدرسة وطنية علمتني الكثير بعد ذلك .

كان طموحي أن أكون ضابطا بحريا تأثرا بخالي قائد البحرية الملكية ، كما كانت تسمى ، لذلك لم أتردد وأنا في الفصل الدراسي الأخير بالكلية الحربية في التقدم للبحرية ولكنني لم أحظ بالقبول ولم تشفع لي قرابتي ونسبي فقد تقدمت الوساطات الكبيرة بضغط من السراى الملكية وقيادات حزب الوفد .

كان يفترض أن تتخرج دفعتي من الكلية الحربية في أول يونيو عام ١٩٤٦ ، ولكن لخلاف بين القصر والوزارة الوفدية رفض الملك حضور حفل التخرج فتأجل تخرجنا شهرين ليتم في أول أغسطس ، وأصر الملك على عدم حضور حفل التخرج أيضا منيبا عنه وزير الحربية ، غير أننا دعينا إلى حفل شاي بعد التخرج يقيمه الملك لأوائل الخريجين بالجامعات وكنت ضمن المدعوين للحفل .

لقنونا قبل أن نصافح الملك بأنه يتعين علينا أن نقبل يده ، واجتمعنا نحن الضباط الجدد أوائل الدفعة واتفقنا على قرار جماعي أننا لن نقوم - مهما تكن النتائج - بتقبيل يد الملك ونفذنا قرارنا بالفعل .

تقدم قبلنا القادة العسكريون الكبار وانحنى كل منهم على يد الملك يقبلها ، بينما تقدمنا خلفهم وصافحنا الملك دون أن ننحنى ونطبع القبلة ، وكان مشهدا فريدا .. روع الملك قبل الآخرين .

اخترت سلاح المدفعية - الذي كان والدي أحد ضباطه - واخترت مثله أيضا المدفعية المضادة للطائرات ، ولم تكن بعد سلاحا مستقلا ، والتحقت بمدرسة المدفعية وبجناح للمدفعية المضادة للطائرات بها ، وكان مدرسوننا صفوة من شباب الضباط على درجة عالية من الخبرة منهم الصاغ محمد فوزى (وزير الحربية الأسبق) واليوزباشى عبدالمنعم رياض (رئيس أركان حرب القوات المسلحة) والبكباشى عبدالمنعم أمين الذى كان كبيرا للمعلمين .

لم تختلف حياتنا في مدرسة المدفعية عنها في الكلية الحربية ، نفس النظام والانضباط والدقة ، ونفس الشدة والصرامة ، كانت المدرسة كوحدة تعليمية تخضع لإشراف البعثة الانجليزية طبقا لمعاهدة ١٩٣٦ ، ويمكنني تصور مدى استهتار المستعمر إذا تم تخيل أن مندوب البعثة الانجليزية في المدرسة كان مجرد باشجاويش انجليزى ، وحين تخرجنا ووزعنا على الوحدات لم يطل انتظارنا فقد كانت حرب فلسطين تفرع الأبواب بشدة ، وأصبح انتخاب الوحدات التى ستذهب إلى الحرب خاضعا - ككل شىء في مصر في تلك الأيام - للواسطة ، ولما كان قائد بطاريته ذو حظوة ووساطة فقد نجح في أن يستثنى نفسه ويطاريته من القوات التى تم حشدها للذهاب إلى خطوط القتال ، ولكنني - كغيري من الضباط الصغار المملوئين حماسا - طلبت نقلى إلى بطارية أخرى كان من نصيبها أن تدفع إلى الحرب ، وهكذا سافرت إلى العريش في فبراير ١٩٤٨ للمشاركة في معسكر للتدريب على الحرب . لم تكن في الحقيقة خطوتى الأولى وحدى ولكنها كانت الخطوة الأولى للجيش كله . فقد كان كما ذكرت جيش استعراضات وجنازات

كما كانت معداته العسكرية تنتسب غالبا إلى مخلفات الحرب العالمية الأولى ، كانت معرفتنا جميعا بالحرب نظرية محددة ، فقد عرفناها على « تختة الرمل » ولكننا لم نمارسها في الوقت الذي يمكنني أن أقول أن القتال حرفة عملية قبل أن تكون فهما نظريا ؟

لقد كان الحماس يملؤنا ولكن هل كان الحماس كافيا ليسد الفجوة بين الفهم العسكري النظرى وبين ممارسة حرفة القتال ؟

ثم أى نوعية من الحماس كان ذلك الذى يتأجج فى داخلى ؟ لم أكن قد درست قضية فلسطين دراسة كافية حتى أتحمس للقتال على أرضها ، فهل استكمل الحماس طاقته من الخطب الرنانة فى ميدان الأوبرا ، وطلقات الرصاص من شرفة فندق الكونتنتال ؟

كنت أعرف أننا سنحارب من أجل شعب شقيق ، ومن أجل أرض عربية ، لكننى أكذب لو قلت أنني شخصا على الأقل كنت أفهم تلك المعانى فهما صحيحا ناضجا .

وفوق التخوم المطلة على فلسطين ، وفوق رباهما بدأت زاوية الرؤية الضيقة تتسع وبدأت الأسئلة الكبيرة المعلقة تجد اجاباتها ، فهمت العروبة بالحواس قبل أن تتخلل خلايا العقل .. ثم كان طبيعيا أن نطل بأبصارنا بين المعارك إلى الخلف ، إلى الوطن الذى يجثم عليه الاحتلال الانجليزى خلفنا ، وإلى النظام السياسى والاجتماعى ، وإلى لعبة الحكم قصرا وأحزابا ، وإلى القاعدة الاجتماعية العريضة المثقلة بأعباء التخلف والاستغلال والفقير .

كان طبيعيا أن نفهم بعمق .. أن اتجاه الطلقة الأولى ينبغى أن يكون هناك لا هنا ..

تحركنا إلى العريش فى ٢٥ فبراير ١٩٤٨ وعملت كأركان حرب لمدفعية العريش من هذا التوقيت حتى يوم ٥ مايو من العام نفسه .

كان تدفق القوات المصرية قد بدأ منذ يوم ٥ مايو إلى العريش بمعدلات كبيرة جدا ، قطار من القاهرة كل ساعة واحدة مكتظ بالأفراد والذخائر والعتاد . ولكن النظام أثناء ذلك كله لم يكن له وجود . وهكذا أخذت القوات والأعتدة تتكدس فى العريش التى أصبحت منطقة تجمع دون أى ترتيبات عسكرية صحيحة . وحتى عملية دفع القوات بعد ذلك من العريش إلى محاور القتال كانت تمر باختناقات مربكة ، فقد كان طريق العريش نفسه لا يتسع إلا لمرور عربة واحدة ، ولم يكن أولئك الجالسين على المكاتب فى القاهرة يصدررون الأوامر والتعليمات يعرفون شيئا عن المسرح الذى يتم فوقه الحشد قبل الدخول .

كان ظل البيروقراطية كثيفا فوق كل شيء .. يوميات تطلب ولا مجيب ، وتقارير تكتب ولا تنفيذ .. ومؤتمرات تنعقد وتنفض وأطنان الذخائر والتموين ترسل وازدحام يصل حد الاختناق على خطوط المواصلات القديمة .

مع ذلك كله فقد كان تأجج المشاعر الوطنية في صفوف الضباط والجنود يخلق روحا معنوية عالية تحاول أن تتغلب على كل عقبة ، رغم أن الأوامر والتعليمات كانت مستغلقة ، ولم تكن ندرى حتى يوم ١٤ مايو ما إذا كنا سندخل إلى فلسطين أم لا .

وخلت قيادات جديدة ، وأخلت قيادات أخرى قبل يوم ١٤ مايو مباشرة وفي هذا اليوم صدرت الأوامر بالتحرك إلى رفح التي تبعد عن العريش ٤٥ كم شرقا ، وفي صباح يوم ١٥ مايو دخلت قواتنا فلسطين محاطة بسياج من آمال شعب وقلوب أمة .

لم يكن لدينا أسلحة حديثة ولكن الأخطر من ذلك أننا لم تكن على دراية بعمل الأسلحة المشتركة طيران - بحرية - قوات برية . فقد ظلت الأسلحة تخطط لنفسها وتقوم بعملياتها بشكل منفرد ومستقل ، ولقد دفعنا من دمنا ومستقبلنا ثمنا باهظا لذلك .



فى لهيب محنة حرب عام ١٩٤٨

إننى لست فى مجال التأريخ لحرب عام ١٩٤٨ ولكننى فى سبيل التأكيد على أننا لم نستخلص الأخطاء التى وقعنا فيها فى هذه الحرب ، وقد دفعنا ثمن ذلك فى المواجهات العسكرية التالية فى حرب عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ .

ثم إن الجيش المصرى - ضباطا وجنودا - قدم فى هذه الحرب بطولات يعجز اللسان عن وصفها ، لكنها مع الأسف ظلت مطمورة فى ذاكرة أصحابها أو معاصريها .

أذكر رغم كل شىء أننا كنا فى الدفاع الجوى قد أحضرنا جهازى الرادار الوحيدين اللذين يملكهما الجيش المصرى من القاهرة ، ورغم أن هذين الجهازين كانا قد تجاوزا عمرهما الافتراضى بكثير ، فإنهما ظلا يعملان بكفاءة عالية طوال استمرار المعارك ، وكان ذلك بفضل الصاغ المهندس إبراهيم حسن سليم (وزير الإنتاج الحربى بعد ذلك) بل قمنا فى المجدل بأول عملية استطلاع إلكترونى ، فقد كانت الطائرات الإسرائيلية متصلة النشاط طوال الليل دون أن نعلم بالضبط إلى أين تذهب - وقمنا بتتبع خطوط سيرها على شاشات الرادار ثم طبقنا خطوط السير على الخرائط ، وكانت النتيجة واضحة ، إنهم يقومون بنقل عتاد وأسلحة وذخائر إلى مناطق بعينها ، وبتطبيق أماكن النزول على الخرائط تنبأنا بإمكانة محتملة للهجوم اليهودى ، وقد قمنا بتوقيع ذلك على الخرائط مع تصورنا لما يمكن أن يحدث وحين حملنا هذه الخرائط إلى القيادة ، كان الرد : لا تتدخلوا فيما لا يعنكم فنحن نعرف عملنا جيدا .

ولقد كانت تلك هى أخف المفارقات تأثيرا على عملنا ، فقد حدث بعد ذلك مالا يمكن تصديقه أصلا ، فحين شاء الملك أن يذهب إلى الأوبرا ، خشى القادة فى القاهرة مع وجود أجهزة الرادار على جبهة القتال ، أن يواجه ركب الملك بهجوم جوى دون أن يتوافر للقاهرة إنذار مبكر ، فكان القرار بسحب أجهزة الرادار من جبهة القتال حتى يتوافر إنذار مبكر لموكب الملك فى شوارع القاهرة ، وأثناء استمتاعه بمشاهدة الأوبرا ولأن عملية النقل تمت على عجل وبشكل مرتبك فقد كانت النتيجة سقوط أحد هذين الجهازين فى النيل أثناء نقلهما إلى القاهرة .

لقد قلت إن بطولات الجيش المصرى فى حرب عام ١٩٤٨ لم تكتب ولكنها كفيلة

بأن تضاف إلى رصيد البطولة والمجد للجيش المصرى العظيم ، يكفى أن أشير إلى معركة الاستيلاء على مستعمرة « ديرسفيد » فى الطريق من غزة إلى المجدل والتي كانت عملا عسكريا رائعا ، ويكفى أن أشير إلى الاستيلاء على مستعمرة « نينم » والتي أسر فيها حوالى ٢٠٠ يهودى وكانت عملا عسكريا ممتازا قاده محمد نجيب ، وكان أركان حربه كامل الرحمانى ، ويكفى أن أشير إلى بطولة الصمود فى الفالوجا المحاصرة تحت قيادة سيد طه ، وكان أركان حربه جمال عبدالناصر ، ويكفى أن أشير إلى الأعمال البطولية اليومية التى قام بها الرجال لاختراق الفالوجا وإيصال الإمدادات لها والتي تمت بواسطة زكريا محبى الدين وصلاح سالم ، ويكفى أن أستعيد أسطورة الطيار البطل « أبوزيد » من سلاحنا الجوى الذى كان مجرد ظهور طائرته فى سماء المعركة يبعث الاطمئنان والثقة فى قواتنا الأرضية ، والذى طالما رأينا أعدادا من الطائرات اليهودية مجتمعة وهى تفر مذعورة أمام طائرته المنفردة والتي تلاحقها وكأنها سرب كامل .

يكفى أن أشير إلى بطولة البحرية المصرية التى استطاعت أن تهاجم تل أبيب بحرا دون أن تتوافر لها أى حماية جوية ، يكفى أن أشير إلى ما قامت به وحدات الدفاع الجوى على قتلها بقيادة محمد فوزى وما قامت به وحدات المدفعية بقيادة أحمد حسن الفقى .

إن مجلدات كاملة يمكن أن تكتب عن بطولات قواتنا المسلحة فى حرب عام ١٩٤٨ ، ولكن المشكلة فى ذلك كله أنها كانت بطولات فردية وأعمالا فردية ، ومن المؤكد وذلك أحد الدروس المستفادة ، أن كسب الحروب فى النهاية هو ثمرة عمليات تنظيم تعاون مشترك بين جميع الأسلحة ، وهو الأمر الذى كنا نجهله تماما فى ذلك الوقت .

لقد اتصل القتال واستمر ثم أعلنت الهدنة ، ثم تفجر القتال مرة ثانية بعد أن تم تغيير قيادة الجيش ، واستغل اليهود الهدنة - كالعادة - للقيام بعمليات عسكرية ذات طابع ثأرى .. إنتى أريد أن أتوقف - تفصيلا - عند سير عمليات القتال فى هذه الفترة البالغة السخونة والتي وقعنا خلالها فى أخطاء فادحة من خلال ما دونته بيدي خلالها من وقائع بما فيها انطباعاتى الشخصية .

استأنف اليهود القتال عصر يوم ١٥/١٠/١٩٤٨ بقذف العريش وغزة والمجدل وأسودود بضرب مكثف بالقنابل فى وقت واحد ثم استؤنفت الغارات فى منتصف ليلة ذلك اليوم ولم يكن أحد يعلم بما ينويه اليهود ولكن هذا ما سوف أرويهِ فى خلال سبعة أيام وسبع ليال لم أر فى حياتى أسود منها .

فى مساء ذلك اليوم سُمع ضرب شديد للمدفعية وأصوات مدافع ماكينه وكان يظن أن المقصود بذلك هو مستعمرة « ديرسنيد » ، حتى يمكن باحتلالها قطع خطوط مواصلات الجيش بين الشمال والجنوب أى بين أسودود والمجدل من جهة وبين غزة من جهة أخرى ، ولكن قطع سكون الليل صوت انفجارين كبيرين سمعا بوضوح فى

المجدل ثم هدوء خيم على الجبهة كلها ولم يعرف ما حدث إلا في صباح اليوم التالي ..

فقد تم نسف الكوبريين على طريق المجدل وغزة وظل الطريق مفتوحا رغم ذلك ، وابتدأ المهندسون في نصب كبار محل تلك التي نسفت ثم عند الظهر ابتدأ احتلال اليهود لقرية بيت حانون العربية وبذلك تمكنوا من قطع الطريق إلى المجدل ، وفي ذلك أعجب من عقلية القائد وأعجب أكثر من تصرفاته ، إنه لم يتخذ أى إجراء ولم يقيم بأى هجوم مضاد في الحال حتى نسترد ذلك الموقع الهام وجتى يمكن وصل الشمال بالجنوب ، وابتدأ تموين المجدل بطريق البحر ثم بواسطة الجمال وبواسطة قولات عربيات ابتدأت تأخذ طريقا بتجنب قرية بيت حانون بالمرور خلفها ، ومازلت أعجب لأننا لم نفكر حتى في استرداد هذه القرية جديا بقوة محترمة ثم ترك هذه الحالة قائمة مادمننا قد تجنبنا القرية بذلك الطريق ، في خلال ذلك اليوم لم تتوقف الغارات الجوية على العريش وغزة والمجدل وأسود بشكل لم ير من قبل وكان أقطع ما لاقيناه أن أمطرتنا مطاردات العدو بوابل من رصاص رشاشاتها ، حقا إن سلاح الطيران سلاح مفزع مخيف ، ولكن الله سلم وانتهى هذا اليوم على ذلك وأصبح الموقف أن اليهود قد احتلوا قرية بيت حانون وبذلك قطعوا الطريق إلى المجدل وهددوا الطريق التبادلي الآخر ..

.. تلك عمليات منظمة قام بها اليهود بكل جرأة وثبات ولم يكن ذلك متعودا من اليهود في سابق عملياتهم . ولقد كانت عملياتهم موفقة إلى حد كبير لا لأن قواتهم أكبر عددا ولا لأن قواتهم قوية ولكنها نجحت لأنها لم تلاق عملا إيجابيا في الحال . ولم يقتصر الهجوم على هذا الحد ولكن ما أن أتى الليل حتى ابتدأ الهجوم على تقاطع الطرق وهو الطريق الموصل إلى عراق سويدان .. كان ذلك التقاطع محصنا تحصينا لا يمكن أى قوة من اختراقه .. دشمة أسمنت مسلح ضد المشاة والدبابات وبه مواقع أسلاك .. ولم يظهر الصباح إلا وكان التقاطع في أيدي اليهود .. أنا أعزو ذلك إلى إهمال من الضباط ليس إلا .. إننا شعب لم نتعلم حتى الآن .. لم يصح الضباط من غفوتهم إلا والموقع في أيدي اليهود .. إن إهمال جندي واحد أدى إلى وضع الجيش في مأزق حرج .. حتى الآن لم نتعود على الحرب ولم نتعلمها ، لو كنت مكان القائد العام لأمرت بإعدام هؤلاء فورا ، لأنه لو كان قدير - لا قدر الله - هزيمة الجيش واكتساحه لفقدت مصر كل شيء .. كانت ستفقد جيشها ثم استقلالها ثم كل أمل لها في أن تعيش كدولة محترمة مستقلة .. وأعجب من هؤلاء الأوغاد الانجليز .. لقد ضحينا في سبيلهم بالكثير ولكنهم لم يمدوا يد المعونة لنا ..

سقطت بعد ذلك بلدة بئر السبع وبذلك تم فصل اللواء الرابع عن باقى القوات ثم بعد ذلك هوجمت قرية « بيت جبرين » فسقطت أيضا وبذلك تم فصل اللواء الرابع عن « بيت لحم » و« الخليل » .. بكل هذه العمليات نجح اليهود في الحصول على غرضهم ، فصلوا لواءات الجيش بعضها عن بعض وتمكنوا من بث حالة من الذعر

لا توصف في القوات . بعد كل هذا بدأت رئاسة القوات تصحو من غفوتها وابتدأ مجلس الأمن ينظر في القضية وابتدأت رئاسة القوات بسحب نفسها والرئاسات التابعة لها - وكنا معها - من المجدل إلى غزة .. وأحب أن أصف هذا الانسحاب لأننا لم ننجح في الانسحاب كما سبق أن لم ننجح في صد اليهود .

أركان الحرب يقولون إن الطريق مأمون وإن السلاح الجوي سيقوم بالحماية الجوية للقوات المنسحبة ، وأن هناك جدولا زمنيا للانسحاب ، وإن البوليس الحربى سيقوم بتنظيم حركة الانسحاب ، وإن هناك حماية أرضية مدرعة لذلك الانسحاب .. وإن إلخ ، كلام ظهر أنه أجوف وأن كل ذلك ليس إلا كلام مكاتب ..

.. تعرضنا عند خروجنا من المجدل متجهين إلى غزة إلى قذف القول بوابل من قنابل طائرات الأعداء وكانت هذه هي البداية .. ثم أين السلاح الجوي الملكى الباسل .. وأين نسورنا الجويون المحترمون .. كل ذلك لا وجود له .. لم تظهر حتى طائرة واحدة لحماية كل هذه القولات .. وصلنا ديرسنيد ووجدنا أكاداسا من العربات .. تجمعات فظيعة من العربات مكدسة فى مكان واحد .. والبوليس الحربى تائه فى الوسط .. وأعجب لغاية الآن لماذا لم تهاجم طائرات الأعداء ، هذه المنطقة .. لو قدر ذلك لما تمكن إنسان من العودة سليما إلى غزة .. ولكن الله سلم أيضا وأخذنا فى تنظيم المرور أنا والصدى العزيز محمد غانم حتى تمكنا من المرور ووصلنا إلى الطريق خلف بيت حانون فى عربة جيب أنا ومحمد فوزى .. ذكرنى ذلك بما سيكون عليه يوم الحشر .. إن كنا مازلنا فى الدنيا ولا يفكر كل فرد إلا فى نفسه .. وتعرضنا لضرب شديد من مدافع ماكينة الأعداء ومدافع الهاون .. مناظر مؤلمة مبكية . عربات مقلوبة من جنون السرعة .. وازدحام فظيع .. ألم ير أحد هؤلاء أركان الحرب هذا .. إنهم صم بكم عمى ...

... وصلنا غزة بسلامة الله وحمدنا الله على سلامة العودة وأخيرا أمر مجلس الأمن بوقف القتال ونفذ فى تمام الساعة ١٤٠٠ من يوم ٢١/١٠/١٩٤٨ ، ولكن منذ متى كان اليهود هم الذين يحترمون قرارات كهذه ؟

ولعل الله لم يكذب تقديرى فلم تكن الساعة قد قاربت ١٦٠٠ حتى ظهرت فى أفق بحر غزة أربع سفن للأعداء وكانت السفينة « فاروق » وكاسحة الألغام « نهارية » تقومان بالحراسة أمام شاطئ غزة ، وقد وصلنا هذا الخبر فذهبت إلى نقطة مراقبة البحر حتى أقوم بالضرب على سفن الأعداء هذه وقد اتصل « البكباشى عدلى جميعى » من السلاح البحرى الملكى بالقائد العام يخبره بالموقف وكانت السفن تقوم بمناورات حول السفينتين وقد وصلت الإشارة التالية من قائد « فاروق » :

« سفن الأعداء داخل المياه الإقليمية - أوامرهم » .

فجاءه الرد وذلك طبعاً بعد استشارة القيادة العامة الرشيدة :

« لا تطلق النيران مطلقاً . نحن فى هدنة » ..

كانت هذه هى أوامر القائد العام ..

وسارع القائد العام إلى إبلاغ ذلك إلى مراقبى الهدنة فحضروا الساعة ١٧٣٠ مع أن مكانهم لا يبعد عن شاطئ البحر ١٥ دقيقة على الأكثر وبدأت سفن الأعداء فى الانسحاب خارج المياه الإقليمية بل خارج ميدان النظر . ورجعنا إلى موقعنا ثانية ، وما جاءت الساعة ٢٠٢٠ حتى رأينا لهيب مدافع ينبعث من البحر وعدد كل ٦ و ٨ على التوالي ، أخذنا عربة جيب وسارعنا إلى شاطئ البحر وهناك وصلتنا الإشارات التالية :

« فاروق أصيبت - أنقذوا أرواح من فيها » .

وصلت هذه الإشارة من فاروق نفسها وبعد ذلك فقدنا كل اتصال بها وحاولنا الاتصال بنهارية ولكننا فشلنا أيضاً وأخيراً اتصلنا بها وأمر « عدلى جمعى » قائدها بالذهاب إلى مكان فاروق لإنتقاذ من فيها وكنا جاهزين لحمايته من الشاطئ ، ولكنه أخبرنا أن ماكينة سفينته قد تعطلت .

ابتدأت عملية الإنتقاذ حوالى الساعة ٢٢٠٠ وذلك بواسطة جميع مراكب الصيد وبلاستعانة بياعث الأنوار الموجود على الساحل واستمرت هذه العملية إلى الساعة ٤٠٠ من صباح ٢٢ / ١٠ / ١٩٤٨ وفقدنا على هذه السفينة زميلنا المرحوم « طه عطعوط » وتبين أن هذه السفينة أغرقت بواسطة لانش مملوء بمواد متفجرة سريع جدا يقوده شخص واحد وكان أحد هذه اللنشات قد أخطأ هدفه وخرج على الشاطئ وجاء أيضاً مراقبو الهدنة سكارى ليحتفلوا برؤية هذه الكارثة التى ذهبت ضحيتها إحدى سفنتنا التى نعتز بها ...

.. بقينا فى غزة إلى يوم ٧ / ١١ / ١٩٤٨ ثم صدرت الأوامر بالانتقال إلى رفح ، وكانت عملية الانسحاب مستمرة لإخلاء المجدل وديرسنيد وهربيا والاحتفاظ بالخط غزة ثم رفح العسلوح ، وابتدأت الحياة تعود إلى مجاريها أو إلى سابق العهد بها واستمر طابع الغباء وقصور التفكير على ما هو عليه وأصبح الموقف كالاتى :

الخط من عراق سويدان - الفالوجة - عراق المنشية .

الخط من غزة - دير البلح - خان يونس - رفح .

الخط رفح - العوجة العسلوح .

وانتهز اليهود فرصة إخلاء المجدل من القوات المصرية خاصة المدفعية وشنوا هجوماً شديداً كسبوا به قلعة « عراق سويدان » وانحصرت بذلك قوات الفالوجة فيها وفى عراق المنشية ، هذه القوات أصبحت محاصرة وشربنا من الكأس نفسها

التي سقيناها لليهود . وابتدأ تموين هذه القوة بالطائرات كما كان اليهود يفعلون تماما ، وقد شنوا عدة هجمات على جزيرة المقاومة هذه دون جدوى ..

وفى حوالى ١٩/١١/١٩٤٨ غير القائد العام الأسبق وهو اللواء أحمد على المواوى بك وعين مكانه اللواء أحمد فؤاد صادق بك . وزيد على هيئة أركان حرب القيادة رتب كبيرة مشهود لهم بالكفاءة والامتياز ، تفاعلت القوات بمقدمه والكل يعتقد الأمل عليه ، فهو قائد شديد قاس ذو شخصية قوية تتمثل فيه القيادة .

من يوم وصول القائد الجديد ابتدأت روح جديدة تسرى بين القوات .. روح ابتدأت تستيقظ من رقدتها ، وابتدأ الجيش يشعر بأن هناك قائدا حاكما بأمره لا دخل لأحد بعمله هو القائد الفعلى للمعركة وهو القائد فعلا وليست القاهرة أولوات القاهرة الذين يسعون وراء شهرة أو منصب ولم يشعروا حتى الآن بأنهم فى حرب ، وأنه هو الذى سيسير دفة الأمور على طول الجبهة فى فلسطين ، وابتدأ الجميع يقدرون فى الرجل جرأته وشدة مراسه وإقباله على تحمل مسئولية لا قبل لأى لواء آخر على تحملها ، حقا إنها مسئولية خطيرة وإنها خطوة جريئة من رجل يصلح أن يكون قائدا ، وهل هناك مسئولية أخطر من قيادة جيش محتل لخط دفاعى على شريط ساحلى ضيق وراءه البحر وأمامه اليهود ، ولا أكون مغاليا إن قلت إن وراءه البحر وأمامه اليهود والدول الكبرى المساعدة لهم .. جيش مسلح بتسليح قديم .. جنود فزعة ترهب الحرب وتخشاها .. روحهم المعنوية فى انخفاض مستمر .. وعموما فهى حالة يائسة .. حالة خوف وعدم استقرار ..

ابتدأ الرجل ينفذ ما عزم عليه من تقوية للروح المعنوية بالمرور على الوحدات وإصدار المنشورات القاسية التى تحتم على الجميع الاستماتة فى الدفاع . وابتدأ الجميع يفهمون حقيقة الموقف بصراحة وبوضوح وأخذ يخرج إلى الجيش كل يوم ملخص لتقارير المخابرات فابتدأت القوات تسترد جأشها وابتدأت الروح المعنوية ترتفع ، وابتدأ هو يوجه النظر إلى التدريب وابتدأ الجميع فى التعاون معه ...

.. إن تغيير القائد رفع روح الجيش المعنوية ، وأن كل ما فعله اللواء أحمد فؤاد صادق سيذكر له فى يوم من الأيام على أنه بطل تحمل مسئولية قل أن يتحملها إنسان . وفى ذلك الوقت لم ينس الفالوجة بل كان دائما يذكرها وكان دائما يسعى لخيرها ، وكانت الفالوجة تفخر بقيادته للجيش وبذلك أبلت بلاء حسنا ندر أن يبذل مجهود مثله وفؤاد صادق من ورائهم يشجعهم ويحثهم على الجهاد والصبر ويخبرهم أن مصر تنتظر إليهم وأن العالم معجب بهم .

وليس أدل على ذلك من نص تلك البرقية التى أرسلها قائد الفالوجا إلى قائد جبهة القتال :

كان نص البرقية يقول :

« كلنا شاكر لكم هذا العطف والحنان الأبوى الذى نلمسه الآن وهو عندنا ثروة

نعتز بها وهى فى ميزان الجهاد أعز من الحديد والنار ، أحيى الإقدام منك ، أم أحيى الشجاعة فيك .. إنهما صنوان لا يفارقان شخصية عظيمة كشخصيتك .. أكرر الشكر على ما تقدمونه إلينا وأصبحت الحالة طبيعية جدا وتكاد تكون سبل الحياة مجتمعة بهمتك وسهرك ، بارك الله فى صبرنا وشجاعتنا وبارك الله فى قيادتكم وعزيمتكم ..

ابتدأ الرجل فى تنظيم الجيش تنظيما جديدا وأخذ يخطط بشكل وأسلوب جديد يدفع نقطا خارجية للمراقبة ولتعطى الإنذار الكافى للقوات الموجودة فى الخط الدفاعى وابتدأ بتجميع قوات ضاربة فى كل منطقة مكونة من كتيبة مشاة تبقى كاحتياطى فى كل قطاع حتى تصد أى هجوم تقوم به القوات اليهودية وتتمكن به من اختراق الخط الدفاعى المفرد الموزع بغير عمق .. ثم جمع مجموعة لواء مشاة ملحق عليها بطارية مدفعية ٢٥ رطلا وتروب برفرز ٤٠ مم ذاتى الحركة مضافا إليها قوات الفرسان الموجودة من دبابات وعربات مصفحة ، لتصبح قوة ضاربة فى يده ، بهذا التنظيم ضمن وجود احتياطى فى يد قائد كل قطاع ثم احتياطى فى يده هو ، وضمن إنذارا كافيا للوحدات بواسطة النقاط الخارجية .. وابتدأ يبذل قصارى جهده فى لفت النظر إلى تحصين مواقع الوحدات وإلى أهمية التدريب وابتدأ فى عمل كل ما هو صالح للوحدات الدفاعية .

وبعد ذلك جاء اليوم الذى اعتبر يوم الامتحان لهذه القوات ، ابتدأ اليهود بالهجوم على تبة الشيخ نوران أمام دير البلح يوم ١٩/١٢/١٩٤٨ وكان بها نقطة ملاحظة أمامية اضطرت إلى التقهقر أمام القوات اليهودية ولكن القائد أصر على استردادها ودارت معارك بخسائر ، خلال هذه العمليات ظهرت بعض الوحدات بمظهر غير مشرف فلم يتوان القائد العام عن أخذ هذه القوات بالشدة ، ومريومان وظهرت نتيجة المجلس العسكرى الذى أمر بتشكيله لسرية مشاة وضباطها ، وأمر القائد أن يحضر تنفيذ الحكم مندوبون من جميع الوحدات وتم ذلك فى الأرض الفضاء المجاورة لرئاسة القوات برفح .. خفف حكم الإعدام عن خمسة إلى الأشغال الشاقة خمس سنوات ، وجلد الباقون خمسين جلدة .. كان هذا هو الدرس الأول الذى القاه القائد على الوحدات وكان الجزاء من صنف العمل ، كان للسرعة فى محاكمة المخطئ والسرعة فى تنفيذ الجزاء الأثر المطلوب فى القوات وابتدأ الجميع يقدررون الموقف على حقيقته ، ياليت ذلك نفذ من قبل ، إذن لكان الوضع غير الوضع .

وبعد هذه المعركة زار ميدان القتال مراسل أخبار اليوم ومعه بعض مراسلى الصحف الأمريكية وقد أظهر القائد العام اعتزازه بقيادة هذه القوات فى خطاب أرسله إلى مصطفى أمين قال فيه :

« طلب منى مندوبك كلمة ، وقد يريد معرفة شئ عنى فأحدثك بخير ما فى وأحسن ما أزهو به ، إننى سعدت بقيادة أبطال لا يساويهم أحد ، إنهم أشبال الأسود الذين سبقوهم وسجلوا صحائف المجد لوطنهم إنهم ماضون فى طريقهم »

ولقد سجلوا وسيسجلون إن شاء الله أروع البطولات فى خدمة مليكهم ووطنهم وإِعلاء سمعة جيشهم ، حقا إنتى أفاخر بقيادتى لهؤلاء الجنود وأحمد الله أن سمح لى الزمان ووثقت بى الرئاسة فجعلتنى أقاسم بعض الحظ فى قيادة هؤلاء الأسود ..

أما ما قاله القائد العام لمراسلى الصحف الأمريكية :

« كان الغرض من الهجوم اليهودى فصل القوات المصرية بين غزة ورفع حتى يضطر الجيش المصرى إلى قبول شروط اليهود لإخلاء فلسطين .. إنتى لا أريد التحدث كثيرا عن المعركة ولكنها انتهت بانتصارنا .. »

« .. فى يوم ٢٨ / ٢ / ١٩٤٩ ختم القائد العام اللواء أحمد فؤاد صادق الأعمال الحربية بقاء جمعنا مع ضباط الفالوجا فى معسكر رفح .. وفى البدء حيا بطولة وصمود قوات الفالوجا ثم رفع قبضة يده إلى أعلى احتراما للعمل البطولى الذى قام به محسن عبدالخالق فى نقطة مراقبة التبة ٨٦ حيث وجه مدافعه لتضرب موقعه عندما اقترب منه اليهود وفضل أن يبقى فى وجه النيران دون أن يترك موقعه ثم أخذ يعدد الأخطاء ويرصد السلبيات ، وما أزال أذكر بعض كلماته : « إن الجندى المصرى هو أحسن جنود الأرض ولكن الجندى المثالى يحتاج إلى أسلحة حديثة وقائد يقوده وتدريب ممتاز .. »

ولأول مرة يتكلم قائد عسكري مصرى فى صميم السياسة فى مؤتمر عام يضم ضباطه وجنوده ووحداته المقاتلة ، وقد فوجئنا بأن اللواء أحمد فؤاد صادق يهاجم بشدة السياسيين وأعضاء مجلسى النواب والشيوخ الذين كانوا يقولون دائما بأنه لا لزوم للجيش ، وأنه خير لنا أن نصرف الأموال التى تنفق عليه لتحسين أحوال البلاد » .

بعد أن وقعت الهدنة بين مصر وإسرائيل خفضت القوات ، وسحبت أغلب الوحدات لتبقى فى منطقة القناة ، أو تعود إلى قواعدها حول القاهرة .

ثان فى داخل كل منا مرارة وغليان ، وكان ثمة هاجس واحد يوحد قلوب وعقول الضباط العائدين من تجربة الحرب القاسية : إن اتجاه الرصاصة القادمة ينبغى أن يكون إلى الداخل لا إلى خارج الحدود .. وحول هذه الرصاصة اتسعت دوائر تنظيم الضباط الأحرار ..

من المؤسف أننا لم نستفد رغم ذلك من دروس حرب عام ١٩٤٨ وإلا لتجنبنا كثيرا من الهزائم والنكسات التى حاقت بنا ، ولهذا تأخر طويلا نصر أكتوبر ١٩٧٣ العظيم .

جمال عبد الناصر : صورة من قريب

ليس هدفي من هذه السطور أن أدبج دفاعا جديدا عن شخص جمال عبد الناصر أو أن أكتب به تعريفا كعسكري ، أو كقائد ، أو كزعيم ، أو كإنسان ، ذلك أنني أحد الذين يؤمنون عن قناعة و يقين ، أن جمال عبد الناصر هو آخر مصري عربي سوف يكون محتاجا على امتداد قرون قادمة ، إلى من يصوغ قصائد مديح فيه ، أو هجاء في خصومه ، أو إلى من يقدم كشف حساب بإنجازاته العظيمة ، كما أنني - أيضا - أحد الذين يؤمنون عن قناعة و يقين ، أن جمال عبد الناصر هو آخر مصري وعربي في خضم موجات متصلة من النضال الوطني والقومي تربو على قرن كامل من الزمن ، يمكن لبعض قتابل الدخان أو الأكاذيب أو الجرائم أن تهز أو تمس دوره الراسخ .

لقد نصب جمال عبد الناصر من دوره وفكره ونضاله قنطرة تحول تاريخية في حياة مصر والأمة العربية كلها ، وبكل مستوى ، وبكل بعد ، وسوف تظل هذه القنطرة راسخة في موقعها ، لأنها جزء ثابت وحاسم في مجرى النهر الوطني والقومي العظيم ، ومهما تكن الجسور التالية عليها ، مجرد محاولات جانبية أو موقوتة ، تخفى تحتها جداول ماء ، أو عواصف رمال .

ومن المؤكد أن جمال عبد الناصر لم يؤلف العروبة ، ولم يبتكر الدائرة الإسلامية أو الأفريقية ، حول الدور المصري ، كما أنه لم يصطنع حركة عدم الانحياز ، فالعروبة والإسلام ، وعبقرية المكان المصري ، كمسرح استراتيجي كانت جميعها قبل جمال عبد الناصر ، وبقيت وستبقى بعده وبعدها جميعا ، ولكن القيمة الحقيقية لجمال عبد الناصر في ذلك كله وغيره ، أنه أبصر بعمق ، واكتشف ببصيرة نافذة ، وحاول أن يحول قوانين الطبيعة الكامنة إلى ضرورة فاعلة في مرحلة مواتية من التاريخ ، ثم إن جمال عبد الناصر لم يؤلف معادلات القوة في البنيان المصري أو العربي ، وإنما استطاع أن يكتشفها ويترجمها إلى حقائق بسيطة تكاد تنتسب إلى البديهيات .

مصر قوية على جبهة دولية واسعة عندما تمتد طبيعيا داخل نسيجها العربي ، ومصر قوية ونافذة داخل محيط عربي واسع ، عندما تتحصن بوحدةها الوطنية الخالدة وتتمثل حاجات محيطها العربي تقدما علميا وسبقا حضاريا وقوة عسكرية .

ومصر قوية ومنتجة ومعطاءة ، عندما تنفتح على إيقاع العصر والدنيا من حولها ، وتشارك دون قعود وتتفاعل دون عزلة ، ومصر منتجة ومبدعة ومتوحدة عندما يكون العدل فى موقع ميزان الحُكم والحُكم ، لأن العدل ظل هاجس المصريين منذ أن بدأوا يخضرون أرضا أو يلونون أفقا أو يرسمون فوق الطين وينحتون فى البازلت .

معادلات بسيطة ولكنها عميقة ، لأنها نبض التاريخ المصرى كله ..

وحتى بالنسبة لشخص جمال عبدالناصر نفسه ، فقد كان فى تكوينه من حكمة هذا التاريخ نذر ليس باليسير .. كبرياء بلا تكبر .. ورحمة بلا تفريط وعدل بغير انحياز ، وإيمان بغير كهنوت ، ووطنية بغير عنصرية ، وقومية بدون تعال ، وانتماء إلى القاعدة المنتجة العريضة التى كانت سواعدها مشاعل الحضارة دوما .

ولم يكن جمال عبدالناصر قابلا للإفساد ، فقد ظل وحده مصرا ومتمسكا بأمرين :

انحيازه الاجتماعى إلى الأغلبية الاجتماعية .

وانتمائه أو لنقل امتلائه ، بدوره كثرى لا كحاكم .

حين اندفعت الدعوات بعد الثورة من أصحاب البيوتات ، وكبار رجال الصفوة الاجتماعية القديمة للاحتفاء بالثوار ، ودخل بعض الثوار من خلال هذه الدعوات إلى نسج اجتماعى جديد ، رفض جمال عبدالناصر كل دعوة ، وأى دعوة مهما كان صاحبها أو هدفها ، فلم يأكل على مائدة صاحب ثروة أو جاه ، ولم يخالط دوائر الصفوة المترفة ، ولم يعاشرها .. وأقام بينه وبين حياتها اليومية سدا لم ينجح أحد مرة واحدة فى اختراقه ، ولم تجذب جمال عبدالناصر كغيره اللقمة الطرية ، والحياة الرغدة ، بل استمر يواصل حياته ، كما كانت قبل الثورة يأكل اللقيمات نفسها ، ويرتدى الثياب نفسها . فى حين كان غيره قد غير مع طعامه وشرابه ، ودوائر أصدقائه ومعارفه ، جلده قبل ثيابه .

ولم يفرض جمال عبدالناصر ذلك كله على نفسه فقط ، بل فرضه على أسرته وأهله ، إخوانا وأعماما وأخوالا ، وكانت علاقاته بهم تنطق بذلك كله وكأنه كان يطبق تلك الحكمة المصرية الخالدة : « إن السمكة تفسد من رأسها » .

ولست أريد أن أتحدث عن تلك القصة التى تحدثت عن حب جمال عبدالناصر لابنة إقطاعى ، وعن محاولته الإنتساب إلى هذه الأسرة ، ثم فشله ، فلم تستأثر الطبقات المتخمة بفكر جمال عبدالناصر ولم يكن فى مقدورها أن تأسر شعاعا دافئا من قلبه ، فضلا عن أن يسعى للانتماء إليها .

سوف أبداً بالاقتراب من تلك الدائرة الصغيرة لعلاقته بأهله المقربين ، لقد ذكرت أن أول كلمات قالها لى حين فاتحنى فى أمر تعيينى محافظا لأسبوط ، كانت

١٤٦ طلبا متشددا بأن أعامل أهله وأقاربه بشدة ، وأذكر بعد ذلك وأنا محافظ لأسيوط أن أتهم أحد الفلاحين عمه طه بأنه استولى على فدانين من أرضه وطلبت من عمه أن يرد الفدانين على الفور وقام بردهما إلى صاحبهما .. فقد كان يعلم أن الأمر لو وصل إلى ابن أخيه الرئيس فلن تأخذه به رحمة .. وعمما وصل إلى جمال عبدالناصر ذات يوم خبر تأخر أحد أقاربه في دفع الضرائب اتصل به بنفسه وأمره بأن يدفع الضرائب فوراً ، ولم يجد القريب بديلاً عن أن يستجيب ويدفع ما عليه ..

أذكر بعد ذلك أن أخاه عزالعرب عبدالناصر قد كلمنى بكلمات وسط آخرين وأنا محافظ للاسكندرية اعتبرتها غير لائقة بل ومهينة .. ورغم أنني رددت عليه رداً بالغ القسوة ، فإننى لم أتحمل ما حدث فاتصلت بسامى شرف وأبلغته بالحكاية ، وقلت أنني لا أستطيع أن أقود المحافظة بعد هذا .. وقدمت استقالتي إلى الرئيس بالفعل ، ولم أنتظر رده عليها ، وإنما ذهبت واعتكفت بمنزلى .

وحين عرف جمال عبدالناصر ثار ثورة عارمة ، لم يقبل الاستقالة أولاً ثم اتصل بأخويه ثانياً ، وأمرهما بأن يذهبا إلى وأن يقدموا اعتذاراً علنياً أمام الأشخاص أنفسهم الذين جرى الحديث السابق في حضورهم ، وقد فعل أخواه ذلك بالفعل ، ولم يكتف جمال عبدالناصر بذلك فحين حضر إلى الاسكندرية لتشيع جنازة عمه خليل وتقبل العزاء ووقف مودعاً في محطة سيدى جابر اختار أن يسألنى مشيراً إلى أخويه وعلى مرأى ومسمع من الجمع الكبير على رصيف المحطة : كيف أحوالهما معك الآن ؟ .

قلت : كل خير .

قال بصوت تعمد أن يكون عالياً :

إننى أقول لك أمامهما إياك وأن تسمع لهما بأى خطأ .. لأننى لا أعرف ولا أقبل ، ومع كل هذه الشدة ، فقد كان جنونا وعطوفاً معهم ، ويكفى أن أورد حادثة واحدة للتدليل على ذلك ، كان جمال عبدالناصر عائداً لتوّه من رحلة استشفاء فى أسخالطوبو بالاتحاد السوفييتى وكان يعانى من الالام مبرحة فى ساقيه تفرض عليه قيوداً شديدة فى الحركة والتنقل .. وقد حدث وتعرض أخوه الليثى عبدالناصر وزوجته لحادثة سيارة فى طريق الاسكندرية القاهرة الصحراوى وحين نقلتهما سيارة الاسعاف إلى أحد مستشفيات الاسكندرية أصررت أن أبلغ مكتب الرئيس رغم أن الوقت كان متأخراً جداً .. وبعد دقائق اتصل بى الرئيس .. لم يسأل أية أسئلة إضافية ولكنه قال على الفور : أحمد أنا قادم بالسيارة الآن إلى الاسكندرية ، حاولت أن أثنيه عن عزمه ولكنه لم يستجب .. ووصل بالسيارة إلى الاسكندرية فى حوالى الثانية صباحاً .. ذهب إلى المستشفى مباشرة وأمضى بعض الوقت مع أخيه ، وفى حوالى الرابعة ذهب ليأخذ قسطاً من الراحة فى استراحته بالمعمورة ، لكن لم تمض غير ساعة واحدة حتى اتصل بى أطباء المستشفى يقولون أن نتيجة الفحوص تفيد بضرورة أن يتم إجراء جراحة لليثى

عبد الناصر لاستئصال طُحاله الذى تهتك تماما من جراء الحادثة ، ترددت فى إبلاغ الرئيس ، ولم يكن ثمة بديل عن الاتصال به فى الخامسة صباحا وكان رده : إنه قادم إلى المستشفى على الفور ليكون إلى جوار أخيه عند إجراء الجراحة ، وحين حضر إلى المستشفى مع خيوط الفجر الأولى وناقش الأطباء واقتنع أدخل الليثى إلى غرفة العمليات ، فوجئت به بعد فترة يهمس فى أذنى قائلا : « أحمد .. هل نجد هنا لقمة نأكلها » .

ذهبت إلى مدير المستشفى أسأله عن طعام ونجح مدير المستشفى بعد فترة فى أن يرسل صينية عليها طبق من الجبن وبضع قطع من الكعك ، وفوجئنا جميعا بجمال عبد الناصر يأخذ فى توزيع قطع الكعك والجبن على الحاضرين جميعا واحدا واحدا مصرا على أن يأكل الجميع .

والحقيقة أن تلك الصورة التى حاول البعض أن يرسمها ويوزعها لعبد الناصر المتحجر المشاعر القاسى القلب ، هى صورة مزورة تماما ، فلقد كان عبد الناصر كإنسان يفيض رقة وعذوبة لدرجة يصعب تخيلها .

فى أول أيام الثورة كانت هناك طائرتان من سلاح الجو المصرى ومن طراز لانكستر الانجليزى عائدتان من مهمة فى الهند ، ولأسباب فنية سقطت الطائرتان داخل الأجواء المصرية فوق صحراء المأظة ، ولم تكن المشكلة هى فقد الطائرتين ولكن فقد الطيارين فقد كان يصعب على الطيار فى هذا النوع من الطائرات أن يغادر مقعده عندما يصبح الخطر محدقا ، ولهذا استشهد الطياران احتراقا داخل هيكلى الطائرتين ، وعندما نقل الخبر إلى عبد الناصر اعتصره ألم حاد فى معدته ثم انتابته نوبة من القىء الشديد واستمر هذا حاله كلما نقل إليه خبر حزين يتعلق برجل أو مقاتل .. فقد حياته فوق ساحة الشرف ، وحسب رواية الفريق أول محمد فوزى لى .. فإن عبد الناصر كان يتألم ألما شديدا كلما نقل إليه خبر استشهاد طيار مصرى ، إثناء حرب الاستنزاف سواء كانت الحادثة أثناء التدريب أو أثناء اشتباك جوى مع طيران العدو ، بل كان يلح على فوزى بأن يضع ضمانات أشد فى كل حالة حرصا على حياة الضباط والجنود .. وتأميننا لهم ، وعندما اتسعت أقواس النيران وتعمقت الدوريات المصرية التى كانت تعبر القناة ليلا ، وتخرق دفاعات العدو على الضفة الأخرى لتقوم بعمليات فدائية فى سيناء ، كان عبد الناصر يظل مستيقظا طوال الليل إلى جوار التليفون حتى يبلغه القائد العام للقوات المسلحة بتمام عودة الرجال من مهمتهم القتالية داخل سيناء ، وكان ذلك لا ينطبق فقط على وحدات العبور الأرضية وإنما كان ينطبق أيضا على المهام التى تقوم بها طائرات الاستطلاع أو الوحدات البحرية كالسفن أو الغواصات ، وكان عبد الناصر فى أعقاب كل مهمة يتوقف طويلا أمام أسماء الشهداء ويسأل متألما عن الأسباب ، وكيف يمكن تجنبها ويمارس ضغطا على القائد العام للقوات المسلحة حتى يحول دون تكرارها .

وحين أبلغته يوما بأن ضباط الصواريخ يقولون أنهم يعرضون لأوضاع انتحارية ، أثناء عمليات دفع قواعد الصواريخ إلى الحافة الأمامية من الجبهة وأنهم يقدمون توضيحات عالية جدا ، لم يكتف عبد الناصر بسؤال القادة العسكريين بل وسع من دائرة اجتماعاته مع ضباط الدفاع الجوى حتى مستوى قادة الكتائب الميدانية ليناقشهم ويسمع منهم ويتعرف على ظروف قتالهم الصعبة وما يروونه لانجاز المهام القتالية المطلوبة دون خسائر قدر الإمكان .

أما فيضان ألمه وحزنه ، فقد وصل إلى ذروته عندما استشهد الفريق أول عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية فى موقع قتالى متقدم على جبهة القتال أثناء حرب الاستنزاف وهو حزن وصفه القريبون منه بأنه أكثر مرارة من أى مرة ، فقد فيها قريبا عزيزا على قلبه .

يرسمون أيضا - صورا مختلفة لعبد الناصر الديكتاتور ، المتشبه بـرايه والمصر على وجهة نظره ، أو ما يعتقد أنه الصواب ، وتلك - أيضا - أكثر الصور المزورة والمتداولة عن عبد الناصر ، فلم يكن الرجل متصليا فى رأى ، ولم يكن هدفه من أية مناقشة أن يدلل على سلامة وجهة نظره ، وعطب آراء غيره ، بل كان هدفه فى كل حوار أن يصل إلى الصواب ، ولهذا كان مستمعا من طراز فريد ومناقشا من الدرجة الأولى ، وما أكثر المرات التى رايت فيها جمال عبد الناصر وهو يتراجع عن رأى كان قد أبداه فى بداية نقاش بعد أن استمع وأنصت وتأمل .. فلم يكن يخشى أو يكابر من أن يبدو رأيه فى موضع الخطأ ورأى غيره فى موقع الصواب ، وكان فى مناقشاته هادئا لا يظهر انفعالا ، ولا تشبها نهائيا باقتناع ولا يسخر من غيره حتى إذا كان قوله يستحق أن يتهم عليه .

والذين يقولون أن أعضاء الوزارة لم يكونوا متحمسين لمناقشته أو ابداء آرائهم فى اجتماعات مجلس الوزراء برئاسة يذكرون نصف الحقيقة ، فمن المؤكد أنه كان من الصعب على الوزراء الذين يعملون مع عبد الناصر أن يناقشوه ولكن ذلك لم يكن يرجع إلى أنه كان يضيق برأى معارض أو مختلف أو أنه كان يتعمد مصادرة رأى غيره ، أو يخلق فرص الحوار ، فالحقيقة أنه كان يلح على الآخرين ومن بينهم الوزراء لكى يبدوا بأوسع مدى ممكن وجهات نظرهم وأن يناقشوه فيما يطرح من تقديرات ، ولكن ذلك كان يبدو دائما مغامرة غير محسوبة ومحفوفة بالمخاطر .. إذ

كان كل وزير يدرك عن يقين أن جمال عبد الناصر قد دخل إلى اجتماعات المجلس ، وقد درس كل قضية وكل ما يتعلق بسلبيات العمل أو أوجه قصوره ، وبالتالي فليس ثمة فرصة لتغطية عجز أو قصور .

ولم يضيق جمال عبد الناصر مرة واحدة برأى مخالف لرأيه تم عرضه عليه ، كما أنه لم يصادر وجهة نظر كانت تتلمس طريقا صحيحا إلى الصواب الذى كان همه الحقيقى فى كل حوار أو مناقشة كما قلت .

ولم يكن فى جمال عبد الناصر أى حس ثأرى ، ولم يتعامل مع غيره بهذا الحس

مهما كان الخطأ أو كانت الخطيئة ، بل أستطيع أن أقول أن جمال عبدالناصر كان شديد التسامح ، وكان تسامحه لا يسمح بأن تتكون في داخله الضغائن ، ولم تكن أية محاكمة مما أقامها للذين خرجوا على نظامه هدفها الانتقام ، بل كان يقول دائما : « نحن نشد الأذن فحسب لأن هدفنا ألا يخطيء الناس » ، ولم يكمل أحد فترة الحكم عليه ولم يخرج أحد من سجنه دون أن يعيده إلى وظيفته أو يتلمس له وظيفة جديدة ، وفيما أعرف ، فلم يلجأ أحد ممن أضيروا إلى جمال عبدالناصر إلا أنصفه ، وأصلح من وضعه ولم يطلب منه أحد سؤالا أو حاجة ورده دون أن يجيبه .

كانت ذاكرته تختزن كل شيء ، الوقائع والأحداث والألوان والأشخاص ومئات التفاصيل الصغيرة ، ولهذا كان دقيقا جدا في عمله ، يقرأ كل ورقة ترفع إليه ، وكل تقرير ويرد تفصيلا على كل مذكرة ، وعندما كنت أرفع إليه تقارير التنظيم الطليعى التى تغطى محافظات مصر بشكل يومية كان يرد عليها فى اليوم نفسه ، ولم يكن يرد على كل تقرير ككل وإنما كان يكتب ويؤشر ويتخذ القرارات أمام كل بند من بنود كل تقرير على حدة ، وفوق كل ما يقرؤه من مئات الصفحات التى تشكل تقارير أجهزة الدولة المختلفة إليه يوميا ، فقد كان قارئاً مثقفا من طراز فريد ، فلم يصدر كتاب مهم فى العالم أو فى مصر إلا وكان عبدالناصر فى مقدمة قرائه ، محرضاً غيره على قراءته ، لقد أمر جمال عبدالناصر ذات يوم فى أعقاب هزيمة ١٩٦٧ بأن تجمع له جميع الكتب التى تصدر فى جميع أنحاء العالم عن حرب ١٩٦٧ وكان عدد الكتب التى جمعت وقراها عن الهزيمة وحدها ١٤٨ كتابا وحين فرغ من قراءتها أرسلها إلى الفريق أول محمد فوزى ليقرأها ثم فرض عليه أن يناقشه فيها كتابا بعد كتاب .

أريد أن أضيف أيضا ، لأولئك الذين لم يعرفوا جمال عبدالناصر عن قرب أنه كان يحكم نفسه بمجموعة متسقة ومتماسكة من قواعد الأخلاق والمثل العليا وأنه لم يخرج عنها يوما ، كان سياسيا محترفا ولكن السياسة بالنسبة له لم تكن لعبة خارج نسق القيم والأخلاق ، فلم يتلون جمال عبدالناصر ولم يظهر بوجهين ، وإنما كان واضحا صريحا مباشرا يظهر ما يبطن ، ويقول ما يؤمن ، ويدافع عما يعتقد حقا أنه الصواب ، صادقا مع نفسه ومع من حوله ، ومع الناس جميعا .

واعتقد - أيضا - أن مصر قبل جمال عبدالناصر قد دفعت ثمننا لمنظومة القيم التى آمن بها ومارسها جمال عبدالناصر ، كما دفعت ثمن جانب آخر فى بنائه وتكوينه الشخصى ، قد لا يعرفه إلا الذين اقتربوا منه إلى حد الالتصاق به .

كان جمال عبدالناصر تأسره الأشياء التى يعاشرها قبل الأشخاص وكان فى تكوينه شيء يسمح بسطوة الألفة التى تفرضها عليه حرارة صلته بما يلمسه بحواسه أو يتلامس معه بوجوداته .

من يصدق أن جمال عبدالناصر احتفظ بساعة يده التى حوصر بها فى

الفالوجا ، وشاركت ساعده ضبط التوقيت ليلة الثورة ، وأنها ظلت فى مكانها بيده لسنوات طويلة .

ومن يصدق أن جمال عبدالناصر لم يتخلص من سيارته الأوستن الصغيرة التى كانت وسيلته للتنقل قبل الثورة ، وحتى عندما تاكلت وانتهت أصر أن توضع فى جراج رئاسة الجمهورية لتكون قريبة منه وقد ظلت فى مكانها سنوات بعد رحيله عن عالمنا .

شئ من هذا كله يصلح تفسيراً وحيداً لعلاقات جمال عبدالناصر بعدد من الأشخاص وبسطوة الألفة التى مارسها هذه العلاقات عليه ، ولا أظن أن علاقته بعبدالحكيم عامر فى تقديرى تبعد كثيراً عن معانى وأسباب هذه السطوة ..

استعيد الآن آخر لقاء بينى وبين قائد الثورة .. كان عائداً على عجل بالقطار من مرسى مطروح بعد لقاء مع العقيد القذافى ليحاول أن يلم تداعيات الموقف ، أبان أزمة منظمة التحرير مع الأردن الشقيق فى سبتمبر ١٩٧٠ ، وصلت الإشارة من مرسى مطروح بأن الرئيس سيتوقف بالقطار فى محطة المنتزه ليكمل سفره إلى القاهرة بالسيارة وأنه يطلب ألا يكون فى استقباله أحد إلا المحافظ فقط .

ووقفت فى محطة المنتزه وانتظرته ، وحين هبط من القطار كان على وجهه سيماء حزن طاغ ، كان وجهه ينطق بكلمات قدر لى أن أسمعها منه قبل ذلك بشهور قليلة .

« إنهم يريدون أن يحطمونا .. يريدون أن يدمرونا ..

لم يعد أمامنا طريق سوى أن نحارب وحتى لو نجحوا فى تحطيمنا فى هذه الحالة فسوف يحطموننا ونحن شرفاء ، ...

ومن المؤكد أن جمال عبدالناصر مات وهو فى قلب ساحة الشرف خلفاً وراءه مجداً عظيماً لشعبه وأمتة وللإنسانية جمعاء ، رغم أن جسده وجسد وطنه كان مثخناً بالجراح .

عن معضلة العمل السياسى فى بلادنا

إذا قدر لى أن ألخص جميع الأخطاء التى وقعنا فيها فى كلمات قليلة لقلت :
غياب العمل السياسى ..

وإذا قدر لى أن أختار مفتاحا لحل جميع المشكلات التى نعانى منها الآن لقلت
أيضا : العمل السياسى ، ودون عمل سياسى صحيح .. فسوف تبقى المبادئ
والنظريات باردة ومعزولة عند القمة .. وسوف تبقى جميع الأمراض المزمنة فى
حياتنا من البيروقراطية إلى السلفية ومن الأمية إلى السلبية والانتكالية تعيث فيها
فسادا .

كان جزءا من مشكلة الثورة ، ومن مشكلة جمال عبدالناصر أن القرارات تهبط
من أعلى إلى أسفل تماما كنهر النيل الذى يفيض من الجنوب إلى الشمال وعلى كل
مزارع أو فلاح أن ينتظر عند قوس أرضه ، ضاقت أو وسعت موجات المياه لتغمر
وتزرع وتخضر .

مع الأسف فإن العمل السياسى فى بلادنا لم يحرث الأرض ، ولم يتعمق بين
خلاياها ولأنه كان دائما مجرد مسح خارجى ، فقد جمع من الأوراق الجافة
والحشائش أكثر مما جمع من البراعم والبذور ، ولهذا تكررت التنظيمات السياسية
فى مسيرة الثورة من هيئة التحرير إلى الاتحاد القومى إلى الاتحاد الاشتراكى ، ثم
حزب مصر بعد ذلك ، وجميعها تنظيمات صدرت بتعليمات من السلطة وتبوأ
مقاعدها الأشخاص أنفسهم تقريبا منذ البداية إلى النهاية ، وأيا كانت المبادئ أو
المذاهب أو التوجهات ، وللحقيقة فقد تحولت التنظيمات السياسية دائما إلى جهاز
إدارى تابع للسلطة ، تستغل إمكاناتها ، أى تعيش بقوة السلطة الحاكمة لا بسلطة
القوة الذاتية .

ويقينا فإن شيئا من ذلك قد انعكس على موقف الجماهير من الأحزاب . التالية
بعد أن أصبحت هناك تعددية سياسية فى مصر .

إننى لست أقصد بالعمل السياسى النزول بالخطب والمبادئ والنظريات إلى
الشارع .. فى شكل مؤتمرات أو حوارات أو مناقشات لأنه كثيرا ما نزلت الخطب
والمبادئ ولم تمثل فى النهاية سوى دور « دون كيشوت » فى رواية سيرفانتس

الشهيرة .. حلقات من دراويش السياسة يقتصر دورهم - مثله - على مقابلة طواحين الهواء .

ما أقصده بالعمل السياسى ، هو قوة الدفع التى يقوم بها المؤمنون الذين يندبون أنفسهم تطوعا ودون منافع ذاتية ليثيروا حماس الناس على أن يغيروا واقعهم ، وبجهودهم الذاتية ، ذلك أن هدف العمل السياسى الحقيقى هو تحقيق آمال الناس فى غد أفضل بإرادتهم وإصرارهم على التغيير .

إن العمل السياسى يستطيع أن يصحح كثيرا من الأخطاء ، وأن يخفف كثيرا من معاناة الناس وأن يساعدهم على احتمال أعباء الحياة اليومية .

بل إن العمل السياسى وحده هو الكفيل بأن يجعل تحمل الناس للأعباء موضع تقبل مادامت هذه الأعباء فى موضع تفهم أو فهم ، ثم إن ذلك كله مرتبط فى النهاية بمعدلات إنتاجية الناس التى لا ترتفع بالحوافز المادية وحدها .

سأسمح لنفسى بأن أستعيد جانبا من تجربتى فى العمل كمحافظ لمحافظة أسىوط والاسكندرية ، حتى لا يظل الحديث عن ضرورة العمل السياسى مجرد حماس نظرى خالص .

لقد كان أول صوت سمعته من محافظة أسىوط هو صوت سكرتيرها العام عمر عبدالآخر (محافظ الجيزة حاليا) وهو يسأل عن موعد وصولى إلى أسىوط ، ورجوته ألا ينقل الموعد إلى أحد ، ولكنه طلب أن يخبر الأخ نائل شوكت الجمال رئيس مدينة أسىوط (المحافظ بعد ذلك) وكان سبب طلبى أنتى فوجئت وقبل أن أغادر القاهرة ودون أن تكون لى صلة بأحد فى أسىوط بصفحة إعلانات فى الأهرام ترحب بتعيينى محافظا واعتبرت هذا الإعلان نوعا من النفاق أستهل به عملى كمحافظ .

لكن الصدمة كانت أكثر قسوة بالنسبة لى عندما وصلت إلى أسىوط ، فقد وجدت بعد ١٤ عاما من الثورة أكثر سوءا من الحال الذى تركتها عليه عام ١٩٣٦ عندما كنت فى العاشرة من عمرى .

كنا فى أوج المد الثورى ولكن شيئا من أصداء ذلك كله لم يكن قد استوطن أسىوط أو وصل إليها وكأن الثورة قد اختارت أن تقيم فى القاهرة وحدها ، بل إننى لاحظت بعد أيام معدودة أن هناك سحابة ثقيلة من كآبة تخيم فى عيون الناس جميعا .

كنت فى أمانة التنظيم الطليعى قبل أن أجيء إلى أسىوط وكانت كل التقارير تصب عندى ، ومن خلال مئات الوقائع اليومية كنت أشعر بأن كثيرا من الثوار قد أصبحوا حكاما .

اثارنى عندما وصلت أيضا - أنهم كانوا قد اختاروا للعيد القومى لأسيوط يوم زيارة جمال عبدالناصر لها ، ولم أستطع أن أزدرد هذا النفاق .

حاولت أن أناقش المسألة على أساس أن العيد القومى ينبغى أن يكون ذكرى حدث وطنى ضارب بعمق فى التاريخ ، ويمثل نبراسا هاديا ودليلا على البذل والكفاح ، فاقترح البعض ثورة ١٩١٩ على أساس أن الاستعمار قد أعدم مأمور بندر أسيوط وكان اسمه كامل ، واكتشفت أن أصحاب الاقتراح قد ظنوا أن المأمور الشهيد هو أبى !

لقد اخترت فى النهاية يوم ١٨ أبريل ١٧٩٩ ، حيث دارت رحى معركة بنى عدى حين حاول الفرنسيون أن يستولوا على القرية فلم تسلم ، أمام وابل قنابلهم ورصاصهم ، ولم يتمكن جنود الحملة الفرنسية من دخول القرية إلا بعد أن أحرقوها بالكامل وتفحمت جثث رجالها ونسائها تحت الانقاض ، وقد أصبح هذا اليوم بالفعل هو العيد القومى لأسيوط .

كانت الحياة فى أسيوط قاسية ، وقد علمت هذه القسوة الناس أن يكونوا أيضا قساة مثلها ، فهم لا يعطون ثقتهم بسهولة ولا حبهم بسهولة ، بل ولا حتى ابتساماتهم بسهولة .. كانوا يخشون السلطة لأنها ظلت بالنسبة لهم أداة قهر وردع ، وكنت أسأل نفسى : هل يمكن أن ينجح العمل السياسى فى تحويل هؤلاء الناس إلى أصدقاء للسلطة ؟

كانت المهرجانات والأعياد إحدى وسائلنى التى أريد أن أصل بها إلى قلوب الناس وإلى تعميم قدر من الفرحة العامة وحتى أوضح أكثر ، فقد كان عيد الثورة لا يتم الاحتفال به إلا فى القاهرة والاسكندرية فقد كان المسئولون ينتقلون إلى القاهرة من جميع الأقاليم وكأن الثورة كانت حكرا على القاهرة والاسكندرية وحدهما .

وحاولت أن أجعل الناس تشعر بالعيد فى أسيوط ، فجعلت موسيقى الجيش والشرطة تمر لتعزف فى الشوارع ونزلت بمفردى مستترا لأرى أثر ذلك على الناس ، ولدهشتى الشديدة وجدت أن مواكب الموسيقى والمهرجانات لم تمس شيئا فى الناس ، فقد كانت الموسيقى تمر بموكبها المزركش على أبواب المقاهى بينما كان الجالسون عليها يواصلون لعب الطاولة دون أن يعيروا ما يمر بجوارهم التفاتا أو يسألوا حتى عن سببه .

كان يفترض أن يكون الحكم المحلى - خاصة فى محافظات الجنوب - أداة لتعويضها عن حرمان تاريخى طويل ، فخلال الاحتلال الانجليزى لم تول هذه المحافظات أى اهتمام يذكر ، فلم تقم بها أية صناعات ، ولم تعبد شبكات طرق ، ولم تبني أية أبنية لخدمات عامة على نقيض الوجه البحرى الذى مثل مزرعة القطن لمصانع لانكشير الانجليزية فمدت الطرق وعبدت ، وحتى عندما جاء طلعت حرب

وحاول أن يقيم قواعد نهضة صناعية تركزت الصناعة كلها فى القاهرة والوجه البحرى ، ومع الأسف فقد كنت أرى بعد ١٤ عاما من الثورة - أن هذه المحافظات قد تركت على حالها مع تقدم طفيف فى مجال الخدمات الصحية والتعليمية .

أتصور أن تبعة ذلك تقع على عاتق الذين تولوا مسئولية التخطيط الصناعى مع الثورة ، فقد كانت خططهم مشبعة بالنظرة الاستعمارية القديمة ، فتمركزت المشروعات الصناعية فى القاهرة والاسكندرية وحرم الصعيد تماما من أية صناعات تقام على أرضه ، بل إن هذا التخطيط الصناعى القاصر ترتبت عليه خطيئة أخرى دفعنا ثمنها باهظا لها ، فيما صرف من أموال طائلة بلغت البلايين من الدولارات للصرف على البنية الأساسية فى القاهرة والاسكندرية التى لم يدخل التخطيط الصناعى فى برامجه قدراتها على الاحتمال دون انهيار ، ولم تكن تلك هى حدود الأخطاء المترتبة على هذا التخطيط القاصر ، فقد تم النظر إلى الصناعة على أنها تنمية انتاجية فى اغفال كامل لنسق آخر وهى أنها تنمية اجتماعية أيضا ، مما جر علينا أغلب المشكلات التى نعانى منها الآن .. فتركيز الصناعة على القاهرة والاسكندرية جعلها مركز جذب للعمالة مما أدى إلى الأفواج المتصلة من الهجرة من الريف بما ترتب عليها من تضخم سكاني رهيب ، أدى إلى انهيار فى الخدمات ، وأزمات فى الاسكان وتصحر للأراضى الزراعية حول المركزين الكبيرين ، ثم ما صاحب ذلك كله من آثار رهيبة تحملتها الزراعة وتحملها منطق التنمية الاجتماعية فى شكل اختلالات مركبة أوضح صورها ذلك الاختلال بين الشمال والجنوب .

وحتى أكون منصفاً فقد كان الشاهد الوحيد على ما أقول هو إقامة مصانع الألومنيوم فى نجع حمادى فهو التجربة الوحيدة لتأثير الصناعة بشقيها الإنتاجى والاجتماعى .

كانت المشكلة الثانية التى تمت معالجتها بنظرة شكلية قاصرة وبتخطيط مأزوم هى مشكلة التعليم ، وقد أثر التخطيط القاصر على نتائج العملية التعليمية وحتى الآن ..

كنا نفخر بأننا نقيم ثلاث مدارس كل يوم ، وكأن الحل يكمن فى بناء مخازن أو مستودعات يوضع فيها التلاميذ بضع ساعات كل يوم ، وتحول التعليم بذلك إلى وسيلة لتلقين المعلومات ، لا إلى وسيلة تربية لعقول وأجسام ونفوس التلاميذ ، لقد تعجلنا ولم نراع قدراتنا على إعداد المدرس الجيد والمدرسة الجيدة ، وعلى خلق ظروف لعملية تعليمية متكاملة ، وكانت النتيجة اضمحلال الرياضة واندثار الثقافة والفنون ، وجيوشا من الخريجين الذين تعطلت فيهم قدرات الإبداع والاجتهاد .

ولذلك تحمست فى بداية تجربتى فى أسبوط إلى الاجتماع بمديرى التعليم وعرضت عليهم أن نعود بالمدرسة إلى اليوم الكامل حتى تتاح الفرصة للتلاميذ

للتعلم وممارسة الأنشطة المختلفة ، وقررنا أن نبدأ بمدرسة واحدة كان سيجرى افتتاحها وقمنا بإعدادها على هذا النحو لكن المشكلات بدأت تترى .. لا ميزانيات للنشاط ، لا مطاعم ، لا ميزانية للتغذية ، لا مدرسين للأنشطة .. لا ... لا لا وجود لكل ما يحتاج إليه تحول المدرسة إلى نظام اليوم الكامل وأصررنا على التنفيذ .. اقتطعنا بعض المعونات من صندوق الخدمات ، استخدمنا بعض معونات التغذية بشكل أفضل .. ولكننى مع الأسف تركت أسيوط قبل أن تستكمل هذه المدرسة .

كانت القاعدة الأساسية التى أخذت أعتمد عليها هى جامعة أسيوط فقد كانت أول جامعة تخرج عن القاهرة والاسكندرية ، ويرجع فضل انشائها إلى الدكتور سليمان حزين الذى لولا إصراره وبقاؤه فى أسيوط محارباً ومناضلاً ما كتب لهذه الجامعة أن تقوم والذى أكد بسلوكه العملى أن النهضة الحقيقية تحتاج إلى أن يساندها علماء أفاضل يقودون المجتمع نحو الأفضل والأرقى .

ولست أستطيع حتى لو حاولت أن أقدم حصراً بالخدمات التى استطاعت جامعة أسيوط أن تقدمها للمجتمع من حولها بفضل جهود وتعاون أساتذة واعين ، كان فى مقدمتهم د . عبدالوهاب البرلسى ، ود . محمد ماجد فخر ، ود . سمير الباجورى ، ود . عصمت شحاته ، ود . زهير نغمان ، ود . كمال العقاد ، ود . حمدى النشار ، فلم يخلوا على جميع مراكز المحافظة بالتنوير الفكرى والسياسى ، كما قاموا بالإشراف على المستشفيات العامة ، فقد وضع المستشفى الأميرى فى أسيوط تحت إشراف الجامعة ، وتحول مستشفى المبرة الذى كان نموذجاً لتخلف الرعاية الصحية فى الصعيد إلى أفضل وأرقى مركز علاجى فى صعيد مصر كله ، كما أقيمت عيادة شاملة للعلاج بأجور رمزية .. وكم ساهم علماء كلية الهندسة فى إصلاح وتطوير أى وحدة إنتاجية عاطلة على مستوى المحافظة ..

بل أذكر أن أحد ضباط الشرطة فى المحافظة قد مرض واتصل بى السيد زكريا محبى الدين وكان وزيراً للداخلية يطلب منى أن أرسل باقة زهور باسمه إليه ، وحين كلفت سكرتيرى بذلك وقفت مشدوها فقد اكتشفت أن محافظة أسيوط كلها خالية من أية زهور !

وحول منزل المحافظ كانت هناك حديقة وملعب تنس قررت بعدها أن يتم تحويلهما إلى مشتل للزهور ، واتسعت مساحات الزهور بعد ذلك حتى أننا زرعنا بها كل الميادين والشوارع الرئيسية ، بل ولم نتوقف عن إقامة معارض موسمية للزهور .

كان حجم المشكلات فى أسيوط كبيراً جداً ، بسبب إهمال وتخلف عانى منهما ريفنا لأوقات طويلة ، كان إيمانى أنه يمكن بالجهود الذاتية أن يفعل الكثير ، ولكن شيئاً لن يحدث دون تعاون الناس ودون إيمانهم بماخضفعل .. ولم أكن أسعى إلى

الفئة العالية الصوت بينهم ، إنما كان ما يعينني الأغلبية الصامتة التي إذا تجمعت وتحمست تستطيع أن تفعل المعجزات ، وبدأت أبحث عن مركز تجمع نشد إليه نشاط الشباب ولم يكن هناك سوى « ناد » وحيد ضعيف المستوى ، فقررت تسليمه إلى معهد التربية الرياضية في ساحل سليم ، وبدأ التغيير الشامل يدخل إلى النادي وتحول بحجمه الصغير إلى مركز إشعاع حضارى للشباب والكبار بل لم يكن في أسيوط كلها مطعم واحد يمكن أن تدعو إليه أحدا أو تقيم به حفل غداء أو عشاء ، وتحول النادي بمطعمه الفاخر إلى مركز اجتماعي ، وقام فريق من شباب الجامعة بالعزف فيه أسبوعيا ، كان الذهاب إلى النادي كالمقهى للرجال فقط وقررت أن أصطحب زوجتي وحدي أولا ، ثم سرعان ما تقاطرت العائلات والزوجات ، وبدأ الجميع يمارس الرياضة ، وبسبب هذه الحياة الاجتماعية الجديدة كان طبيعيا أن تبدأ ثلاث محلات « كوافير ، العمل في أسيوط دفعة واحدة ، فقد انتقلت العدوى إلى النوادي الأخرى وبدأت نوادي الشرطة وهيئة التدريس تحسن أحوالها .

من أين جاء التمويل ؟

أود أن أؤكد أن التمويل في أحيان كثيرة ليس هو العقبة الأولى وأنه يمكن بقليل من التفكير والجهد توفير اعتمادات مناسبة يبدو توفيرها صعبا أو مستحيلا ..

في كل محافظة من المحافظات هناك صندوق خدمة يجمع حصيلته من المحصولات الزراعية ، وكان استخدام أموال هذا الصندوق يتم بأمر المحافظ حتى يوفر له سيولة سريعة للإصلاحات العاجلة ، وكان تقديري أن أغير من أسلوب الصندوق حتى أضمن عائدا متجددا ، بأن تحول أمواله إلى مشروع إنتاجي يدر ربحا ثم يكون الصرف على الأوجه المختلفة من عائد هذا الربح لا من رأس المال الأصلي للصندوق .

وكان أول عمل قمت به هو إخضاع الصندوق لرقابة ديوان المحاسبة ثم بدأت أفكر كيف يمكن أن نستثمر أمواله بشكل يعود بالفائدة على معظم أهالي أسيوط الذين هم أصحاب هذه الأموال .

فقد كنت أرى أن إنفاقى لأموالهم في مظهرية التبرعات هو نوع من الاستغلال ، وقررت أن أربط هذا الاستثمار بمحاولة حل أهم مشكلة واجهتنا وهي مشكلة الإسكان ، كانت تصاريح الحديد والأسمنت الخاصة بالمحافظة تباع في القاهرة أو في الطريق بين القاهرة وأسيوط دون أن تدخل هذه المواد إلى أسيوط وكان على الذين يريدون حديدا وأسمنتا أن يحصلوا عليهما من السوق السوداء وهكذا ارتفعت أسعار البناء إلى أرقام فلكية .

كان حل المشكلة يبدأ بأن توفر الحديد والأسمنت بأسعار الدولة المعلنة ، وكان هذا هو أول استثمار لأموال صندوق الخدمات فقد تحول الصندوق إلى المستورد:

الوحيد للحديد والأسمنت من القاهرة ، وبدأت المواد تصل إلى أسيوط وبدأت تراخيص البناء وأخذنا نصرف الكميات على دفعات وبعد أن نتحقق من استخدام ما تم صرفه في البناء بالفعل ، وانتشرت حركة البناء في أسيوط حتى أننا بعد عام واحد واجهتنا لافتات : « للإيجار » التي كانت أثرا منقرضا من آثار الماضي ، ولم يتوقف دور الصندوق عند توفير الحديد والأسمنت بل قام بتوفير الخشب والمواسير والزجاج وغيرها وبالأسعار المحددة لها ، وبذلك قام القطاع الخاص بسد احتياجات أسيوط من الإسكان في وقت قياسي وبأسعار معتدلة .

وبدأنا في استخدام الأرباح التي توافرت لنا في سد احتياجات كان لا يمكن أن نجد لها اعتمادا ماليا ، تأثيث نادي أسيوط الرياضي وتطويره ، شراء عربات نقل لمكتب مواد البناء ، إقامة مشاتل وحدائق وناظورات في ميادين أسيوط ، تطوير نوادي المراكز ، ثم بدأنا ندخل مجالات أخرى لاستثمار أموال صندوق الخدمات فقد بدأنا نشاطا لتوفير السلع المختلفة للمحلات التجارية من الأقمشة حتى السلع المعمرة إلى الأدوات الكتابية وبالأسعار المحددة وازدادت الأرباح وانتعشت الحركة في الأسواق ، وزادت عربات النقل فأنشأنا مكتبا خاصا للنقل ساهم في حل أكثر من مشكلة ، كان من بينها - مثلا - أن في أسيوط أكبر محطة لتعبئة الموالح ولكنها لا تعمل رغم أن منطقة البداري هي من أحسن المناطق في العالم إنتاجا للموالح ، اكتشفنا أن المشكلة مشكلة أدوات نقل وأدوات تعبئة ودخلنا للحل ، واستطعنا أن نصدر في هذا العام حوالي ٤٠٠٠ طن ، وانعكس ذلك على المحطة نفسها فبدأنا في تطويرها ثم نجحنا في تشغيلها طوال العام لسلع مختلفة .

كانت هناك محطة للدواجن في أسيوط ، ولكنها تستورد العلف من القاهرة وبسبب أسعار الشحن كان الإنتاج محدودا وعالي الثمن فقمنا بتجميع مصانع العلف الصغيرة في أسيوط في مصنع واحد كبير واتفقت مع د . زاهر على أن يقوم مصنعنا الصغير بتوريد العلف إلى محطة الدواجن وزاد الإنتاج على الجانبين حتى أننا أصبحنا نورد العلف إلى محطات الوادي الجديد والمنيا وهكذا .

لقد كتبت يوما إلى الرئيس جمال عبدالناصر أشكو إليه حال الطلاب في أسيوط ، فقد كانوا يعيشون على الكفاف ، غذاؤهم الفول والطعمية والبطاطس ومسكنهم الجراجات ولذلك توسعت في بناء المدينة الجامعية حتى استوعبت ٥٠٪ من إجمالي طلاب الجامعة ، وبقيت مشكلة التغذية ، وقد أرسل إلى الرئيس جمال عبدالناصر شيكا بمبلغ عشرة آلاف جنيه للمساعدة في تحسين أحوال هؤلاء الطلاب ، كان أول شيك في حياتي أراه مكتوبا باسمي بهذا الرقم وفتحت للمبلغ حسابا في البنك وأخضعته لرقابة الجهاز المركزي وأشرت مع د . عبدالوهاب البرلسي في البحث عن أفضل صيغة لاستغلال هذا المبلغ ، كان بعض الطلاب يحتاج إلى معونة عاجلة بالنسبة للكتب والملابس أما مشكلة الغذاء فكانت مشكلة رئيسية ، واتفقت مع د . البرلسي على أن يتولى صندوق الخدمة إدارة البوفيهات

والمطاعم الجامعية ، وأن تلغى المتعهدين للأغذية فى الجامعة ، وعلى أن تقوم الجمعيات الاستهلاكية والمزارع النموذجية لوزارة الزراعة ومعامل كليات الزراعة والمدارس الزراعية بإمداد الجامعة بالأغذية بسعر التكلفة ونجحنا بذلك فى توفير مئات الآلاف من الوجبات الغذائية لجميع طلاب الجامعة ، بسعر زهيد هو ٧ قروش للوجبة الكاملة ، ودون أن نحمل ميزانية التغذية المحدودة فى الجامعة أية تكاليف أخرى .

ولم تكن هذه الأعمال سهلة كما قد يبدو عند تدوينها أو قراءتها على الورق ، فقد واجهتنا حروب ضارية سواء من البيروقراطيين الذين حاولوا أن يهزموا كثيرا من مبادراتنا باللوائح الجامدة ، وسواء من المنتفعين الذين كالوا الاتهامات لنا والشكاوى الكيدية . ولكننا لم نتوقف ولم نتراجع ، كان مهما أن نغير المناخ أيضا ، وكان فى أسبوط قصر للثقافة لم يتم استكمالها ومديرية للثقافة كان يحكمها الروتين ، ولهذا طلبت أن يحضر إلى قصر الثقافة من القاهرة فنان يمكنه أن يحرك رسالة هذا القصر ، وسعدت يوم جاء إلى أسبوط الفنان هبة عنایت فسلمته القصر وطلبت منه أن يشع ثقافة على المحافظة كلها ، واخذ هبة عنایت الذى كان دعوبا نشطا يتحرك فى كل مكان ، ويفتح الأبواب أمام الشباب المتعطش للثقافة والفنون ، ثم وضعت تحت إشرافه مجلة المحافظة التى كنا أصدرناها بلا إعلان واحد والتى كانت تعكس نبض جماهير أسبوط فى مواجهة السلطة التنفيذية والمعوقات الإدارية والتى بلغ توزيعها ٢٠٠٠ نسخة كل أسبوع ، بينما كان ما يوزع فى أسبوط كلها من جميع المجلات الأسبوعية لا يزيد على ٢٠٠ نسخة ، وكم أثرى هبة عنایت هذه المجلة بلوحاته الرائعة دون أجر وانتعش قصر الثقافة وأصبح منارة للثقافة والفنون الجميلة جميعها من موسيقى ونحت وتصوير .

كان من أبرز المشكلات الاجتماعية فى أسبوط ذلك الفصل الكامل بين شرق النيل وغربه ، فلا اتصال بينهما إلا بالمعديات أو قناطر أسبوط حيث لا وجود لأى جسور تضم الضفتين ، كانت المشكلة الأكثر تفجرا أيضا إضافة إلى العزلة كثرة الإنجاب والثأر ، وقد رأينا أنه يمكن للثقافة أن تلعب دورا فى خلق وعى صحيح بذلك كله . وبدأنا بإنشاء مسرح للعرائس قام بتمويله صندوق الخدمات ولعب هذا

المسرح البسيط دورا كبيرا فقد تنقل بين جميع المراكز والقرى ، وكان الإقبال على عروضه لا مثيل له ، لدرجة أن منطقة البدارى حاصرت العرض بالبنادق وهددت باستخدام القوة إذا نقل العرض قبل أن تتاح للمركز كله فرصة مشاهدته .

كان العمل دعوبا وشعبيا فى كل اتجاه ، فى الزراعة بالمحافظة على توقيتاتها وبمكافحة الآفات ، وبالبحوث المتصلة بين الجامعة ومراكز بحوث وزارة الزراعة لزيادة الإنتاج وتقليل المفقود .. كان الشباب هو الدم الذى دفع الحرارة فى عروق وأطراف التجربة كلها وهو الذى تحمس لردم البرك والمستنقعات وتمهيد الطرق ، وإحياء مراكز الشباب ، وإقامة وإنشاء الجمعيات التعاونية الاستهلاكية ، وهو الذى أوصل الخدمات المتنقلة إلى أعماق القرى .

أريد أن أضيف أن نجاح العمل السياسى فى استقطاب جهد الناس وتفجير طاقاتهم وتجاوز أزمة التمويل التى يتم التعلل بها غالبا لعدم اقتحام كثير من المشروعات لم يكن يمكن أن ينجح دون أن يتم على قاعدة واسعة من العدل ودون دخول فى التفاصيل فقد طبقت العدالة أولا على بنى مر التى كانت بلدة الرئيس ، فعندما تأخر عم الرئيس (خليل) عن دفع الضرائب أمر بدفعها فورا فدفعها ، وعندما اعتدى عم الرئيس (طه) على أرض أحد الفلاحين أمر بردها فردها فورا ، ولم يفاتحنى يوما عبدالناصر فى أنتى عاملت أعمامه بخشونة أو بعنف ، ولم ينقل إلى شكوهم منى مرة واحدة ، عندما انتقلت بعد ذلك محافظا للاسكندرية وجدت مشكلة الصناعة ومشكلة التعليم مكبرة عشرات المرات عما ظهرت آثارها فى أسبوط ، فقد كان ثلث حجم صناعة الجمهورية قد وضعه التخطيط القاصر فى المحافظة ، وأذكر أنتى طلبت مقابلة مع عزيز صدقى وزير الصناعة فى ذلك الوقت ، وكان غرضى من الزيارة شيئين ، أن أرتب معه جدولا لزيارة شباب المحافظة إلى المشروعات الصناعية الضخمة وأن نبحث إمكان اشراك الصناعة فى تخفيف أعباء الإسكان والمواصلات والخدمات عن الإسكندرية ، وعندما وصلت فى الموعد حاول السكرتير أن يزيح الموعد ساعة ولكننى أصررت على أن تتم المقابلة فى الموعد السابق تحديده أو تلغى ، وحين دخلت على امبراطور الصناعة فى مصر وبدأت أشرح أسباب الزيارة فوجئت به يهاجم المحافظين جميعا على أساس أنهم يريدون أن يسيطروا على الصناعة ، ووجدت نفسى أقول له أنتى لو كنت أعلم أن هذا هو نمط تفكيرك ما فكرت فى طلب هذه المقابلة ، وأنهيت اللقاء كما بدأ متوترا بتأكيدى على أنه ليس مسئولا عن الخدمات بالمحافظات التى تأخذ حصتها من ميزانية الدولة ، فوجئت به وهو يقف خطيبا بعد بضعة أيام عند افتتاح مشروع جديد فى مصانع محرم (وكنت قد طلبت من رئيس مجلس إدارة شركة بتروال العامرية أن يخطط لمشروع احتياجاته من الإسكان والخدمات وأن يقدر ميزانية لذلك) وهو يقول :

أنه يحمل تحيات الرئيس عبدالناصر إلى العمال وأنه كلفه بحل مشكلاتهم وأن طلبات المحافظ فيما يتعلق بالإسكان يجب أن تنفذ باستخدام حصيلته من الأرباح لهذا الغرض .

بعد أن انتهت الزيارة جمعت رؤساء مجالس الإدارات وأعددت مشروعا متكاملا للوزير كان يتكلف بضعة ملايين بجوار تكلفة المشروع الذى كان فى ذلك الوقت ٨٥ مليون جنيه ، وجاء رد الوزير أن يتحمل ذلك كل رئيس مجلس إدارة بصفته الشخصية ، ومن يومها أحسست أن هذه المؤتمرات هى مجرد تهريج هدفها امتصاص غضب العاملين وتهويمهم فى وعود كاذبة ، وأن الوزارات تعمل كل منها منفردة كما لو كانت عبارة عن جزر منعزلة .

كنت قد بدأت عملى فى الاسكندرية باستقبال موجة الاضرابات الطلابية التى انتهت بالاعتصام ثم طلبت تدخل الجيش كما سبق القول ، وحين انتهت الأحداث

تبينت ضرورة أن يكون هناك عمل سياسى داخل الجامعة خاصة أنه لم يكن ثمة أثر لمنظمة الشباب بعد هزيمة ١٩٦٧ فقد انصرف الشباب عنها ، وبدأت عن طريق بعض الذين كانوا يعدون دراسات عليا ويعملون فى مكتبى فى تكوين مجموعات صغيرة من الطلاب والمعيدى من مختلف الكليات ، وبدأنا فى لقاء أسبوعى لنقاش سياسى جاد كنت أتولى الرد على أسئلتهم بصدق كامل ودون مداراة أو تبرير ، وبدأت الأعداد تزداد اتساعا وبدأت اجتمع بطلبة كل كلية على حدة ثم جمعتهم فى معسكرات ترفيهية فى اجازات الأسبوع ونصف العام وأشركت أعدادا منهم فى نادى سموحة وكان ضعيف العضوية وجعلتهم يساعدون الإدارة تطوعيا فى إدارته وقد نجح هذا التجمع الطلابى نجاحا كبيرا ولم يرق ذلك بعض الأساتذة فأخذوا يهاجمون الفكرة ، ولم ترق أيضا بعض أعضاء الاتحادات الطلابية فاتهموا المنخرطين فى هذا التجمع بأنهم جواسيس المحافظ ولكننى لم ألتفت إلى ذلك بل بدأت الفكرة تستقطب مزيدا من الطلاب حتى وصل عددهم إلى مئات الطلاب ، وقدر لقيمة هذا العمل أن تظهر سريعا حين فوجئنا بظهور وباء الكوليرا فى الاسكندرية الأمر الذى هدد المصيف كله ، أن ما قام به هؤلاء الشباب فى مواجهة الوباء عمل يجلب عن الوصف ، لقد تمكنوا من تطهير الاسكندرية كلها مرتين خلال أسبوعين ، وتمكنوا بالتعاون مع أعضاء منظمة الشباب من تطهير جميع خزانات المياه وساعدوا وعاونوا فى تطهير منازل المرضى وبثوا الوعى الصحى فى أحياء الاسكندرية الشعبية ، على المقاهى وفى الحارات وداخل الدكاكين والبيوت والورش ، وعاونوا فى التفتيش على المطاعم ، المهم أنهم قاموا بالكثير من الأعمال النافعة التى لم يكن يمكن للجهاز الإدارى أن يقوم بها ، كل ذلك بعمل سياسى تطوعى لم ينالوا عنه أجرا وكتب الله النجاة للاسكندرية بفضل هذا العمل .

كان الرئيس عبدالناصر على علم بهذه التجربة ، وعند حضوره إلى الاسكندرية ذات يوم سألنى : لماذا ترفض أن ينضم هذا التجمع الشبابى إلى التنظيم الطليعى ، فقد كان رأى شعراوى جمعه أن يتم ضمهم إلى التنظيم وكنت أخالف هذا الرأى ، ووافقنى الرئيس حين قلت إن ضمهم قد يشكل حساسية لأساتذتهم داخل الجامعة ، وأنهم لا يزالون فى مرحلة اختبار .

أما بالنسبة للتعليم الثانوى فقد أخذت فى تشكيل مجموعات من الطلاب للعمل معاون للشرطة وأطلقت عليهم أسم « اصدقاء الشرطة » وكان الهدف هو توثيق علاقة مبكرة بينهم وبين رجال الشرطة لإزالة تلك الحساسية الموروثة منذ القدم التى ترسم للشرطة فى عيون الناس دور أدوات السلطة لا سواعد الدولة والمجتمع ، ولم يقتصر عمل هذه المجموعات على القيام بتنظيم أعمال المرور فى الاجازات بل ومرافقة بعض دوريات الشرطة فى أعمالها المختلفة وتنظيم دخول وخروج الأطفال من المدارس ، وقد أضفى عمل هذه المجموعات على الاسكندرية خلال أشهر الصيف مشهد انضباط وجاذبية .

كان تقديرى فى الاسكندرية - أيضا - أن

العمل الثقافى والفنى النشط يستطيع أن يساهم فى دفع العمل فى شتى مجالات الإنتاج والحياة خطوات واسعة إلى الأمام ، ومع الأسف فقد كان النشاط الثقافى والفنى راكدا تماما ، كانت الاسكندرية تعطى تشجيعا للفرق القادمة إليها فى فصل الصيف عبارة عن بعض المعونات الرمزية وساعد ذلك على أن تكون الاسكندرية فى فصل الصيف منتدى لبعض الفرق الفنية بينما خلا فصل الشتاء تماما من أى نشاط ولذلك أصدرت قرارا ألا تعطى الفرق الفنية أية معونات إلا إذا حضرت فى فصل الشتاء .

بدأت بتشكيل فرقة مسرحية أشرف عليها المخرج حسين جمعة وقد قدمت مسرحية « شهرزاد » لسيد درويش وشاركت فيها السيدة منار أبوهيف وكان عرضا مسرحيا ناجحا .

وعندما التفت إلى قصور الثقافة فى الاسكندرية وجدت على حالة من الوحدة والإهمال وكأنها تنعى من بناها ، يكفى أننى وجدت قصر ثقافة الحرية وكأنه بيت العنكبوت ، أتربة وتآكل من الخارج وفراغ فى الداخل ، ولما لم تكن تكفى ميزانية الثقافة لإصلاح القصر فقد تعاون معنا قطاع المقاولات ، ولذلك أذكر بالفضل المرحوم حسن علام .. هذا الرجل الفاضل العظيم الذى كان مثلاً يحتذى به ، كان يفاخر بأنه بدأ عصاميا حتى أنجز شركة حسن علام والذى أبقت الثورة رئيسا لمجلس إدارتها بعد تأميمها اعترافا بفضله وكفاءته وأمانته ، وقد كان نعم المعين لى فى إصلاح قصر ثقافة الحرية وقصر ثقافة الأنفوشى ، وكان يشرف على الأول السيد محمد غنيم (وكيل وزارة الثقافة للعلاقات الخارجية حاليا) ويشرف على الثانى السيد فاروق حسنى (وزير الثقافة حاليا) ومهما قلت عما أبدع الاثنان فى عملهما فلن أوفيهما حقهما .

نجح فاروق حسنى فى أن يحول قصر ثقافة الأنفوشى الذى كان عشا دائما للغبار والفراغ ، إلى مركز إشاع ثقافى كبير ، ازدحم بآلاف الأعضاء من الشباب الذين يتزودون كل يوم بزاد ثقافى وفنى رفيع ، حدث أن فاروق حسنى نجح فى إقناع أوركسترا القاهرة السيمفونى بقيادة المايسترو السيسى بأن يعزف فى حى الأنفوشى أكثر أحياء الاسكندرية شعبية وكان انعكاس الموسيقى السيمفونية الرائعة على الوجدان الشعبى مفاجأة للكثيرين ، ومع تناوب الفريق السيمفونى وفريق الموسيقى العريق فى العزف اتسع نشاط القصر لكل أنواع الفنون الجميلة .

وكان محمد غنيم دائب النشاط فى قصر ثقافة الحرية حيث لم تتوقف الندوات الثقافية والشعرية ومعارض الكتب والاحتفالات بمشاهير الاسكندرية وعلى رأسهم فنان الشعب سيد درويش .

وكم التقيت بعد ذلك مع الأخ فاروق حسنى فى أعمال أخرى كانت كلها قمة فى النجاح بفضل درايته ونشاطه ودأبه .

ولم نترك الرياضة خاصة الرياضة البحرية ، وتعاون معى فى ذلك المرحوم الفريق فؤاد ذكرى وكان رئيسا لنادى اليخت ، والأخ جمال مختار (مدير الأكاديمية البحرية حاليا) حيث بدأت المسابقات الدولية لليخوت ، كذلك نادى التجديف فى المطار البحرى والطيران الشراعى فى مطار النزهة .

لقد كنت أتحدث عن أهمية العمل السياسى منذ البداية وقد يبدو أن جانبا كبيرا مما تحدثت عنه بعيد عن المفهوم التقليدى للعمل السياسى ، لكننى أود أن أؤكد أن كل ما سبق ذكره هو أعمال سياسية من الدرجة الأولى ، ولست أنسى يوم عاد الرئيس عبدالناصر من رحلته السرية إلى موسكو وقابلته فى الاسكندرية وطلبت إليه أن تأخذ الاسكندرية الأولوية فى الدفاع عنها بالصواريخ لأن بها الميناء الوحيد وبها خدمات البترول التى أصبحت المصدر الوحيد لإمداد مصر كلها ، بعد ضرب الزيتية فى السويس ، وقد قال الرئيس إنه يوافق على ذلك إذا تمكنت الاسكندرية من تنفيذ التجهيزات الهندسية اللازمة لقواعد الصواريخ بسواعدها وفى ظرف ستة أسابيع فقط .

ولا أحد يستطيع أن يقدر مدى الجهد الرائع الذى بذل فى صمت لتحقيق هذا الإنجاز خلال هذه المدة المحدودة ، ولكننى أريد أن أتوقف تحية وتقديرا لرجل مصرى ينبغى ألا ينسى عطاؤه لوطنه ، وهو المرحوم حسن علام الذى كان دوما فى مقدمة صفوف الذين يعطون فى صمت ودون انتظار عائد أو شكر .

وهكذا كانت الاسكندرية هى أول مدينة مصرية تحتضن صواريخ الدفاع الجوى فوق صدرها فى أصعب مرحلة من مراحل المواجهة العسكرية الشرسة مع إسرائيل .



ماذا يبقى ليضاف ؟

لم يكن قصدى فى البداية أو النهاية أن أسرد قصصا أو حكايات تعين على تسلية أو تدفع مللا .. ولكننى كنت أريد أن أضع أمام الأجيال الجديدة محصلة تجربة لعلها تعين وتنفع ، فتاريخنا يجب أن يكون متصلا وبلا فجوات ، وتجاربنا ينبغى أن تكون بنجاحها وفشلها قادرة على أن توصل ما بعدها إلى ربوة أعلى من النجاح دوما ، وإلا كان العمل الوطنى فى النهاية دوائر منفصلة يبدأ كل منها من نقطة مجهولة فى فراغ وينتهى كل منها إلى غيبوبة متصلة فى ركن متحف .

يؤسفنى أن أقول إننى لم أجد فى أى موقع تسبّلت مسئوليته على امتداد هذه المرحلة الطويلة ورقة واحدة خلفها من كان قبلى تشير إلى انجاز لم يكتمل أو إلى قصور لم يمكن تجاوزه أو إلى خطة عمل بقى فيها ما ينبغى أن يستكمل ، وكأن فىنا شيئا من بقايا هؤلاء الفراغة القدامى ، الذين كان يستهل كل منهم عمله بتحطيم

وطمس ما خلفه سلفه من نقوش على المعابد أو يبدأ مستهلا بأن ينسب لنفسه ما تحكيه النقوش الجدارية من إنجازات حدثت قبله .

أستشعر بعمق وبعد كل هذه السنوات أن المشكلة الأساسية لم تكن فى أى يوم من الأيام معلقة بالجماهير المصرية العريضة المنتجة ، وإنما كانت دوما مشكلة الصفوة ، فأمرضنا كانت دائما أمراض صفوتنا لا علل مجتمعا .. تلك الصفوة التى غالبت عزلتها ولكنها لم تغلبها ، ونجحت فى تحت مئات الشعارات ، ولكنها لم تنتم إليها كليا ، ولم تساعد الجموع الفقيرة على أن تتوحد معها ..

أليست مفارقة مدهشة ، أن يتمكن هذه الصفوة بنضال دعوب متصل من أن

تعيد صياغة الحياة على أرض مصر وتنجز أهم مهام التحرر الوطنى ثم تفشل فشلا ذريعا فى أن ترحزح نسبة الأمية عن ثلاثة أرباع المجتمع .. إنها مفارقة بالتأكيد ، ولكن تراها تبدو بعد ذلك مجرد مصادفة عشوائية ؟ !!!



مور و ثقافت

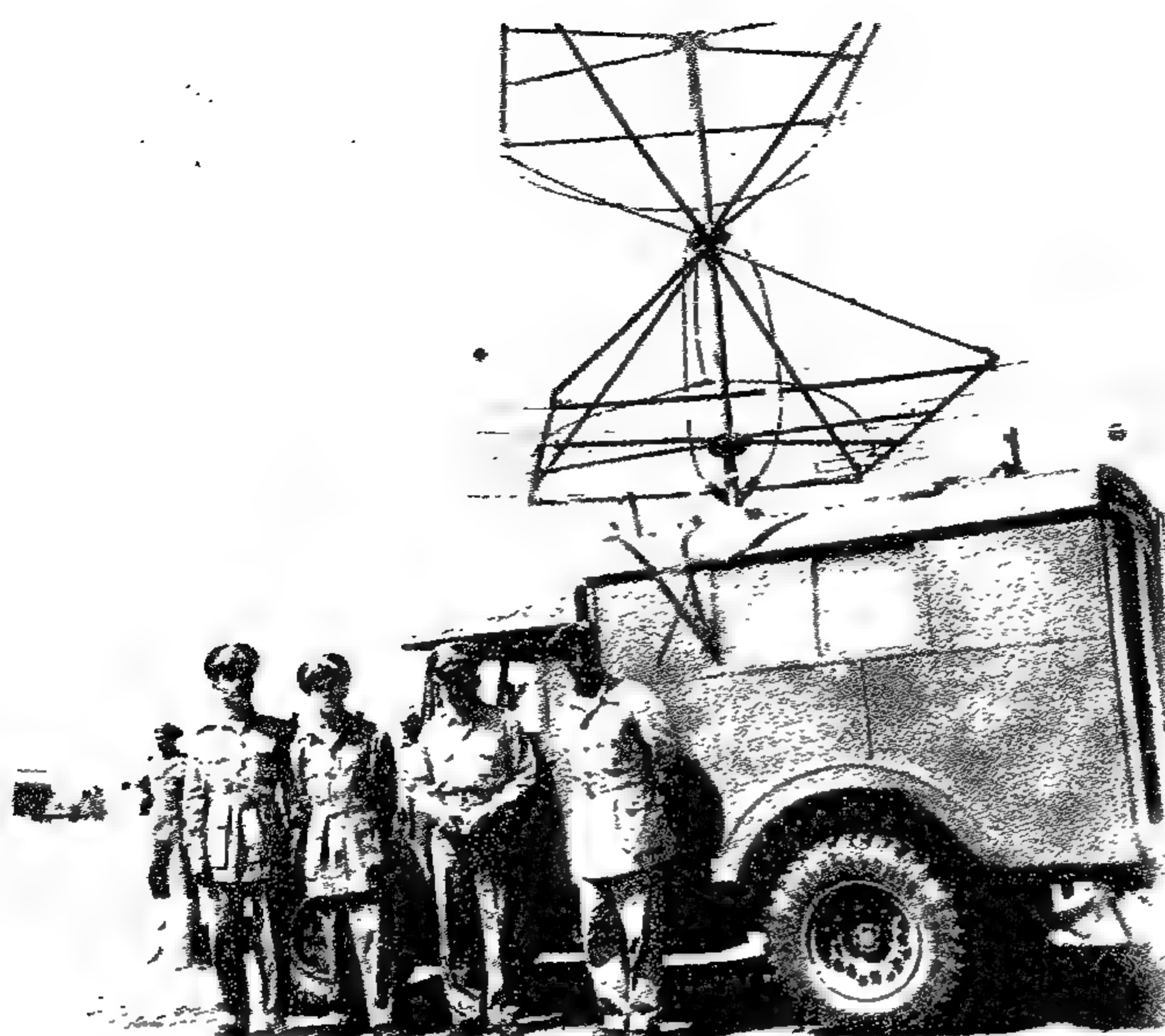




أحمد كامل في مناورة في الكلية الحربية عام ١٩٤٦

مع مصطفى فهمي عبدالمحسن في موقع م/ط ٢٠٧ في العريش عام ١٩٤٨





فی فلسطين مع جهاز
رادار عام ١٩٤٨



أحمد كامل في رفح عام
١٩٤٨

أحمد كامل مع عدد من
الضباط الأحرار ليلة
الثورة



مع الضباط الأحرار ليلة الثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

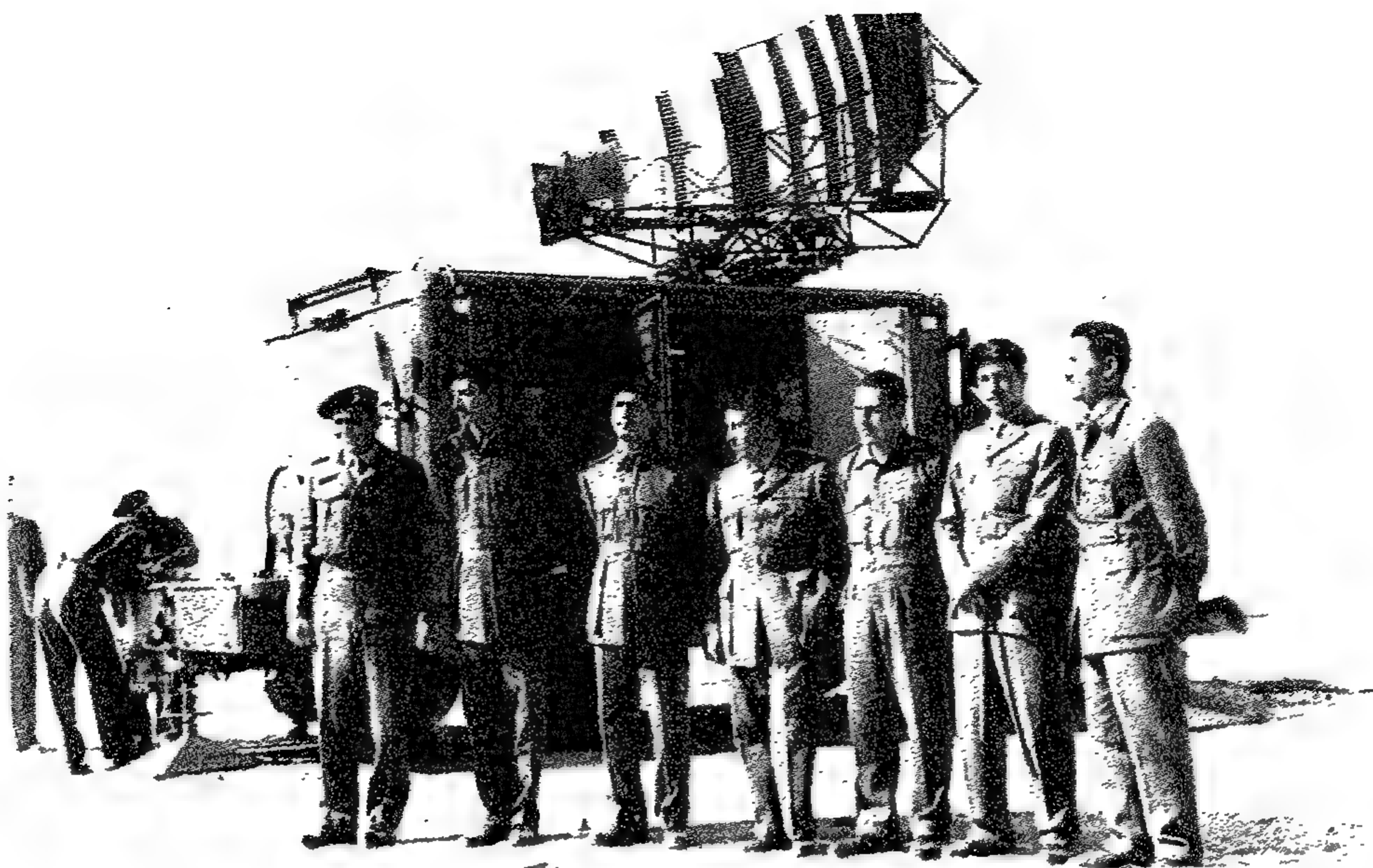




مع عبدالحكيم عامر في مناورة الجيش السوري في سوريا عام ١٩٥٩

في سوريا مع عدد من الضباط المصريين والسوريين أثناء الوحدة





مع ضباط جناح الرادار عام ١٩٥٨

مع ضباط.. موقع مضاد للطائرات أثناء حرب ١٩٥٦ في الاسكندرية

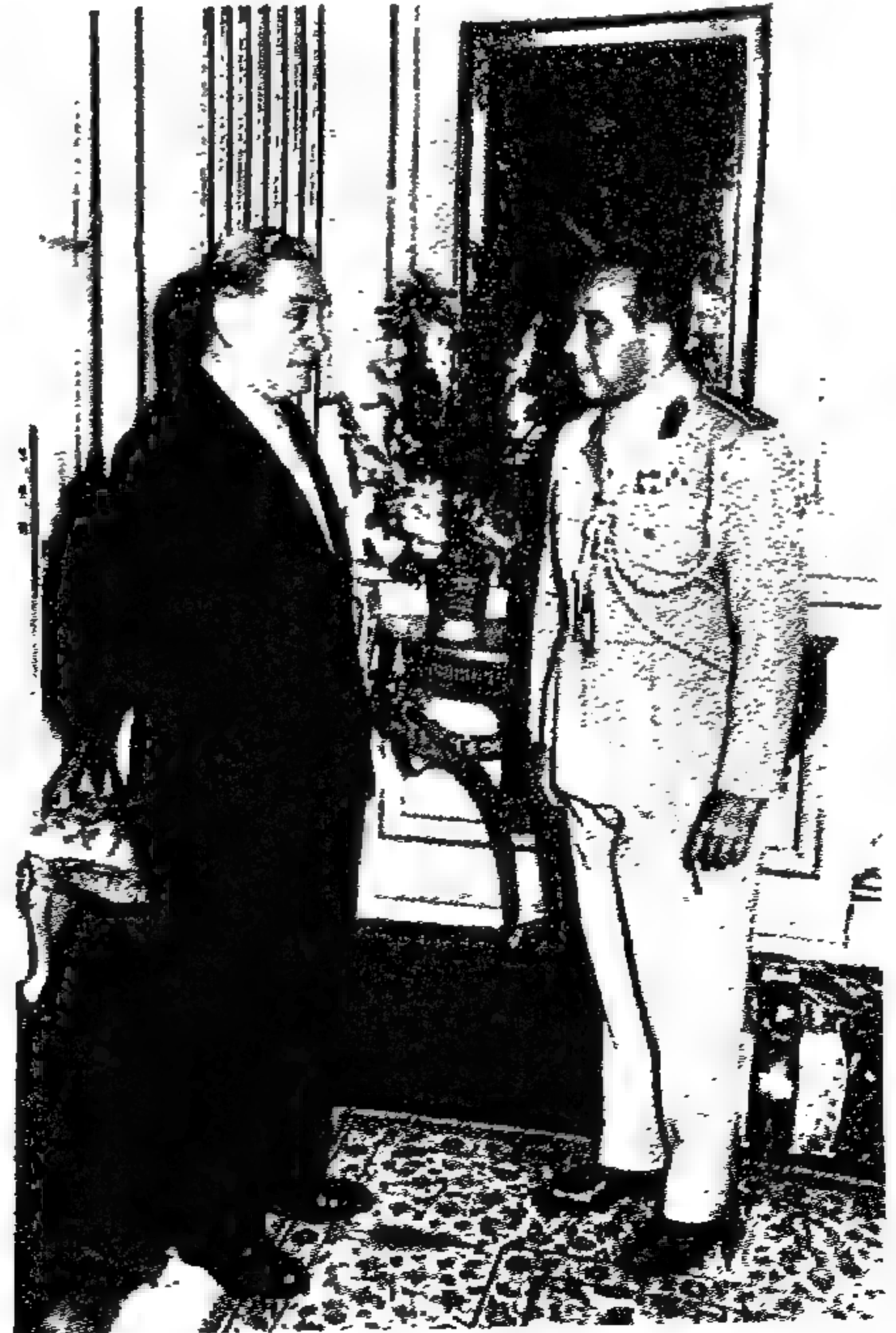




أحمد كامل ملحقاً عسكرياً في إسبانيا . وفي المنتصف الجنرال فرانكو

مع موتبوسين جراند نائب رئيس الدولة
في إسبانيا عام ١٩٦٢

أحمد كامل وزوجته ملحقاً عسكرياً في
إسبانيا عام ١٩٦١





فى زيارة للدير المحرق فى اسيوط عام ١٩٦٦



أحمد كامل يناقش أحد الفلاحين فى
أسيوط



أحمد كامل والى يساره د . النبوى المهندس

أحمد كامل مع ضياء الدين داود





عبدالمحسن أبو النور والي جواره ممدوح سالم وأحمد كامل (أقصى اليسار)

مع الفريق أول محمد فوزي في
الاسكندرية عام ١٩٧٠



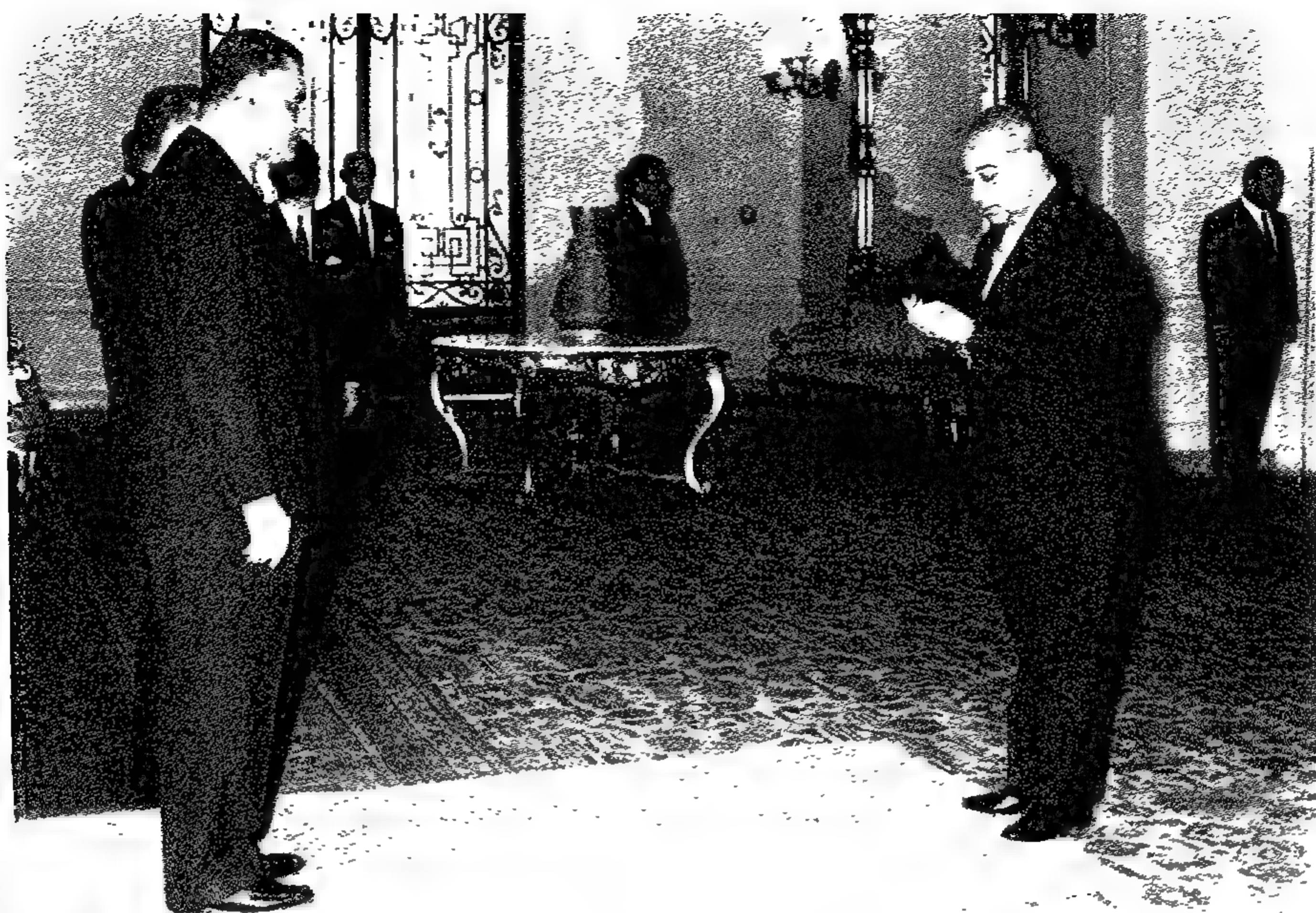
مع محمود رياض نائب رئيس الوزراء
ووزير الخارجية في الاسكندرية عام
١٩٦٩



مع مجموعة من أهالي الاسكندرية



مع شعراوي جمعة وزير الداخلية
الأسبق



أحمد كامل يؤدي اليمين الدستورية أمام الرئيس جمال عبدالناصر

أحمد كامل يستقبل الملك السنوسي عندما كانا محافظا لاسكندرية





جنازة الزعيم الخالد جمال عبدالناصر في الاسكندرية عام ١٩٧٠

أحمد كامل فى مستشفى السجن مع زوجته



الوثائق

السيد الرئيس

تحية واحتراما وولاء .

فى يوم ١٩٦٨/٢/٢٧ حضرت الاجتماع الذى حضره السيد رئيس مجلس الأمة مع بعض طلاب كلية هندسة القاهرة ، وسمعت من تصريحات سيادته أن كل ما كان كان خطأ ، ويوم ١٩٦٨/٢/٢٨ حضرت جلسة مجلس الأمة يناقش الأحداث الأخيرة التى مرت ببلادنا ، وأنا أحب أن أضع تحت أنظار سيادتكم الحقائق التالية :

١ - إن السيد وزير الداخلية قد أدلى فى بيانه أمام مجلس الأمة يوم ١٩٦٨/٢/٢٧ وفى تعقيب له يوم ١٩٦٨/٢/٢٨ ، أن هناك اتفاقا تم بين الاتحاد الاشتراكى العربى ومنظمة الشباب الاشتراكى ، ووزارة الداخلية بمنع المظاهرات منعا باتا .

وبالنسبة لى فإن الأحداث تعاقبت كالاتى :

(أ) إن تجميع الرأى العام فى نفس يوم ١٩٦٨/٢/٢٠ من جميع أنحاء الجمهورية كان يوضح اعتراضا شديدا على الأحكام التى صدرت فى قضية الطيران .

(ب) وقد سارعت بنقل هذا الرأى العام إلى السيد سامى شرف حتى يعرض على سيادتكم .

(ج) كانت توقعاتى نتيجة للرأى العام أن الناس سوف يعترضون عليها بطريقة ما . ولم أهمل التظاهر من اعتبارى . وكان على أن أتخذ قرارا بالنسبة لواجب المنظمة فى اليوم التالى . فنتيجة للرأى العام فى المنظمة وخارجها والذى سبق لى تجميعه وعرضه فى مذكرة على أمانة طليعة الاشتراكيين كنت أتوقع مشاركة الشباب للجماهير . وبكل هذه الظروف أصدرت التعليمات الآتية :

١ - أن يحاول أعضاء المنظمة فى وحدات الإنتاج ووحدات الجامعات أن يصرفوا أى تجمعات .

٢ - إذا أرادت الوحدات أن تعبر عن رأيها فيجب أن يبذل أعضاء المنظمة جهدهم لتكون طريقة التعبير هى المؤتمر الذى يرفع توصياته .

٣ - إذا أصرت الوحدات على الخروج فى مظاهرات ، ولم تتمكن وحدة المنظمة من إثباتها عن هذا يكون واجب المنظمة هو تنظيم المظاهرة دون أن يندس فيها أحد .

وقد أبلغت هذه النقاط الثلاث إلى السيد الأمين العام للاتحاد الاشتراكي العربي في الساعة ٢٢٥٠ تقريبا .

وقد أصدرت هذه التعليمات إلى وحدات المنظمة في الجمهورية ولم يصل إلى علمي أي كلام يخالف هذا .

٢ - أن حادث حلوان كان له أثر كبير في إثارة طلبة الجامعة ، علاوة على رفض عقد مؤتمر للطلاب في قاعة الاحتفالات الكبرى احتفالاً بيوم الطالب .

٣ - في جلسة مجلس الأمة يوم ١٩٦٨/٢/٢٨ هاجم السيد علوي حافظ عضو مجلس الأمة الاتحاد الاشتراكي العربي ومنظمة الشباب هجوما يصل إلى حد السباب بل والطعن في الذمة والشرف والأمانة والوطنية ، وأنا يهمني أن أركز على النقاط التالية :

(أ) أن يصدر هذا الكلام من منبر مجلس الأمة الذي يرأسه السيد نائب رئيس الجمهورية وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي ، وفي حضور السيد وزير الداخلية وعضو الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربي وأمين تنظيم طليعة الاشتراكيين ولا يصدر تعقيب واحد . علاوة على وجود أكثر من عضو مجلس أمة أعضاء في الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربي .

(ب) إن هذا المجلس نفسه هو الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي العربي وكثير من أعضائه أمناء للمكاتب التنفيذية أو أمناء مساعدين أو أعضاء غير متفرغين .

(ج) كان الاتجاه الغالب على جميع المناقشات والتي وصلت ذروتها بحديث السيد علوي حافظ والذي واصل حديثه لوقت طويل قارب من الساعة هو اتجاه رجعي يحظى بتصفيق حاد من الأعضاء ، بل وانتهى بقبيلات وزعت على السيد علوي حافظ وهو يصم الاتحاد الاشتراكي ومنظمة الشباب وقياداتها بالشيوعية وعدم الولاء وعدم الوطنية بل يشير بالاتهام إلى قيادة منظمة الشباب ، إنها دبرت هذه المظاهرات .

مذكرة إلى سامي شرف حول موقف علي صبري من المنظمة

السيد سامي شرف

تحياتي

استدعاني اليوم صباحا السيد علي صبري حتى يوضح لي الخطوط الرئيسية لسير الشباب ، وقد أوضح لي فكرته بالنسبة لسير الشباب في المنظمة وباختصار أن في رأيه أن المنظمة هي تجمع جماهيري للشباب الغرض منه إعداد جيل جديد قادر على تولى القيادة وأن في نظره هو خلق التنظيم القوي الذي يحرك الاتحاد الاشتراكي . وقد جرت مناقشة حول الكم والكيف وهو مقتنع تماما أن الرأي الصحيح في الكم ولو أنه يتفق معي في ضرورة إعداد وتدريب الكوادر .

وانطباعي من هذه الجلسة التي استمرت حوالي ساعتين أنه تتأثر أشد التأثير بكلام خارجي . ومنطبع في ذهني صورة معينة لبعض الأحداث ولا أعلم أن كان قد اقتنع مما ذكرته له من حقائق أم لا . وفيما يلي سوف أذكر هذه النقاط التي اشعرتني بهذا الانطباع :

١ - أثار عدم مناقشة اللجنة المركزية للخطة . وتطرق من هذا بعد إثارتني لموضوع النشر أنني أشركت غير مسئولين في مناقشة الخطة ، وقد أوضحت أن إشارات الخطة قد نوقشت في مؤتمر حضره ٢٤ من اللجنة المركزية البالغ عددها (٤٧) وهذا المؤتمر ضم قيادات المنظمة ، أمناء المحافظات والمراكز وسكرتيري المحافظات والمراكز

والبالغ عددهم حوالي ٢٢٠ ، وأن النشر جاء بناءً على توصية المؤتمر بالنشر وأنه في رأى اللجنة المركزية لا تمثل المنظمة وأن تشكيلها الآن لا يعتبر تمثيلاً صحيحاً .

٢ - أثار للمرة الثانية معي أن الناس تقول أن المنظمة قائمة ولو أنني سبق أن أوضحت لسيادته في مقابلة قبل ذلك أن العمل شاق خاصة في الظروف التي نمر بها ويمكننا الآن القول أن لدينا منظمة بعد أن كان لا وجود لها بعد النكسة وهذا أعطاني الانطباع بأن السيد على صبرى يحكم بأفكار ثابتة على الرغم من سبق توضيحي للحقائق قبل ذلك ، وهذا هو الذى حدا بى أن أتساءل هل أقتنع بسيادته بما أوضحت أم لا . وقد ذكرت أن من يتجنى على المنظمة بالقول أنها نائمة يظلم جهود الشباب الشاقة في ظروف قاسية للغاية وأن الشباب بذلوا جهوداً فوق الطاقة لإعادة الحياة إلى المنظمة بعد أن انفض الناس عنها .

٣ - ذكرت لسيادته أيضاً أن الخطة جاءت تعبيراً عن آراء القاعدة في المنظمة في نقاش حر مفتوح وأن ماكتب من سلبيات سبق ذكره وأكثر منه في تقرير المنظمة في ١٩٦٧/٧/٢١ وأن مهاجمة المنظمة من جميع الجهات كانت لأساليب رفضتها الناس .

٤ - أثار سيادته أن أسلوب التعامل مع الشباب يجب أن يتسم بإبراز شخصياتهم وأن يعطوا الفرصة كي يعبروا عن أنفسهم . وقد أوضحت له أن ممارسة الديمقراطية في منظمة الشباب اليوم بالنسبة للتعبير عن الرأى لم تمارس في يوم قبل ذلك ويمكن تصور صعوبة هذه المرحلة على عدم وضوح الرؤيا في كثير من الأحيان . بل أن لجان الشباب اليوم تمارس عملها بكل الحرية مع ممارسة سلطاتها تبعاً لمسئولياتها .

٥ - أثرت معه موضوع مؤتمر المنظمة الذى وافق على عقده السيد الرئيس في مارس القادم . وسيادته يميل إلى جعله بالانتخاب جميعه ولو أن ذلك يحتاج إلى وقت للتجهيز للانتخاب ثم إجراء الانتخابات ، وسيادته غير مقتنع أنه يحتاج إلى وقت ، وفي رأى أن إجراء الانتخابات على جميع مستويات المنظمة في هذه المرحلة بالذات ودون أى تدخل في الترشيحات من جانبنا سوف يقيد حركة المنظمة لإرساء القواعد السليمة التى يجب أن تسير عليها . وكان في رأى عقد المؤتمر بالتعيين حتى نجتاز مرحلة إزالة آثار العدوان وحتى يتم التمهيد للانتخابات وشرح مفهومها وممارسة عملية الانتخاب بالدقة على مستوى الوحدات وما يليها من مستويات تدريجية ، وكنت أعطى ذلك في تقديري لمدة عام أو مايزيد قليلاً خاصة أننا نطبق خطة جديدة لمدة عام أيضاً ، وعدم وصول الأفراد إلى مستوى سياسى معقول يمكنهم من إجراء انتخابات صحيحة وإلا فإنها سوف تكون مظهرية ونعانى من ذلك بتقدم الوقت . وسوف أتقدم إلى سيادته بداية .

٦ - طلب سيادته مناقشة تفصيلية لخطة التنفيذ وخطة التجنيد وسوف تعرض .

٧ - وافق سيادته على عقد دورة اللجنة المركزية في أقرب وقت .

٨ - وافق سيادته على حضور مؤتمر منظمة الشباب بالقاهرة الذى سوف يعقد في ١٩٦٨/٢/٥ .

التعليق :

إننى أرى أن السيد على صبرى كانت لديه فكرة عن المنظمة غير ما كانت الحقيقة وأن هذا

الانطباع موجود لديه كفكرة ثابتة لا تتغير . كذلك أن لدى سيادته الكثير من الأفكار الغير قابلة للتغيير ، مثال ذلك الكم والكيف ولو أنني أوضحت لسيادته أن هذه المرحلة تتطلب التدقيق بعض الشيء حتى تتمكن من خلق الجهاز القيادي للمنظمة كذلك أحسست أنه قد صور لسيادته أن المنظمة قد ذابت داخل الاتحاد الاشتراكي ذوبانا يفقدها شخصيتها بينما في الواقع أن المنظمة لازالت محتفظة بشخصيتها كاملة وكثير غير ذلك من النقاط التي أثيرت ، ولو أنني إعتبر أن هذه هي أهم النقاط . كما أحس أنه قد رسمت للمنظمة صورة سيئة من جميع نواحيها أو على الأقل صورة سلبية كاملة التسبب وهو ما يخالف كل حقيقة ، أردت أن أعرض عليك صورة لانطباع خرجت به بعد أول مقابلة للعمل واستمرت طوال ساعتين .

ولك أطيب التحيات .

الاتحاد الاشتراكي العربي
أمانة الشباب

بسم الله الرحمن الرحيم

مذكرة من مكتب أمانة الشباب

رأى مكتب أمانة الشباب من واجبه أن يعرض تحليل لواقع المجتمع في هذه المرحلة الخطيرة من نضاله إيماناً من أعضاء المكتب أن الظروف والأحداث التي يمر بها هذا المجتمع تتطلب من جميع القيادات المخلصة المساهمة بجهودهم وأرائهم في محاولة صادقة وأمينة لنقل صورة لما يدور بين الجماهير إسهاماً في تدعيم الجبهة الداخلية وحمايتها ، وأعد مكتب الأمانة بالفعل مذكرة في ١٢/٢/١٩٦٨ رفعت في ٢٢/٢/١٩٦٨ حدد فيها صورة الجو السائد وخلص إلى مجموعة من الاقتراحات يمكن بتنفيذها انتشارال الجماهير من نوبات اليأس والتردد والشك التي تنتابها ، مع كل حدث باعتبار أن هذه الاقتراحات تقدم حلاً للمشكلات الرئيسية والتي تنفرع عنها أي مشكلة طارئة .

وقد جاءت أحداث الأسبوع الماضي وتطوراتها السريعة المتلاحقة لتؤكد صحة ما وصل إليه مكتب الأمانة من آراء حيث تفجر الموقف عقب صدور أحكام الطيران واتخذ غضب الجماهير صورة جديدة لأول مرة منذ أربعة عشر عاماً وذلك بقيام المظاهرات ، وكانت هذه المظاهرات تزداد عنفاً بعد كل تدخل من جانب السلطة كما حدث بعد حلوان وأمام مبنى صحيفة الأهرام متمثلاً في الهتافات التي ترددت بعد ذلك ، يضاف إلى الشعور بالدهشة الذي ساد الجميع والذي عبروا عنه ببساطة شديدة « كيف نضرب في عهد الثورة وفي عهد جمال عبدالناصر ؟ » .

على أن أهم الحقائق المتعلقة بهذه المظاهرات يتجلى في أنها تجاوزت بوعي موضوع أحكام الطيران إلى معالجة كثير من الأمور الأساسية وتركزت مطالب الجماهير حول ضرورة التغيير الجذري الشامل سواء في التنظيم السياسي أو أجهزة الحكم وضمان تأكيد الديمقراطية السليمة والمحاسبة الشاملة والقضاء على جميع الانحرافات أينما وجدت .

لقد كان تصدى رجال الشرطة لمظاهرات عمال حلوان تصعيداً للموقف أدى عندما وصلت أخباره إلى طلبة الجامعة أثناء احتفالهم بيوم الطالب إلى استغلال بعض الأفراد ذوى الانتماءات المختلفة له في استثارة الطلاب بترديد هذه الأخبار ولقيت هذه الإثارة الاستجابة المتوقعة بتوافقها مع الإحساس الجماهيري العام ضد أحكام الطيران ، فقامت المظاهرات وبرغم ما حدث من انحرافات فردية فلقد ظلت هذه المظاهرات لفترة طويلة تعبر عن حلم الجماهير الدائم المتمثل في أن يقوم قائدها الرئيس جمال عبدالناصر بإحداث التغيير المطلوب ، ومما يلفت النظر أن

التجمعات الجماهيرية في عديد من المواقع عبرت بأكثر من صورة عن عدم ثقتها إلا في شخص السيد /الرئيس ، ومن هنا كان إصرار الجميع على اختلاف المواقع أن يرفعوا رأيهم مباشرة إلى سيادته بلا واسطة من أى إنسان .. وإذا كانت بعض المظاهرات قد هاجمت أجهزة الحكم ، فلقد كان ذلك نتيجة القسوة التي استعملتها الشرطة في فض هذه المظاهرات كما حدث في شارع رمسيس مثلا ، ومع ذلك فلقد كان التعبير البسيط في تلك اللحظات « نحن نتوجه بمطالبنا إلى عبدالناصر الثورة » .

وأخيرا فلقد جاء بيان السيد /وزير الداخلية بعدم السماح بقيام المظاهرات تعبيرا عن قيامه بمسئوليته في حماية المجتمع من أى تخريب قد تحدثه عناصر عميلة تستغل حركة الجماهير بما يضر بمصالح الوطن والتضال لشعبنا العربي ، وليس من شك في أن قرار منع المظاهرات يعتبر استجابة علمية لواقع المجتمع خاصة وأن ضعف التنظيم السياسى قد يؤدي إلى استفادة بعض القوى الرجعية من هذه المظاهرات وسيطرتها عليها بتبنى مطالب الجماهير .

ولكن هل ينتهى الأمر بهذا القرار ؟ لقد أثارت الجماهير تساؤلات لا يمكن تجاهلها .. وقدمت الجماهير مطالب لا يمكن التفاوضي عنها وإلا فإنه مع كل حدث عارض سوف يتكرر نفس رد الفعل الذى أحدثته أحكام الطيران ، ومع كل مظاهرة تتجدد وتقمع سوف يزداد النظام بعدا عن الجماهير .. وفي النهاية ستتقلب صورة الحكم إلى قمع وضغط ..

إن أى تنظيم سياسى لا يتبنى مطالب الجماهير في هذه المرحلة إنما يحكم على نفسه بالانعزال ، وعندما يحدث ذلك فإن النظام كله يفقد سنده الأساسى ونعنى به الشعب .

إن مكتب أمانة الشباب يرى من واجبه في هذه اللحظات التاريخية أن يعرض على سيادتكم صورة أمينة وصادقة لما يمكن أن ينتهى إليه الموقف إن لم يحدث التغيير الشامل الذى تطالب به الجماهير والذى حاول المكتب أن يعرض تصوره له في مذكرته التفصيلية التى سبق تقديمها .

إن الأحداث تتحرك بسرعة شديدة وهى في تحركها تؤكد رأينا ويكفى أن نشير إلى أنه بالرغم من بيان منع المظاهرات فإن طلبة الجامعة قد واصلوا مظاهراتهم اليوم ١٩٦٨/٢/٢٥ ومع كل ساعة تزداد عنفا وضراوة كرد فعل للعنف في مواجهتها .

وأخيرا فإننا عندما نشير إلى مطالب الجماهير وضرورة تلبيتها تؤكد حقيقة هامة وهى أن الجماهير لم تخرع هذه المطالب وإنما استقراتها من خطابى للسيد /الرئيس في ٢٣ يوليو ، ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٦٧ وهى في هذا تؤكد أنها مع القائد ضد كل صور الإنحراف والفساد .. إنها مع القائد ضد الارتجال والإهمال .. إنها مع القائد في ضرورة تعبئة الجبهة الداخلية ، سياسيا واقتصاديا وعسكريا .. إنها مع القائد في ضرورة القضاء على معوقات التقدم والتضال ... إنها مع القائد في معركة الشريفة ضد أعداء الشعب وأعداء الوطن .

وإيماننا منا بأن الثقة تتركز الآن في السيد الرئيس فقط فإننا نرجو ونلح في الرجاء أن يتحدث سيادته إلى جماهير الشعب مؤكدا استمرار خط التضال ، ومطمئنا الجماهير ، ونحن علي ثقة من أن حبها واحترامها لسيادته كفى لتحقيق الأثر المطلوب .

عاش نضال الشعب العربى

عاش معلمنا وقائدنا الرئيس جمال عبدالناصر

والله ولى التوفيق

(أحمد كامل)

١٩٦٨/٢/٢٥ ،

عضو الأمانة العامة وأمين الشباب

اجتماع السيد الأمين العام للاتحاد الاشتراكي بالسادة أمناء لجان المحافظات والمناطق والأقسام والمراكز وأعضاء السكرتارية المركزية لمنظمة الشباب الاشتراكي

السيد أمين الشباب :

يشرفنا أن السيد الأمين العام قد خصص بعض وقته للإجابة على تساؤلات شباب المنظمة . ويجب أن يكون في اعتبارنا أن الوقت ساعتان فقط وسيفضل السيد الأمين العام بالإجابة تفصيليا على جميع التساؤلات .

السيد الأمين العام :

قبل الإجابة على هذه التساؤلات - ومن خلال قراءاتي لتساؤلاتكم ومن الرأي العام فمن الواضح أن هناك صورة معينة تعبر عن بعض القلق الموجود داخل المنظمة وهذا وضع طبيعي أن هذا القلق لا ينعكس على المنظمة فقط بل على كثير من القيادات في مواقع أخرى .. ويرجع ذلك لعدم تفهم ظروف المرحلة التي نمر بها الآن .

وفي الواقع فإنه كان من الصعب جدا خلال المرحلة الماضية أن نتكلم بالتفصيل عن المستقبل وذلك لعدة أسباب :

١ - أن هناك برنامجا بالخطوات المختلفة التي تتخذ في المستقبل وكل خطوة تعبر عن مرحلة معينة تنتقل بعدها إلى مرحلة أخرى والتساؤلات في كثير من الأحيان كانت تنطلق من مرحلة إلى أخرى مباشرة ودون انتظار وهذا في حد ذاته يضعف في الواقع من القدرة على تركيز الجهود في تعبئة الجماهير في كل مرحلة .

٢ - أن الدخول في تفاصيل مرحلة بعيدة قد يؤدي إلى جدل ونقاش حول مرحلة لم تأت بعد مثال ذلك فإنه يتعين علينا واجب أساسي في المرحلة الحالية حتى يوم ٢ مايو وهو توعية الجماهير حول بيان ٣٠ مارس حتى يكون الاستفتاء عن وعى أما القفز لما بعد ٢ مايو فيجعلنا ننصرف عن القضية الأساسية وبالتالي لا يكون الاستفتاء عن وعى وإدراك .

٣ - إن التفاصيل الكثيرة التي تطرحها التساؤلات لا يملك أحد قدرة الرد عليها لأننا في هذه المرحلة ليس لدينا حصر كامل ودقيق للعضوية الحالية للاتحاد الاشتراكي والمنظمة ويتم الآن اجراءات الحصر وبعدها يمكن الرد على تساؤلات كثيرة لأنه من الصعوبة بمكان تحديد شكل الانتخابات دون معرفة العضوية الحقيقية .

ونخرج من هذا أن أسلوب العمل يجب أن يتفق وطبيعة كل مرحلة من المراحل ، فالمرحلة الأولى حتى ٢ مايو نركز جهودنا وندعم عملنا خلالها دون إهمال لما بعدها ، ولكن لا ننتظر ردودا كافية وتفصيلية عن التساؤلات التي تدور عما بعدها إلا بعد أن ننتهى من المرحلة الأولى وعندئذ يكون لدينا الوضوح الكافى .

٤ - إنه ضمن أسباب القلق التساؤلات عن دور المنظمة فى المستقبل وأحب أن أوضح فى هذا المجال نقطة أساسية هى أن منظمة الشباب هى تنظيم سياسى لشباب الجمهورية فى إطار تنظيم الاتحاد الاشتراكى العربى ولا يعقل أن نفكر فى أن يعيش شبابنا بدون منظمة الشباب .. أين يذهب نشاط الشباب إذا لم يوجد تنظيم سياسى يجمعه .. هذا الشباب إما أن يتفكك أو يكون سلبيا أو ينضم إلى تنظيمات أخرى خارج نطاق تحالف قوى الشعب العاملة - ويعد ذلك تقصيرا من جانبنا تجاه الشباب وتجاه مستقبل البلد . ويمكن أن تكون بعض الأحداث قد أدت إلى التشكك فى هذا المجال .. وهذا ما تدور حوله المجموعة الأولى من تساؤلاتكم خاصة ما يتعلق منها بقرار توحيد خطوط الاتصال .. وأحب أن أوضح الظروف التى نمر بها الآن ..

ولاشك فى أن هناك قوى مضادة فى كل المجالات لتحالف قوى الشعب العاملة سواء فى أقصى اليمين أو أقصى اليسار هدفها تحطيم فكرة تحالف قوى الشعب العاملة وانتقال السلطة إليها .. ما وسيلتهم لذلك ؟ .. وسيلتهم هى تحطيم أى تنظيم جماهيرى يؤمن بهذا التحالف ويسعى إلى تدعيمه .. من هى القوى المعادية ؟ ... هى القوى التى تشكك فى منظمة الشباب والاتحاد الاشتراكى والتركيز من جانب القوى المضادة على تصيد بعض الأخطاء وبعض المواقف للهدم والتشكيك فى منظمة الشباب والاتحاد الاشتراكى .. وعن طريق التشكيك فى التنظيمات القائمة يمكن للقوى المضادة أن تحطم مبدأ تحالف قوى الشعب العاملة وحتى بالنسبة للانتخابات فإن هناك محاولات كثيرة للتشكيك ، فالقيادات ليست على المستوى المطلوب وجاءت بالتعيين والتعيين لا يصلح ... ثم يقولون أن الانتخابات لن تأتى بغيرهم ... ويقال العملية مترتبة والناس هم هم ...

وفى كل مجتمع عادة .. وهذه طبيعة البشر توجد قوى تمثل مجموعات سياسية وتوجد قيادات تعتبر قلة وقوى مضادة تعتبر أيضا قلة وفى الوسط توجد الجماهير وتحاول كل من القوتين جذب الجماهير إلى صفها .. فمن يكسب قوى الجماهير ويكسب المعركة السياسية .. ولا يمكن أن يتحقق هذا إلا إذا ترابط التنظيم السياسى كتنظيم متماسك متشابك وأى تخلخل فى هذا التنظيم يعطى للقوى المضادة فرصة واسعة للتحرك .. وعلينا كتنظيم سياسى أن نتماسك ونتكاتف من أجل جذب الجماهير وتحطيم كل القوى المضادة التى تحاول التأثير على الجماهير الغير مدركة لأبعاد المعركة وهذا الواجب إذا كان له أهميته فى عملنا السابق فأهميته فى المراحل المقبلة تفوق ما سبق وفى خلال العامين السابقين أقمنا تنظيمنا السياسى على أساس تعيين القيادات .. وفى المرحلة القادمة سوف تكون الانتخابات هى الأساس وإذا كان التنظيم السياسى بالتعيين فإنه يمكن أن يعمل وتوجد متناقضات بداخله وهذه الانتخابات هامة لإفراز العناصر الصالحة التى تستطيع أن تواجه القوى المضادة ، إن تماسك التنظيم واجب أساسى فى المرحلة القادمة .

وهذا يفسر إلى حد كبير لماذا صدر قرار توحيد خطوط الاتصال فهذا الموضوع لا يتصل بأحداث وقعت فى أيام محدودة وأيام عادية ولكنه صدر بسبب إعادة تشكيل التنظيمات السياسية على أساس الانتخابات وذلك حتى يستطيع التنظيم أن يكون أكثر

تماسكا ويستطيع التكاتف والوقوف أمام القوى المعادية وأيضا لاختيار أحسن العناصر المؤمنة بهذا التحالف وفي الواقع لم يكن ممكنا ونحن مقبلون على عملية إعادة بناء التنظيم السياسى بالانتخاب أن نترك منظمة الشباب تعمل فى جانب والاتحاد الاشتراكى فى جانب آخر ولا أتصور أن يكون هناك تناقض فى المعركة الانتخابية بين المنظمة والاتحاد الاشتراكى والذي قد يؤدى إلى ظهور عناصر تستفيد فى المعركة الانتخابية من هذا التناقض .

وإذا فالعملية عبارة عن تعبئة سياسية لكل القوى من أجل حسن الأداء فى المرحلة المقبلة وليست خاصة بالمظاهرات ولا الهجوم على منظمة الشباب ولا ما أثير حولها من شائعات .. والحقيقة أن الهجوم على المنظمة قائم من يوم أن بدأت المنظمة عملها .. وما قيل فى مجلس الأمة سبق أن سمعنا مثله الكثير وأى تنظيم سياسى لابد وأن ينتظر مثل هذا الهجوم - لأن هناك من هم ضد فكر هذا التنظيم وهناك الموترين منهم لانحرافات فكرية أو شخصية أو خلافه ولا يمكن أن يؤدى مثل هذا الهجوم إلى تجميد نشاط التنظيم لأن معنى هذا أننا نكون قد وقعنا فى شرك القوى المضادة وحققنا لها ما تريد .

وإذا فعملية توحيد سلوك الاتصال ليس الغرض منها تجميد المنظمة وإن كان إحقاقا للحق لابد من ذكر أن هناك من بين أعضاء التنظيم من انصرفوا عن أهدافه حينما اشتركوا فى قيادة بعض المظاهرات دون وعى أو إدراك وفى مجال النقد والنقد الذاتى فلا بد من أن نعترف بذلك .

وهناك سؤال هو إلى متى سوف يستمر العمل بهذا القرار ؟ ، والإجابة : أن العملية سوف تعود إلى طبيعتها بعد استكمال بناء التنظيم السياسى ... وفى كل مرحلة من مراحل النضال قد تستجد ظروف تستدعى توحيد وسائل الاتصال وفى أى معركة لابد من أن يوحد القائد جهوده وجهة واحدة وإذا بالنسبة للتوقيت فحين يكتمل بناء التنظيم فإن العملية سوف تعود لوضعها الطبيعى .

- هناك سؤال يقول أن هذا القرار يؤدى إلى عدم وجود مسئوليات واضحة للجنة المركزية وسكرتارية المحافظات ..

... وإنه بعد الاستفتاء سيكون العمل من أجل الانتخابات وكشف العناصر المنحرفة وإذا كانت الانتخابات سوف تبدأ من الوحدات فإن التركيز فى العمل السياسى والجهادى يحتم بالتالى العمل على مستوى الوحدة الأساسية وأن تنشط قيادات الوحدات حتى تظهر المعركة الانتخابية العناصر الصالحة وبالتالي فإن السكرتاريات فى مستوى المحافظات واجبها الأساسى أن تتحرك إلى مستوى القاعدة والشئ نفسه ينطبق على الأمانة العامة ومن التسلسل القيادى الهرمى المعروف كلما كانت قيادات الوحدات سليمة كلما كان التنظيم السياسى حتى - اللجنة المركزية مبنيا على أساس سليم .. وكلما كانت القيادات بالوحدات غير سليمة كلما كان مستوى اللجنة المركزية غير سليم واللجان القيادية على مستوى المحافظات والمراكز لابد من أن تقود العمل فى مستوى الوحدات .

- والتساؤل الثانى حول أثر قرار توحيد خطوط الاتصال على التسبب .. فالتسبب الذى حدث فى المنظمة يجب على القيادات أن تشرح أبعاد هذا القرار وأسبابه حتى يواجهوا التسبب الذى حدث وليس واجبها أن تترك العمل فى الأخرى وتسبب لأن معنى هذا عدم التخلّى فى وقت النضال هو الذى يكشف صلابة القيادات أما العناصر

المتسبية فإنها ليست على مستوى المسئولية والصمود ، وبالتالي يلفظها التنظيم .
وإن أوقات النضال هي التي تكشف العناصر المخلصة والمناضلة .

سؤال ثالث .. عن هبوط معدل الحركة السياسية للمنظمة في بعض المواقع بسبب سوء فهم بعض قيادات الاتحاد الاشتراكي لهذا القرار ..

... والرد على هذا أن النظرة يجب أن تكون شاملة ... وأنا أمامي جميع المحافظات من أسوان حتى الاسكندرية وكل عضو وحدة منظمة أو اتحاد في هذه المرحلة يحتك بال جماهير ويوجهها ببيان ٢٠ مارس ويمهد لاختيار وانتخاب أحسن العناصر ولكن إذا تعطلت الحركة السياسية في هذه المواقع فلا بد من إعادة تشكيلها .

فالوحدات التي ترى الحركة السياسية قد هبطت عليها أن ترفع ملاحظاتها إلى المستوى الأعلى .. مستوى السكرتارية .

سؤال رابع عن الموقف بالنسبة لخطة المنظمة

إن الهدف في هذه المرحلة هو إعادة بناء تحالف قوى الشعب العامل .. والخطة نستطيع أن نؤجلها حتى ننتهي من الهدف الرئيسي والعاجل وهو إعادة بناء التنظيم وذلك إلى أن يجتمع المؤتمر القومي ويصدق عليها أو يعدل فيها كما أن القيادات قد تتبدل ويأتي غيرها .

مناقشة وتعليقات :

السيد / فضل شلبي .. محافظة الجيزة

(أ) بالنسبة للنقد الذاتي وحركة المنظمة في المظاهرات لماذا لم ينفذ السيد وزير الداخلية ما اتفق عليه في ليلة ٢١ فبراير حيث اتفق على تحريك الجماهير في شكل مؤتمر سواء في المنظمة أو في الاتحاد الاشتراكي العربي ولم ينفذ .

(ب) إن المباحث تتابع نشاط أعضاء المنظمة حتى من قبل ٢١ فبراير ... فما موقف أعضاء المنظمة الذين اعتقلوا .. فهل سيكون الاعتقال نقطة سوداء في حياتهم .

(جـ) لقد حدثت بعض التحقيقات في اللجنة المركزية للمنظمة حول خطة الحركة الجديدة في مارس وهذا الخط الجديد لا اعتبره إلا خطأ طبيعيا فهم على أنه خط جديد .

تعقيب السيد الأمين العام :

هذا الموضوع سأرد عليه رغم أنني لم أكن أحب الدخول في تفاصيل هذا الموضوع ولكن أحب أعلق على موضوع المباحث فهذا الموضوع إذا حدث يحدث فردي ويوقف باستمرار وأنا كنت أقول لرجال المباحث أن أي حاجة يحتاجون إليها عن أعضاء المنظمة أستطيع أن أقدمها لهم ... مقيش عمل من جانب المباحث في تتبع فرد من أعضاء المنظمة والمسؤولين في كل هذه الأجهزة أعضاء بالأمانة العامة والتقى بهم باستمرار .

بهاء الجبيلي - أمين شباب الاسكندرية :

بالنسبة لموضوع المباحث أعطى لسيادتك صورة لما حدث في الاسكندرية ...

فقد عقد مؤتمر للمنظمة بالمحافظة لمناقشة برنامج ٢٠ مارس وبعد انتهاء المؤتمر فوجئت بأن ضباط المباحث جاءوا ليحاولوا معرفة ما دار فى الاجتماع داخل المؤتمر . فما معنى هذا ؟ ، إن منظمة الشباب إما أن تكون موضع ثقة السيد الرئيس عبدالناصر أو لا تكون ... وإذا كانت المنظمة موضع ثقة السيد الرئيس فأحب أن أسأل سيادتك شخصيا .. إذا كان الرئيس يثق فى الشباب الاشتراكي فلماذا لا يلتقى بالشباب الذى احترق فى الفترة الماضية بدلا من الالتقاء بالشباب المثقف بالجامعة .

رد الأمين العام :

إن تقارير المباحث مصدر من مصادر المعلومات فقط وهى لا يؤخذ بها كمرجع للحكم على أعمال المنظمة وليس معنى هذا ألا يأتى أحد ليسالك عما دار فى أحد الاجتماعات والحقيقة أنه ليس كل عضو ملتزم داخل المنظمة .. فهناك انحرافات فردية داخل المنظمة والمهم فى النهاية أن الذى يقرر أى شىء بالنسبة للمنظمة هو التنظيم السياسى وليس المباحث ..

السيد / محمد عبدالبديع الفيشاوى .. محافظة الشرقية :

نقلت من محافظة الشرقية إلى محافظة سوهاج بناء على تقرير من السيد أمين هويدى المشرف على المخابرات بأتى شخص غير مرغوب فيه بالشرقية رغم أننى متفرغ للعمل السياسى اعتبارا من أبريل ١٩٦٧ .

رد السيد الأمين العام :

لقد أوقف النقل وأنا لما شفت القرار وقفته إلى حين أن يحقق سياسيا فى الموضوع حيث أن القرار السياسى هو الذى يحدد الموضوع وعازي أقول أن قيادات المنظمة مسئولة عن قواعدها فى تقييم أو تقويم الأعضاء ولو أن المنظمة سبقت الأجهزة الإدارية لما حدث ذلك ويجب أن نحصى التنظيم من أنفسنا أولا ومن أعدائنا ثانيا ، وفى العام الماضى كانت تأتى تقارير من المنظمة تقارير معلومات مثل بعض الحرائق التى وقعت فى بعض القرى قبل معرفة الأجهزة الادارية وكنت أقوم بإبلاغ وزير الداخلية ووزير الشؤون الاجتماعية وكان التنظيم يتحرك حركة واسعة فى هذه المرحلة .

وبالنسبة للثقة فى المنظمة - فالثقة كاملة فى المنظمة وفى تنظيمنا السياسى .. وإلا فما معنى أن ننقل السلطة إلى تحالف قوى الشعب العاملة . ليس للرجعية أو الانتهازية .. ما يحدث الآن حول بيان ٢٠ مارس وما يتبعه من إجراءات هو نقل السلطة لتحالف قوى الشعب عن طريق القيادات التى ستنتخبها القوى العاملة وهذه هى فلسفة التغيير العميقة التى هى إزالة مراكز القوى والعقبات التى وقفت أما الجماهير ومنظمة الشباب ما هى إلا جزء من التنظيم السياسى للاتحاد الاشتراكي ومعنى ذلك أن الثقة كاملة فى المنظمة وإذا كانت المنظمة تمثل قوى منحرفة أو انتهازية لما اتخذت القيادة خطوات نقل السلطة إلى هذه التنظيمات .. وأن هذا يعنى أكبر ثقة فى هذه المنظمة ..

أما عن الاجتماع فى الجامعة فسوف يضم أعضاء منظمة بجانب أعداد كبيرة من المثقفين .

بهاء الجبيلي أمين الاسكندرية

إن نقل السلطة للجماهير عملية لاختلاف عليها .

إن الجهاز الوحيد الذى يقيم نفسه باستمرار هو المنظمة التى تسير وفقا للأسلوب العلمى وتجدد نفسها باستمرار ووضعت خطة للانتخابات على مستوى الوحدات بخطة هذا العام ووضعت قضية الديمقراطية موضع التطبيق العلمى ومكتب تنفيذى المحافظة كما تعرف سيادتك لا يعمل الآن .. وإذا دخلنا المعركة الانتخابية سوف نتصدى لقيادات كثيرة من قيادات الاتحاد الاشتراكى ..

السيد الأمين العلم :

التنظيم ليس أمين المكتب التنفيذى ، إنما التنظيم هو الجماهير التى تشمل جميع الأعضاء .. ولابد من التصدى للعناصر المضادة والمنحرفة حتى لا تسلم القيادة للقوى الرجعية فالتماسك فى التنظيم لا يعنى انتخاب أية قيادات وليس لدى مانع من التصدى لأى قيادات منحرفة غير مخلصه والذى أقصد أن التماسك ليس يعنى بأى حال من الأحوال أن تؤيد القيادات الموجودة المهم أن تظهر اصلح القيادات وكى نكون واقعيين قد أقبل قيادات ليست على مستوى المسئولية وغير مضادة .. ولا أقبل عناصر مضادة مضادة لكنها حركية .

السيد / إبراهيم توفيق أمين الجيزة

بعد اجتماع سيادتكم بأمناء المكاتب التنفيذية للمحافظات قال الدكتور طعيمة الجرف لأعضاء المكاتب التنفيذية بالمحافظة - الانتخابات فى جينا ونحن مطالبون بأن ينجح ٧٠٪ من القيادات الحالية على الأقل .

السيد الأمين العلم :

أنا لا أعرف كيف قال طعيمة الجرف هذا الكلام .. حينما أثير هذا الموضوع بعض الناس قالوا أحنا اتحرقنا فى المعركة السابقة وغيرنا سيظهر علينا - وكان كلامى أن التنظيمات الموجودة قوة وفى تصورى أن هناك ٧٠٪ من القيادات الحالية ستظهر فى هذه الانتخابات ولو أخذت وحدة مثلا كمصنع به ١٠٠٠ عضو فى حلوان منهم ١٢٠ قيادات قطعاً ٧٠٪ من هذه القيادات سيظهر فى هذه الانتخابات - ولكن ليسوا الأشخاص أنفسهم قد يكون عضو مكتب أو أمين مركز أو أمين مساعد وأنا ما يهمنى مادام هو أصلاً مرتبط .

السيد / فاروق الشاذلى أمين مساعد الدقهلية :

العلاقة بالمكاتب التنفيذية بالمنظمة فى الواقع تعتبر علاقة بين تنظيم متخلف وتنظيم متقدم والتناقض أساس فى كثير من المواقع بين المنظمة وقياداتها والاتحاد الاشتراكى هذا اللقاء جاء متأخراً جداً - مفيش خط واضح لدى المكاتب التنفيذية وإذا - كان فيه خط فهو مهلهل - وبعد ٢٠ مارس أنقض الجميع تقريباً - وأؤكد أن المباحث تتبع أفراد المنظمة فعلاً .

السيد الأمين العام :

- أعطنا مثال .

السيد أحمد موافى :

- جاء لى خطاب شكر كى أعود إلى عملى من اللواء /محمد السيد عبدالرحمن أمين الاتحاد الاشتراكى بالمحافظة وأعتقد أن ذلك بسبب تقرير المباحث .

السيد الأمين العام :

مين عرفك أن تقرير المباحث هو الذى أخذ به ... هذه مسئولية سياسية وليست مسئولية المباحث. وأنت أخطأت هل تحب أن تحاكم تنظيميا .

هذا قرار سياسى ولا داعى لأن تعقد .. لأن العملية ليست عملية مباحث .

السيد أحمد موافى :

نعم أحب أن أحاكم تنظيميا ... وهل من المفروض أن أعرف ويحقق معى أم لا ؟

وأنا أطالب بأن توقع أقصى عقوبة على ويكل شجاعة مستعد لتحمل كل التبعات .

السيد الأمين العام :

إذا كنت تريد ذلك ... ممكن ... ممكن التحقيق وفيه أحد احتمالين ... إما اتخاذ إجراء أو تجميد حتى تفيق لنفسك شوية .

- بالنسبة لموضوع حلوان فإن ما حدث بعد ذلك كان خروج على التعليمات التنظيمية والاجراءات التى اتخذت هى بشأن ما حدث بعد ٢١ فبراير لأنه كان فيه خروج على التعليمات التنظيمية ... ولكن بعد هذه التعليمات أن تتحرك مع الجماهير فهذا خروج عن التعليمات ... وأحب أن أؤكد أن القرار الذى اتخذ بتوحيد خطوط الاتصال لم يكن له علاقة بالمظاهرات وقد اتخذ قرار إعادة المحاكمة بناء على رغبة الملايين من الناس الذين انتظموا فى وحداتهم وعبرت عن رأيها تنظيميا ولم تعاد المحاكمة نتيجة المظاهرات .

السيد ناصف عبدالخالق :

مساء يوم الجمعة اتصل بنا الدكتور عادل عبدالفتاح فى محافظة الجيزة وأبلغنى بأنه محتمل حدوث مظاهرات فى الجامعة ويجب مواجهة هذه المظاهرات وبناء على ذلك خرجنا بناء على تعليمات تنظيمية لتفريق المظاهرات وكنت أنا أحد الضحايا وأخذت إلى المعتقل وطبعا أسوء فهم المنظمة حيث أنه كان هناك ٢٠ من بين الـ ٦٠ المعتقلين أعضاء منظمة منتظمين ومتحركين بتعليمات من الدكتور عادل عبدالفتاح .

السيد الأمين العام :

هل كان هناك تعليمات بذلك ؟ يوم الجمعة كان فيه تعليمات بهذا ؟

السيد ناصف عبدالخالق :

- يوم الجمعة ٢٢ فبراير مساءً يا أفندم اتصل بنا الدكتور عادل عبدالفتاح الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وأبلغنا بالتعليمات السابقة وأبلغناها لجميع المراكز وأنا قلت هذا الكلام في التحقيق الذي أجرى معي .

السيد الأمين العام :

- كان هناك تعليمات بمنع المظاهرات ؟

السيد ناصف عبدالخالق :

- أيوه يا أفندم التعليمات بمنع المظاهرة - وأنا اتصلت بالسيد اللواء قائد قوة الشرطة عند جريدة الأهرام وأبلغته أنني نازل بتعليمات من المنظمة لتفريق المظاهرات وبذلت جهوداً مستميتة ، وضعف هو عن تفريق المظاهرة وفرقتها أنا وجاعني اللواء الثاني وقال لو سمحت تفرقها في أكثر من شارع وفرقتها فعلاً وأثناء قيامي بذلك قبض عليّ واحد ... فقلت له يا أفندم أحنا اتفقنا على ضبط الأعصاب وعلى تفريق المظاهرة سلمياً - والقبض على هذا الشخص سيقرب سلمية المظاهرة - فقال لي أنت بتخرف فقلت له أنا أسف يا أفندم لكن هذه هي الواجبات اللي خارج بيها تنظيمياً ، فقال لي أنت كمان تعالى وقام وأخذني ورماني في البوكس ، وشفت ليلة لن أنسى الحرمان والمذلة اللي شفتها في سجن قسم عابدين طوال هذه الليلة وأننى أريد أن أقر هنا أمام الأخوة أنني لاقيت أحسن معاملة في معتقل القلعة ولكنها كانت ليلة سوداء لن أنساها طوال حياتي في زنزانة سجن عابدين .

السيد الأمين العام :

- يبقى الخطأ من قيادة المنظمة .

السيد . عادل عبدالفتاح

- مساء الجمعة كان هناك معلومات أن طلبة الجامعة يبحضروا لمظاهرة فصدرت التعليمات للتحرك يوم السبت لمواجهة أى موقف وأنه لو حدثت مظاهرة فعليهم أن يحولوا ما بين صدام قوات البوليس بالطلبة ومساء يوم الجمعة أخذوا هذه التعليمات بمنع المظاهرات وإذا حدث أى تحرك فيمنع أى تصادم بين الشرطة والطلبة المتظاهرين وهذه هي التعليمات التي بلغت بس علشان يوضح كلامه .

السيد ناصف عبدالخالق :

- أنا قلت هذا للمعنى .

السيد عادل عبدالفتاح :

- هو كلامه كده ولكنه لم

السيد الأمين العام :

- الكلام كان يوم السبت اللي قبل منع المظاهرات يبقى ده سليم .

سؤال :

هل صدرت توجيهات للصحف بعدم نشر أى أخبار عن المنظمة والاتحاد الاشتراكي ؟

السيد الأمين العام :

- هناك تعليمات بعدم نشر أى شيء عن المنظمة والاتحاد الاشتراكي . مش عايزين دعاية والتحرك يجب أن يكون تنظيميا . وبصراحة فأنا لا أضمن العناصر الموجودة حاليا بالصحافة ولن تفيد الصحافة بل ستضر بالقضية ولذلك كل شيء بالنسبة للاتحاد الاشتراكي والمنظمة موقوف ... ولو عملنا دعاية وإعلانات حيقروا أننا بنعمل دعاية لأنفسنا ... واحنا شغفنا الناس اللي نشروا إعلانات عليهم نقد اد إيه يجب أن نتحرك بأسلوب سياسى وأن نعمل بأسلوب تنظيمى .

سؤال : ما هو أسلوب العمل السياسى بالجامعة ؟
وهل مجموعة الشباب المسلم صيغة جديدة للعمل السياسى بالجامعة ؟

السيد الأمين العام :

- موضوع الجامعة سوف نتكلم فيه بعد انتهاء العام الدراسى ولا بد من عمل خطة تتحرك على أساسها فى الصيف وما جاء على لسان مديري الجامعات موضوع مرحلى فى هذه الفترة حيث أن المنظمة ضعيفة بالجامعة . وبالنسبة لموضوع مجموعات الشباب المسلم فهذا الموضوع جاء فى فترة معينة بحجة مساعدة العمل السياسى لكن العملية أوقفت نهائيا . وهناك تعليمات لتوفيق عويضة بألا يتحرك .. مش هو ده اللي بيتحرك لوحده ولكن المفروض أن تعرف مين تانى بيتحرك .. القوى المضادة بيتحرك ... داخل الجامعة .

السيد السباعي :

- مازالت هناك مجموعات تتحرك داخل الجامعة . فى كلية العلوم والفنون التطبيقية .

السيد الأمين العام :

- هل المنظمة استطاعت أن تسيطر على جميع المؤتمرات فى الجامعة لا ... بالطبع ولذا فأنا أحتاج أن أوجد جهودى فى هذه الظروف خاصة أن المنظمة ضعيفة فى الجامعة .

السيد مهدى عسر :

- سيادتكم ذكرت أن ظروف الجامعة فتحت مجالا للتحرك أمام العناصر الرجعية وهذا يثير تساؤلا أساسيا .. ما إمكان أى فرد فى عمل تنظيم داخل الجامعة أو أى مكان آخر دون الرجوع إلى التنظيم السياسى وما أخشاه هو تشكيل الخمسات الذى يتم داخل جمعيات الشبان المسلمين . وهل يسمح لتوفيق عويضة باستمرار

الاجتماعات .. وقد كان هناك اجتماع يوم الأربعاء الماضى بتجارة عين شمس .
... إن إستمرار هذا العمل بهذا الشكل سوف يعطل حركتنا فى المستقبل ..

السيد الأمين العام :

- التنظيمات الجماهيرية طبعاً لها نشاطها ولكن الفرق هو أن يعمل تنظيم سياسى
خلاف التنظيمات السياسية القائمة وهذا الموضوع أوقف . والأسلوب السليم هو أن
يكون لك ناس فى هذه التنظيمات . والمهم عندى ألا يكون هناك نشاط سياسى داخل
الجامعة لغير تنظيمنا السياسى .. عندما يكتمل بناء التنظيم السياسى . والواقع أن
المنظمة لم تستطع أن تسيطر على المؤتمرات التى تمت داخل الجامعة ولا يجب أن
نحمل القيادة أكثر مما تحتمل ... ولو أنك نشط تستطيع النفاذ والسيطرة على هذه
التنظيمات .

- لازم تكون أقوى وأنشط من هذه التنظيمات .

سؤال :

- ما هى حقيقة الشائعات عن تولى وزارة الشباب الاشراف على منظمة الشباب .

السيد الأمين العام :

- هذا الموضوع سبق أن رددنا عليه من قبل وليس من الممكن أن تحل وزارة الشباب
محل منظمة الشباب .. وكون وزارة الشباب تعمل بمفهوم سياسى فليس معنى هذا
أن توقف منظمة الشباب بل العكس فالوزارة تضع إمكانياتها فى خدمة التنظيم
السياسى ومنظمة الشباب .

سؤال :

- لماذا لا يعقد لقاء بين السيد الرئيس وقيادات الشباب الاشتراكي حيث أن ذلك
يعطى للمنظمة فاعلية ودفعة قوية ؟ .

السيد الأمين العام :

- رأى فى المرحلة القادمة أن نبتعد عن عملية التركيز على التنظيمات السياسية أو
على تنظيم معين . لأن التركيز على التنظيم السياسى فى هذه الظروف معناه إبراز
تنظيم معين وهذا غير مقبول من جانب الجماهير . ولقاء الرئيس بالمنظمة سوف يثير
النقد حول المنظمة وسيكون هناك هجوم مركز على المنظمة ويجب أن نكون واقعيين
فى نظرتنا لذلك .

سؤال : محمد صلاح الدين الاسكندرية

- نحن نشك كثيراً فى أن الصورة لدى الرئيس عن المنظمة مشوهة وغير صحيحة ..
والدليل على ذلك أنه عقب لقاء السيد الرئيس مع مديرى الجامعات جمعت المنظمة
فى الجامعة وكذلك فإن الرئيس لم يشر إلى المنظمة فى أى خطاب من خطابه ..
والسيد علوى حافظ هاجم المنظمة ولم يرد عليه أحد . وكل هذه الأمور تجعلنا نشك

فى أن الرئيس ليس لديه صورة واضحة عما تقوم به المنظمة .

السيد الأمين العام :

– ما يقال فى القواعد من بعض أعضاء مجلس الأمة هو أن السيد الرئيس شكر مجلس الأمة ولم يشكر الاتحاد الاشتراكي والمنظمة فى البيان والرد على هذا بسيط وأنا أقول أن الرئيس شكر مجلس الأمة وهو ماشى . ولكن الاتحاد الاشتراكي والمنظمة باقيان . فلا يمكن أن القائد يشكر تنظيم إلا إذا كان عاوز ينهيه . وبصرف النظر عن انطباعاتكم عن قيادات الاتحاد الاشتراكي فإن التنظيم واحد فى النهاية وفى اجتماعاتى مع اللجنة المركزية قلت لكم أن التنظيم السياسى أصلاً وأخيراً هو الاتحاد الاشتراكي لأنه فى النهاية هو قيادات الاتحاد الاشتراكي المقبلة ويجب أن نعمل على ألا يكون هناك أى انفصال وإذا كان هناك خلافات بين المنظمة والاتحاد الاشتراكي فلا يعنى هذا وجود تناقض بينهما . ولكن لطبيعة وظروف الشباب تعمل له تنظيمات هرمية مستقلة ولكن غير منفصلة عن الاتحاد الاشتراكي . ولقد قاومت باستمرار عملية الدمج ، ولا يمكن أن تخلق حزبان فى الوقت نفسه لهما الهدف نفسه .

وليس هناك شك فى المنظمة . وإذا كان هناك لكان من الممكن اتخاذ قرار بحلها وليس هناك حاجز بين المنظمة وبين السيد الرئيس ومش ممكن يكون فيه تنظيم قائم ومتشكك فيه ويترك وصورة نشاط المنظمة بالكامل موجودة لدى السيد الرئيس . وترفع له كل التقارير ومحاضر الجلسات . والمنظمة كمنظمة سليمة ، وإن ظهر عدد بسيط ليس على المستوى المطلوب ، ولكن لا يمكن أن يشوه هذه الصورة للمنظمة .

سؤال :

– متى سيتم اجراء الانتخابات داخل المنظمة . وما الموقف من جريدة الشباب بالغربية ؟

السيد الأمين العام :

– انتخابات المنظمة سوف تتم بعد انتخابات الاتحاد الاشتراكي بنفس النمط والاسلوب ولكن كما قلت عملية الانتخابات وتفاصيلها لابد لها من بيانات كاملة عن العضوية وفى تصورى أن حجم مؤتمر المنظمة والمؤتمر القومى يتراوح ما بين ١٥٠٠ ، ٢٠٠٠ ولايزيد عن هذا الحجم بأى حال من الأحوال . فكيف أشكل المؤتمر والتمثيل الجغرافى والنوعى به ، وهذا يتطلب اجراء حصر للعضوية ومعرفة حجمها الحقيقى وطريق تشكيل مؤتمر القسم والمحافظة . والمطلوب الآن حصر ميدانى كامل للعضوية فى كل موقع كى نصل إلى الحجم الحقيقى للعضوية كى يمكن على ضوءه وضع الحجم النهائى للمؤتمر .

وبالنسبة لوقف جريدة الشباب بالغربية اتضحت أن الجريدة قبلت إعلانات ، وأنا أقول أن أى جريدة سياسية لا تقبل ولا يجب أن تقبل إعلانات وإلا انقلبت إلى عملية تجارية وقيل أيضاً أن المنظمة تعرض أسعاراً معينة للإعلانات أعلى من أجهزة الإعلان الأخرى ولهذا أوقفنا هذه الجريدة .

تعقيب من أحد الحاضرين :

ـ مكتب تنفيذى القاهرة يصدر نشرة أسماها القاهرة تأخذ إعلانات .

السيد الأمين العام :

ـ صدرت تعليمات لجميع المحافظات بالآلا تصدر أى نشرات أو مجلات سياسية تتضمن إعلانات .

السيد إبراهيم بكر أمين الغربية :

ـ تتردد فى بلادنا مناقشات حول الحرية والاشتراكية ولا بد من أن يكون لنا رأى فى هذه القضايا المثارة . ليس لدينا كوادى حقيقية ملتزمة مؤمنة تحس بنبض الجماهير .. والمجلة محاولة لخلق صحافة إقليمية شبابية . لأنه لا يوجد إلى الآن صحافة إقليمية شبابية فى بلادنا ، وكنا نريد أن نقول أننا كشباب نستطيع أن نطرق كل المجالات وأن نثبت لأدعياء الخبرة وأنا أقصد ذلك .. إنتا كشباب قادرون على طرقت كل المجالات وموضوع الجريدة سيادتكم عندك تقرير كامل عنه . وكل الأجهزة عندها فكرة كاملة عن المجلة أما بالنسبة لتسعييرة إعلانات فقد أقرت من إدارة الاعلانات والإعلان الموجود بالسعر الموجود مش غالى ولا حاجة .. والجريدة بتعبر عن تجربة جديدة فى تاريخ بلادنا وأن فيه على مستوى إقليم شبابا يعملون جريدة بهذا الشكل وأن يكون هناك إعلانات فمن أين نأتى بالتكاليف اللازمة للجريدة . أحنا جمعنا بعض النقود لإظهار العدد الأول وكل شىء موجود ومسجل بالنسبة للحسابات والاعلانات بمعرفة الاتحاد الاشتراكي فلنا موقف سابق هو أن مجلة الشباب العربى تصدر إعلانات ونحن لم نستحدث شىئا جديدا وإذا كان هناك شخص انحرف فيمكن أن يحاسب والعملية التى تمت ما هى إلا عملية نصب وهى أن أحد الأشخاص انتحل شخصية أمين مركز طنطا وصفة مندوب الجريدة .

السيد الأمين العام :

فيه فرق كبير بين الشباب العربى وجريدة الغربية ولا بد من حماية التنظيم فى هذه المرحلة فقد قيل أن المنظمة تفرض إتوات على بعض شركات إعلان وأن واحد انتحل صفة مندوب الجريدة وخلق مشكلات . فلماذا نخلق مشكلات لأنفسنا ولماذا نعرض التنظيم للتجريح فى هذه الظروف الحرجة . فيمكن للجريدة أن تصدر بشكل مبسط وينفس المواد دون إعلانات . وأرى أن نبعد أنفسنا عن أى عملية تجريح للمنظمة فى هذه المرحلة .. وكل النشرات التى تصدر فى القاهرة وأماكن أخرى تكفى نفسها بنفسها .

السيد الأمين العام :

ما طبيعة عمل المكاتب التنفيذية بعد الاستفتاء مع ملاحظة ما أثير فى الصحف حول التخوف من أن يكون هناك تأثير من ماضى الاتحاد الاشتراكي على مستقبله .

السيد الأمين العام :

التنظيم بشكله الحالى يبقى حتى نهاية الانتخابات وفى رأى أن نترك الجماهير ووعياها

ولكن لا يمكن أن نترك فراغ سياسى فى هذه المرحلة . وكون الناس تتأثر بهذا يرجع إلى الناس أنفسهم ولا يمكن أن نقول بعد الاستفتاء للمكاتب التنفيذية مع السلامة إذ من الذى سيقى غير القوى المضادة . وهذا لا يعنى أننا نفرضهم على الناس .

سؤال :

هل هناك اتجاه للاستفادة ببعض العناصر التى قد لا تنجح فى الانتخابات إذا رشحت نفسها ؟

السيد الأمين العام :

العناصر الفنية التى لا يمكن انتخابها لسبب أو آخر يمكن الاستفادة بها فى اللجان الفنية وليس لها حق التصويت فى المؤتمرات ولا تولى القيادة يعطى قرارات ويصدر توجيهات وهذا الموضوع متروك للمستقبل . ولكن التنظيم السياسى كمبدأ عام هو أن الناس المنتخبون هم الذين يتولون القيادة .

سؤال :

هناك قيادات لا ترشح نفسها أو سوف تعود إلى عملها هل هناك نية للاستفادة منها وتصعيدها داخل العمل التنفيذى ؟

السيد الأمين العام :

لا أستطيع أن أقول أى فرد يعود إلى عمله التنفيذى يأخذ موقعا قياديا وكل واحد حسب كفاءته فى مجاله التنفيذى ولا أستطيع أن أقول اتوماتيكيا أن واحداً خدم فى الاتحاد الاشتراكى يتخطى زملاءه لأشياء إلا أنه كان يعمل فى الاتحاد الاشتراكى .

سؤال :

ما صورة الهيكل التنظيمى للاتحاد الاشتراكى بعد الانتخابات ؟

السيد الأمين العام :

لا أستطيع الرد على هذا التساؤل إلا بعد عملية الحصر وتوافر البيانات الكاملة . والعمل السياسى فى المجتمع الاشتراكى قائم على الإنتاج والخدمات ولكن كيف وما هى التفاصيل ؟ وهذا ما لا يمكن تحديده الآن أما المؤكد فهو أن الوحدات الجماهيرية لها الثقل الأكبر .

سؤال :

ما شكل العلاقة بين الجهاز التنفيذى والتنظيم السياسى . وهل من الممكن أن يكون هناك جمع بين المسئولية السياسية والمسئولية التنفيذية فى الموقع الواحد ؟

السيد الأمين العام :

لا بد من فصل العمل السياسى عن العمل التنفيذى ولا يمكن أن يكون المسئول السياسى هو المسئول الإدارى نفسه وإلا لانتفت الرقابة الشعبية فى حالة الجمع بينهما ..

أما تفاصيل العلاقة من مستوى الوحدة حتى اللجنة المركزية فستكون من مهامه

المؤتمر القومى والعلاقة بين التنظيم السياسى والجهاز التنفيذى علاقة موضحها القانون تماما .

سؤال :

هل سيكون الترشيح للانتخابات قاصرا على مسددى الاشتراكات ؟

السيد الأمين العام :

فى الحقيقة أن صورة الانتخابات عن طريق مسددى الاشتراكات وغير مسددى الاشتراكات لا تختلف كثيرا وسوف تحدث محاولات تكتيكية فى الانتخابات ولكن الاشتراطات ليست الأساس ومن هو متأخر فى التسديد يمكن أن يعطى فرصة ويشترك فى التصويت ونحن نشترط لكافة العضوية وستشكل لجنة رقابة لكشف أى تلاعب بغرض غير شريف . والأرقام التى جاءت إلى الآن تدل على أن الأعداد بسيطة .

سؤال : رفعت العزب .. محافظة الغربية :

الحقيقة سنة ١٩٦٥ طلع إيصال الاشتراكات فيه ناس سددت وناس لم تسدد وأنا ألقى المسئولية على الناس اللى كانوا يجمعوا الاشتراكات . وأنا أحب أن أوضح من الذى دفع فى هذه الفترة الماضية . أما الموظفون الذين يخصم من مرتباتهم وأما الفلاحون اللى كان عندهم قطن ويسددون الاشتراكات عن طريق الجمعية وأصبح النهارده الخفير صاحب المصلحة الحقيقية هو الذى لم يدفع ولا يستطيع أن يدفع المبلغ كله مرة واحدة . وبالتالي لن يستطيع أن يدلى بصوته . وأنا أقترح أن نتجاوز عن السنين الماضية ويكون لهم حق التصويت وليس لهم حق الترشيح . وكمان الشباب اللى كان سنه أقل من ١٨ سنة عام ١٩٦٢ وأصبح الآن يؤهل سنه أن يكون عضوا فى الاتحاد الاشتراكى ما موقفهم ولذلك نطالب بالنسبة لهذا الشباب أن تفتح له باب العضوية .

السيد الأمين العام :

فى الواقع أننا لا نستطيع أن نعم العملية وألا يحدث الآتى : وهذا احتمال ممكن ... واحد يلم كذا شخص ويدفع لهم ويعطوا له أصواتهم ولازم يكون فيه عملية محددة وطبقا لقواعد ثابتة ومعروفة . ورغم هذا فقد قلنا أنه ممكن التسديد عن طريق نظام التأخرات ثم لا نستطيع تنفيذ كلام الأخ وإلا تصبح العملية انتخابات عامة وليست انتخابات تنظيم سياسى ولازم نفرق بين العمليتين .

وماذا حدث سنة ١٩٦٢ فى انتخابات لجان العشرين هل تتركه يتكرر طبعاً لا يمكن تكرار ذلك .

أما بالنسبة لفتح باب العضوية للاتحاد الاشتراكى فإن باب العضوية مفتوح من الآن وممكن أن نتقاضى عن عملية الانتساب .

فاروق العشرى : الدرب الأحمر :

هناك قوى مضادة موجودة فى المجتمع وحركة لأعداء قوى الشعب العاملة . أما لسبب فكرى أو شخصى وهناك أشخاص تحتاج لقوى أكثر مما حدده المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية الذى حدد من هو الشعب ومن هم أعداء الشعب أن هناك كثيرين من أعداء الشعب يتحركون الآن . وأذكر على سبيل المثال علوى حافظ الذى شكك فى

القيادات وفى جمال عبدالناصر وطبع نشرة يهاجم فيها القيادات فى فترة حرجة علوى حافظ الذى طالب بأن نهادن أمريكا ، وقال تمسك العصا من الوسط ، الكلام نفسه اللى بيتحاكم عليه شمس بدران ، هذا الرجل لماذا يوضع داخل المكتب التنفيذى ؟ ، لماذا هذا التناقض الموجود ؟ ، نحن محتاجون إلى مزيد من الحسم والحزم . ولابد من عزل بعض الأشخاص المنحرفين ، ومطلبى الوحيد : لماذا لا يحدد موقف واضح من العناصر المنحرفة ؟ .

وفى سنة ١٩٦٢ تم عزل أعداء الشعب هل التهارده يمكن أن نهادن أعداء الشعب ؟ ، لماذا لا تكون لجان تحدد وتدرس هذه الحالات فيه مد رجعى هذه الأيام ويجب أن يكون هناك حماية للشعب من أعداء الشعب .

السيد الأمين العام :

العمل السياسى معناه أن نسقط المنحرف . ويجب ألا نعتمد على التصرف الإدارى فقط وألا نستسهل مثل هذه العملية الإدارية أو هذا الاجراء أو نعمل مثلا قائمة بالأسماء المنحرفة يجب بواسطة العمل السياسى والتنظيم السياسى أن نسقط المنحرفين وهذا لا يعنى أن ننهى السلطات التأديبية للتنظيم السياسى ، وهناك فرق بين التنظيم السياسى والعمل الإدارى وهناك خطورة على أى تنظيم سياسى من أن يستخدم سلطاته التأديبية كثيرا وبسهولة فقد يؤدى هذا إلى جمود حركة التنظيم السياسى وخوف من التحرك المشروع ونوع من الإرهاب فى داخل التنظيم لا كلام عن الأشخاص لا استخدام للسلطة التأديبية إلا فى أضيق الحدود . لا توجد الآن مراكز تخضع لغير قوى الشعب . أحب أقول لكم أنه لو تستخدم السلطة الإدارية بكثرة داخل التنظيم ما كنش يحدث ما حدث الآن داخل هذا الاجتماع اللى فيه جدل ومناقشة وأنتم بتعارضونى .

السيد حسن محمد حسن - الاسكندرية :

منظمة الشباب فى فترة من الفترات نوهت عن مراكز القوى ولم يحدث تحرك من قيادة التنظيم وكانت النتيجة حدوث النكسة .. والتنظيم بدون معلومات لا قيمة له . هل التنظيم هو جهاز إرسال فقط وليس جهاز استقبال رغم وجود انحرافات متعددة فى الأجهزة المختلفة والإبلاغ عنها ، ولا يرد عليها أحد وبهذا يصبح التنظيم مجرد شكل بدون مضمون .

السيد الأمين العام :

أنا لا ألغى السلطة التأديبية للتنظيم السياسى ولكن يجب أولا أن نتحرك بالعمل السياسى لكشف العناصر المنحرفة ومراكز القوى هى المراكز التى لا تخضع إلى رقابة شعبية .

ولما قلت لى تقارير لو أخذت بها القيادة لفصلت جميع القيادات بما فيها أنتم وأنا لا أستطيع أن أقول سوف أعزل فلان وأعين فلان وألا سوف تكون هناك لخبطة ... لازم نعمل ديمقراطية أولا ثم السلطة التأديبية فى المقام الثانى ، والعمل السياسى ليس عمل يوم .. ولكنه عمل سنوات وإعداد قائمة بعزل بعض الأشخاص ليس هو الحل .

سؤال : نبيل سلام - القاهرة :

- نحن لا نريد الحديث عن أفراد نحن نريد إرساء قواعد وقيم تنظيمية الكلام اللى ذكرته

سيادتك لا ينطبق على هذه الحالة على وجه التحديد ، الوقائع التي ذكرت عن علوى حافظ ليست تنظيمية .. علوى حافظ جرح قيادات المنظمة وهو عضو مكتب تنفيذى وقال إنهم أحد نوعين : خريجي سجون أو شيوعيين ... وقال هذا الكلام فى مجلس الأمة وهو بهذا يعتبر قد جرح النظام والبلد وهو داخل تنظيم سياسى كان من الممكن لعلوى حافظ وهو عضو مكتب تنفيذى أن يتكلم وينقد الشباب تنظيميا وما حدث من علوى حافظ هو انحراف تنظيمى بجانب أنه انحراف سياسى . علوى حافظ كان أمامه أمين الشباب أو حضرتك وينقد زى ما هو عايز ويقول رأيه ، ونحن نتكلم عن هذا الموضوع ليس كشخص ولكن لإرساء قيمة ، كمان قيل زميلى اللى سيادتك قلت له ... نعمل معاك تحقيق لو تسكت أنا أخشى أن يكون قيل لعلوى الكلام نفسه نعمل معاك تحقيق وإلا تسكت ضرورى يبقى فيه تقليد أنا غلطت نعمل لى محاكمة تثبت بالتحقيق أخرج بره ...

موضوع علوى الجماهير كلها قالت .. الخط السياسى بتاعنا ضرب فى الدرب الأحمر كلام علوى كان ضرب للخط السياسى لبلدنا والجماهير بتسأل أحنا فين ؟ وبعدين يأتى علوى حافظ عضو مكتب تنفيذى وبعدين نقول لا نلجأ إلى السلطة التأديبية إذا كان هناك خطأ فلابد من المحاسبة .

السيد الأمين العام :

برضه مش حتكلم عن أشخاص ولا يمكن أن نخرج من هذا الاجتماع وتأخذ منى كلمة وأنا ما قلتش لزميلك تسكت أو أحقق معاك أنا قلت له هل توافق أن يحقق معك وما قلتوش تسكت أو متسكتش أنا لا أستطيع أن أعطيك كلمة حول أى شخص فى هذا الاجتماع ممكن واحد يخرج بره التنظيم ويخطئ ولا أحاسبه لأننا بشر وهذا الموضوع بالذات أنا لا أرد عليه لأنى ملتزم تنظيميا .

السيد علم الدين ثابت :

نحن لانتكلم عن الأشخاص وموضوع علوى حافظ أخذ منا وقتاً كثيراً وهو لا يستحق هذا الوقت ، والمسألة الآن : ما وضع التنظيم فى المجتمع ؟ ، هل التنظيم مؤثر ؟ هل التنظيم له صوت ؟ هل له حيوية ؟ فى الحقيقة داخل القرية لا توجد ديمقراطية اجتماعية ، لقمة العيش لا تزال سيفاً مسلطاً على رقاب الفلاحين ، الراجل بينتخب اللى بيشفله واللى يسلف له . ما نتيجة الانتخابات القادمة ؟ أنها سوف تبرز العصبية ، وسوف تبرز الرواسب القديمة وسوف تفرض هذه العناصر وتأتى بها إلى المؤتمر واللجنة المركزية فى الحقيقة مفيش فى بلدنا ديمقراطية اجتماعية .. والمعركة تستلزم سيطرة كاملة والانتخابات سوف تفتت الجبهة الداخلية وسوف يحدث قتل وخلاف بين العائلات أن لم يحدث هذا كله ، أجهزة الأمن كفيلة بتوزيع الموضوع على العائلات وقد جاء بالبيان أنه لا صوت أعلى من صوت المعركة ، فهل المعركة الآن لها أعلى صوت ؟ من ساعة ما تكلمنا لم يتعرض أحد للمعركة ، المعركة ليس إلا آخر صوت فى المجتمع ، المعركة تستلزم قيادة حازمة . لابد من تغيير أجهزة الإعلام . كل من ناقشوا البيان لم يناقشوه مناقشة موضوعية لم يتعرض أحد فى مناقشته إلى التحدث عن الانتخابات مثلاً البيان له مبادئ كويسة جدا .. لكن ما ضمان تنفيذ ما جاء بالبيان .

السيد الأمين العام :

ما البديل .. الكلام اللى بتقوله ده تعجيز هل نأخذ بمبدأ التعيين ؟ ، هل تستطيع أن

تشكل مؤتمراً من ١٥٠٠ واحد ملتزمين بالميثاق ومؤمنين بتحالف قوى الشعب العاملة ؟ أنت تفترض أن المؤتمر سيكون رجعياً وتسأل ما ضمان التنفيذ ؟

الضمان الوحيد هو الديمقراطية وليكن المؤتمر القادم من وجهة نظرك رجعياً لكنه أحسن من المؤتمر السابق ، والشعوب لا تبني في سنة أو اثنتين ولكنها تبني في أجيال وإذا كنا اليوم نرفض الانتخابات متى إذاً نبدا ... نحن لا بد من أن نبدا بدخول الانتخابات ، فإذا رفضنا الانتخاب اليوم كيف سوف ندخله في المستقبل ؟ ، إن القيادة السليمة لا بد من أن تقرزها الجماهير وإذا حملتني مسئولية اختيار مركز واحد وهو مركزي لما تحملت هذه المسئولية بالشروط الموضوعية ولا أنت في مركزك ، وإلا كنتم أخذتم قيادات كويسة في الاتحاد الاشتراكي نحن حتى اليوم لا يزال التغيير مستمرا ، لا بد من أن يتحمل الشعب المسئولية ولا تتحمله القيادة وحدها ، المسئولية في هذه المرحلة إذا كنا مؤمنين بأهدافنا فيجب أن ننزل إلى الشعب ونوعيه ونعرفه مصلحته فين .

والبيان في ذلته أعلى صوت للمعركة وإلى أن تبدأ المعركة العسكرية فالمعركة هنا ، ولا بد لها إلا بالتماسك القوى المؤمن بالتحول الاشتراكي وتحالف قوى الشعب العاملة والتنظيم السياسي السليم .. ولا بد من بناء التنظيم على أسس ديمقراطية ، فهذا هو السند الأول والآخر للمعركة والجبهة الداخلية الآن هي هدف العدو والمعركة الداخلية لا بد من أن نكسبها وفي السنتين الماضيتين بذلت جهود لتوضيح مفهوم العمل السياسي وهذا سوف تكون له آثاره في المعركة الانتخابية .. المعركة هنا لا بد من أن نكسبها ولنترك للناس فرصة أن تختار وتستفيد من المواقف التي تقابلها .

تقرر أن يدخل جميع أعضاء المنظمة فوق ١٨ سنة أعضاء عاملين في الاتحاد الاشتراكي ليشتركوا في عمليات الانتخابات والترشيح أيضا .

سؤال :

- ما دور المنظمة في الانتخابات ؟

السيد الأمين العام :

- هذا ما قلته أن تتقدم للانتخابات وترشح في الاتحاد الاشتراكي .

سؤال :

- ما العلاقة بين اللجان المنتخبة ولجان المنظمة بعد ذلك ؟

السيد الأمين العام :

- هذه عملية سننظمها بعد ذلك ثم بعد كده كل المستويات التنظيمية في المنظمة ستكون منتخبة أيضا .

سؤال :

- استفسار خاص عن موضوع استقالة زكريا محيي الدين ؟ .

السيد الأمين العام :

- وأنا برضه إذا كنت سأتكلم في هذا الموضوع وخاصة كعملية مبدأ بنعمل بيه وهو الذي يترك دور تبرير لذلك جماهيرنا حتى لا يقال أن فلانا كذا وعلانا كذا وحاجة

أخرى عالمية وهذا معترف به دوليا وهو أن أى واحد فى تنظيم سياسى استقلال لا أحد يقول أن فلان استقلال لأسباب كذا أو أن أى حزب يطلع نشرة ويقول أن فلان استقلال لاية أسباب سياسية . وهذا موضوع تنظيمى واحنا شايفين العالم كله . مكنمارا استقلال .. ويراون استقلال ، ولا أحد قال لماذا استقلالوا وأنا قلت أن هذا مبدأ تنظيمى وأخلاقى أيضا .. كل الدنيا بتعمل كده ..

سؤال :

ما سبب عدم نشر مراقعات الدفاع ؟

السيد الأمين العام :

اتجاهات الراى العام لا تهتم بالمحاكمات الآن وأوضح الرئيس فى بيانه أنه لسبب أخلاقى جعلت المحاكمات علنية ومفيش دولة فى العالم حاكمت رئيس مخابراتها وقياداتها علنا (ولابد من أن ينشط كل عضو فى موقعه وأن يتصدى للقوى المضادة المتربصة بفرض القضاء على تحالف قوى الشعب العامل . ويجب أن تعملوا فى وحدتكم الأساسية وتختاروا العناصر المخلصة الصالحة . وتتصدوا لآى عناصر منحرفة .

سؤال : أحمد عبدالوهاب - الاسكندرية :

سيادتكم وضحت أن فيه قوتين تتصارعان على جذب الجماهير .. القوى التقدمية والقوى الرجعية .. لو طبقنا ذلك فى الجامعة التى ليس بها عمل سياسى وأن التحرك يتم من خلال عميد الكلية فكيف ذلك ؟

السيد الأمين العام :

أنا رددت على موضوع الجامعة بما فيه الكفاية وأنا عارف اللى موجود فى الجامعة وأن هذا لضعف منظمة الشباب فى الجامعة ولو منظمة الشباب فى الجامعة قوية ومسيطرة على الحركة السياسية كنت أطلقت حركتها داخل الجامعة .

أحمد عبدالوهاب :

لكن سيادتكم هل من الأفضل أن نترك القوى المضادة تتحرك فى الجامعة وتشكك فى البيان ؟

السيد الأمين العام :

فى كليتك اتحرك وتصدى لهم ودافع عن البيان ومفيش ما يمنع من ذلك .

أحمد عبدالوهاب :

فى كلية الهندسة فى الاسكندرية حولنا عمل اجتماعات ومؤتمرات ولكن السيد عميد الكلية قفل المدرجات وكان عليها حرس .

السيد الأمين العام :

لو أنا مطمئن أن المنظمة قادرة فعلا على قيادة الجامعة ، لفتحت المدرجات لازم تعترفوا بضعف المنظمة فى الجامعة وأنه قلت الزمام منكم .

مذكرة مقدمة من السيد المحافظ أحمد كامل عضو التنظيم (مجموعة السيد سامي شرف)

١ - جامعة أسيوط :

أ - من مدة وجيزة أمضيتها هنا أحس أن الجامعة تحاول أن تعزل نفسها بدعوى استقلال الجامعة ، وأنا متأثر بتوجيهات سيادة الرئيس عن استقلال الجامعة أثناء مناقشتها في أحد اجتماعات الأمانة .

ومشاكل الجامعة هنا كثيرة للغاية أغلبها نتج عن عدم التخطيط السليم ، سواء في بنائها أو في قبول طلبتها ، وهي تشكل ضغطاً على أسيوط من حيث مشاكل عمالها ومشاكل طلبتها الكثيرة . وأرى أن استقلال الجامعة بالنسبة لجميع نواحيها الفنية والعلمية مكفول ، أما من الناحية الإدارية فإني لا أعقل أن تكون كما تتصور نفسها مستقلة وإلا فإنها تشكل "دولة داخل الدولة" .. فقد وصلت إلى شكاوى كثيرة من عمال الهندسة ومن كثير من الطلبة .

وإني إذ أسأل الرأي ، فأرى من واجبي أن أتدخل في هذه الأمور التي قد تستلزم تدخلاً سريعاً وإلا فإن الطلبة والعمال سوف يعيشون تحت سيطرة الجامعة ولا يجدون من يتدخل لإصلاح بعض الأخطاء .

ب - قابلت السيد مدير الجامعة وأغلب هيئة التدريس وانتطاعاتي هي :

(١) أن السيد مدير الجامعة يظهر أنه رجل ضعيف وأنه يحاول أن يقلد سلفه ولكن بغير قدرات .

(٢) أن السيد التهامي عبد الرحمن يظهر على أنه شخصية محترمة لها وزنها ، متين وعقل .
(٣) أن مدة السيد مدير الجامعة حسين فهمي تنتهي في فبراير القادم ومعنى ذلك أنه سوف يقضى إلى نهاية السنة الدراسية .

أقترح

أن انضم السيد التهامي عبد الرحمن إلى مجموعتي في التنظيم على أن يوضع تحت الاختبار الدقيق طوال فترة شغل السيد حسين فهمي كمدير للجامعة ، على أنه إذا اجتاز فترة الاختبار يمكن أن أقترح تعيينه مديراً للجامعة . والذي دعاني إلى هذا الاقتراح أن أظهر لي أنه مستعد للتعاون معي إلى أقصى حدود التعاون للقضاء على عزلة الجامعة عن المجتمع وهو ما نحتاجه ، ويضمه إلى مجموعتي يمكن أن يتم التوجيه داخل الجامعة عن طريقه .

ج - الموقف في كلية الطب بجامعة أسيوط يتلخص في عدم وجود مستشفى جامعي لتدريب الطلبة - وهي مشكلة كبرى - نتيجة لعدم بناء المستشفى الجامعي حتى الآن ، إذ أن أساساته موجودة من ثلاث سنوات ولم يتخذ أي إجراء بعد ذلك لبناء المستشفى ..

والحلول المقترحة كلها تنسم بعدم الواقعية ، فمن نقل للمستشفى إلى القاهرة أو إلى أي مدينة في الصعيد يعتبر كلام غير عملي يحمل الدولة مصاريف لا طائل ورائها علاوة على أنه لن يفيد الطلاب بل قد يضرهم .

ويظهر بوضوح أن الحلول التي تقترح باستمرار تتوخى الصالح الشخصي لبعض أفراد هيئة

التدريس بكلية الطب دون النظر إلى المصلحة العامة .

اقترح

أن تخصص المستشفى الأميرى بأسسوط بحيث تصبح مستشفى جامعى تخضع كلها لادارة الجامعة للأسباب التالية :

(١) أن المستشفى سوف تصل سعتها فى يوليو القادم إلى ٢١٠ سرابر وهى حاليا ٢٢٠ سريراً .

(٢) يمكن توفير ٦٠ سريراً فى مستشفى المبرة .

(٣) بذلك يكون المجموع من ٢٩٠ الى ٢٧٠

(٤) يمكن تدبير عدد من السراير أكثر ببعض التعديلات فى إقامة الممرضات بالمستشفى

(٥) احتياجات كلية الطب الحقيقية هي ٤٠٠ سرير للثلاث سنوات القادمة فكونها تعمل بنقص طفيف أفضل من أن لا تعمل إطلاقاً أو الاقتراحات الغير عملية بنقل الطلبة الى القاهرة أو أى مدينة أخرى .

وقف أمام هذا الحل عدم إتخاذ إجراء ثورى ، إذ أن وزارة الصحة صممت أن تقوم الجامعة بعداد المستشفى بالموظفين والممرضات .. الخ مع علم وزارة الصحة بأن الجامعة ليس فى قدرتها شغل هذه الوظائف .

وهنا اقترح أن تلحق المستشفى بموظفيها وممرضاتها وأطباؤها على الجامعة طوال السنوات الثلاث القادمة ذلك حتى تتوحد الجهة الادارية القائدة إذ أن الكثير من الخلافات بين أطباء الصحة وأطباء الجامعة تسبب ضياع المسئولية والكثير من الإهمال فى العمل بل التنازع بين الأطباء .

وفى الفترة القادمة يتم الآتى :

(١) تبدأ الجامعة فى استكمال اعداد الأفراد اللازمين للعمل بالمستشفى الجامعى تدريجياً .

(٢) يسحب عطاء بناء المستشفى الجامعى من الدكتور سيد كريم ويسلم إلى الجهة المسئولة عن تنفيذ مبانى الجامعة حتى تبدأ فى إجراءات البناء .

(٣) أن يتم بناء المستشفى الجامعى على مراحل وعند إتمام كل مرحلة تجهزها الجامعة وتسحب نفسها تدريجياً من المستشفى العام حتى بعد إنتهاء هذه المراحل تبقى على المستشفى العام ويكون قد تم إنشاء مستشفى الجامعة .

وفى رأى أن هذا هو الحل الوحيد لمشكلة تدريب الطلبة على أن تعزز كلية الطب فوراً وأن يتم هذا الإجراء عاجلاً حتى لا تضيق فرصة التدريب على الطلبة .

د - أن كلية الطب على الرغم من الحالة السيئة التى هى عليها فإنه ليس لها عميد ، فالعميد المعين حالياً هو مشرف معين من المعاش بمكافأة ، وهو لا يمكنه السيطرة على الطلبة وهىة التدريس بها كما أنه ليس لديه الخبرة بمشاكل كلية الطب ، وأرى أن الوضع الحالى كان يستلزم وجود عميد حازم يمكنه تسيير أمور الطلبة وله خبرة واسعة بمشاكل كليات الطب .

وكان معيناً قبل ذلك الدكتور عبد الوهاب البرلسى عميداً لهذه الكلية ولكنه نقل نتيجة لخلافاته مع الدكتور حزين ومازال كرسيه بالكلية شاغراً ، كذلك فإن اقدميته تؤهله لشغل منصب وكيل الجامعة .

اقترح

أن يعين عميداً للكلية الدكتور عبد الوهاب البرلسى خاصة فى هذه الفترة الحرجة من تاريخ الكلية . ويمكن أن يعين مستقبلاً وكيلاً للجامعة على أن يظل مشرفاً على كلية الطب نظراً لخبرته الطويلة فى هذه الكلية بالذات لأنه ملم بجميع مشاكلها .

هـ - مررت على الكثيرين من الطلبة الجامعيين ، ووجدت أن مشاكلهم لا حصر لها وأن هذه المشكلة لا تحل حلاً سريعاً للعجز المادى سواء فى الجامعة أو فى المحافظة عن حل هذه المشاكل .

والناحية المادية هى الناحية المؤثرة ، فأغلب الطلبة من أبناء فقراء ولو أنهم يرسلون إلى الطلبة ما متوسطه ٧ جنيهات شهرياً . والطلبة قسمان :

(١) القسم الذى يعيش فى المدينة الجامعية ويدفع خمسة جنيهات شهرياً نظير المأكل والإقامة .

(٢) القسم الذى يعيش خارج المدينة الجامعية أى فى مدينة أسيوط وهؤلاء فى حالة سيئة للغاية ، فهم يدفعون مبلغاً يتراوح ما بين جنيهين ونصف وثلاث جنيهات ونصف نظير السكن فقط ويمكن تصور كيف يعيش بياقى المبلغ .

والمصاريف تتلخص فى الأكل وفى الكتب والمذكرات الجامعية وهى لا تكفيه إلا ليعيش على اكل ضعيف للغاية - رأيت بنفسى - علاوة على ما يتحمله الآباء من مصروفات تهرق أغلب العائلات .

اقترح

(١) أن يعاد النظر فى نظام التنسيق ، فإنه فى نظرى قد خلقت جامعة أسيوط لتخدم الصعيد وإلا فإن معنى إرسال المجاميع المتأخرة إلى أسيوط سوف يجعل منها جامعة متخلفة على مدى الأيام .

(٢) أن السيد الرئيس يشمل برعايته الشباب برجاء قبول الاقتراح بأن يفتح لنا اعتماد يأمر به السيد الرئيس ليشكل منحة السيد الرئيس لمعونة الطلبة الجامعيين تحت إشراف المحافظة وفى رأى أن هذا يعطى الفرصة لارتباط الشباب الجامعى الذى يعيش فى هذه الضائقة بالثورة والالتحام بها .

٢ - مستشفى المبرة بأسيوط "سابقاً مبرة محمد على"

تعرضت هذه المستشفى فى الماضى إلى إدارة بعض الرجعيين . وقد تم حل مجلس الإدارة السابق ، وبناء على القرار الجمهورى رقم ١٢١٠ لسنة ٦٤ أعيد تشكيل مجلس إدارتها بقرار وزارى رقم ٤٧ لسنة ٦٥ بناء على اقتراح المحافظ .

جاء التشكيل الجديد ببعض التيارات الرجعية وعناصر غير صالحة .

اقترح

أ - حل مجلس الإدارة الحالى

ب - تعيين مفوض له سلطات مجلس الإدارة على أن يكون فنياً وذا خبرة

ج - يبقى هذا الوضع مؤقتاً لحين اقتراح مجلس إدارة جديد يعد دراسة تفصيلية للموقف للوصول إلى أفراد ثوريين .

بيان

باسماء المصابين نتيجة ضرب الشرطة على مظاهرة حلوان

يوم ٢١ / ٢ / ١٩٦٨

- ١ - المواطن على أحمد متولى
 - ٢ - المواطن فتحى عباس حلمى
 - ٣ - المواطن عبد الغنى محمد محمد
 - ٤ - المواطن على محمد عبده
 - ٥ - المواطن محمود عبد المقصود
 - ٦ - المواطن رضا عبد العزيز السيد
 - ٧ - المواطن محمد المعتصم إبراهيم
 - ٨ - المواطن محمد رضا محمد
 - ٩ - المواطن ناصر حامد أبو سعيد
 - ١٠ - المواطن عبد العزيز إبراهيم
 - ١١ - المواطن مصطفى محمد سيد
 - ١٢ - المواطن سعيد حسين طه
 - ١٣ - المواطن شوقى عبد العزيز
 - ١٤ - المواطن حسن عبد التميم عبد الرازق
 - ١٥ - المواطن فاروق فرج السيد
 - ١٦ - المواطن محمد حسن مندور
- عضو منظمة
- عضو منظمة
- عضو منظمة
- عضو منظمة

- ١٧ - المواطن عبد التواب طه
 ١٨ - المواطن لطفى غبريال دربال
 ١٩ - المواطن علا الله محمد أنور
 ٢٠ - المواطن نعيم علي السعيد
 ٢١ - المواطن هاشم كيلاني الخياط
 ٢٢ - المواطن عيد ابراهيم كامل محمد
 ٢٣ - المواطن حمدي محمد أحمد
 جميع المصابين بإستثناء اثنين من مصانع الطائرات رقم ٣٦ و ١٣٥ و ٣٦٠ بطوان

عضو منظمة

تقرير عن وحدة منظمة الشباب بمستشفى حلوان يوم ٢١ / ٢ / ٦٨

في تمام الساعة الثامنة من صباح يوم الاربعاء ١٩٦٨/٢/٢١ فوجئنا بوصول عدد من المصابين نتيجة للمظاهرة التي حدثت .
 تحرك مقرر الوحدة فوراً ومعه أعضاء المنظمة بالوحدة وتم تقسيم الأعضاء إلى الفرق الآتية :
 - فرقة لنقل المصابين من عربات الاسعاف إلى قسم الاستقبال .
 - فرقة لنقل المصابين من قسم الاستقبال إلى غرفة العمليات والأقسام الداخلية .
 - فرقة للمساعدة في الاسعاف داخل قسم الاستقبال وقسم العمليات .
 - فرقة لنقل المصابين من قسم الاستقبال والعمليات إلى قسم الأشعة .
 - فرقة لنقل المصابين من المستشفى العام إلى مستشفى العظام .
 - فرقة لاعداد الليمون والشاي وتوزيعه على المصابين ومن معهم من الذين نقلوا إلى الأقسام الداخلية بالمستشفى واستقروا بأماكنهم .
 - فرقة لقيادة الجماهير الآتية من الخارج للاستدلال عن المصابين وإرشادهم إلى أماكن المصابين .
 - فرقة مقسمة على العنابر والأقسام لخدمة المصابين بصفة دورية طول مدة وجودهم بالمستشفى .
 - تكوين مجموعة للرد على الشائعات المفروضة والرد على ما يروج منها وتهدة الجماهير وتتولى منظمة الشباب الرعاية بنفسها في هذه الظروف .
 ونأمل من الله التوفيق

مقرر الوحدة

محمد المسلمي

افاد السيد / صلاح الشرنوبى بأن مقرر الوحدة يقوم بواجبه على اكمل وجه

أولاً : عرض عام للموقف إزاء أحكام الطيران

- (١) يوم الثلاثاء ١٩٦٨/٢/٢٠ :
 بمجرد إذاعة الأحكام إتضح بجلاء استنكار الجماهير لهذه الأحكام وقد قامت سكرتارية لجنة المحافظة بناء على تكليف من اللجنة المركزية بطلب قياس رأى عام حول هذا الموضوع من الأقسام والمراكز على أن يصل في نفس اليوم .
 .. تم تكليف كل المستويات بعمل نوياتجيات مستمرة يقوم بها الأمين أو سكرتير اللجنة .
 .. تم تجميع الرأى العام وارسل إلى اللجنة المركزية في الساعة الثامنة مساء .
 (٢) الاربعاء ١٩٦٨/٢/٢١ :
 - ورد من اللجنة المركزية في تمام الساعة الثانية صباحا ما يحدد اسلوبا لحركة أعضاء التنظيم في مستوياته المختلفة وتتلخص في :

- * مشاركة الجماهير وعدم الاصطدام بها
- * قيادة كل أشكال التعبير عن مظاهرات ومسيرات

- ابلغت هذه التعليمات الى كافة المستويات

- اتفق هذا اليوم مع موعد الطلاب العالمى وكانت خطة اليوم تستهدف التعبير عن يوم الطلاب العالمى فى الدرس الأول فى كل كلية - ولو أنه صرح من قبل ادارة الجامعة بعقد بعض الكليات مؤتمرات كان أبرزها مؤتمر الحقوق وطب القاهرة وتجارة القاهرة وكانت القضية التى فرضت نفسها هى قضية الأحكام واستهجان المؤتمرين بها .

- كان موعد مؤتمر الهندسة فى الساعة الواحدة والنصف وفى نهاية هذا المؤتمر كانت قد وصلت انباء مظاهرات حلوان وموقف رجال الأمن منها - مما أدى إلى إلهاب الموقف فى المؤتمر .

- خرجت مجموعة من كلية الهندسة على هيئة مظاهرة بقيادة أسامة غيث من كلية الاقتصاد ومحمد فريد حسنين ورشيق رفعت من الهندسة وكان عددهم ثلاثون فردا وتوجهوا الى كلية التجارة ثم إلى العلوم وقد تعاطف معهم فى كل كلية عدد من الطلبة ودخلت المجموعة الى مدرج ٧٨ بكلية الآداب وتحول أسلوب التعبير الى مؤتمر - والتهب الموقف فى المؤتمر نتيجة استشهادهم بقول فتاة عائدة لتوها من حلوان ورفعت مجموعة من الشعارات المتناقضة داخل المؤتمر أغلبها كان يعنى الاتجاه عن لجنة تنفيذية مثلت فيها كل كلية بطالين واستهدفت تلك اللجنة مقابلة السيد الرئيس جمال عبد الناصر لإبلاغه بمطالب الكلية لفقدان الثقة فى كل المواصلات بين الطلاب والسيد الرئيس كما تواعد المؤتمرون على لقاء آخر صباح السبت لهدفين ..

الأول .. التأكد من سلامة زملائهم أعضاء اللجنة التنفيذية يوم إعتقالهم ..

والثانى .. عرض لما توصلت إليه اللجنة ونتائج اتصالاتها بالسيد الرئيس .

- انتقلت اللجنة التنفيذية الى لقاء مع السيد وكيل الجامعة حضره السيد طعيمة الجرف أمين مكتب تنفيذى محافظة الجيزة والسيد / ابراهيم محمد توفيق أمين شباب محافظة الجيزة والسيد / عصمت الرخاوى من المباحث العامة ولحق بالاجتماع السيد الدكتور محمد موسى احمد مدير الجامعة وتم فى هذا اللقاء محاولات عن طريق ادارة الجامعة للاتصال بمكتب السيد الرئيس - كذا جرى اتصال بين الجامعة وبين السيد لبيب شقير وزير التعليم العالى .

وكان الاتجاه بين الطلاب (اللجنة التنفيذية) الى الاعتصام داخل اسوار الجامعة وعدم مغادرتها حتى يتم موعد مع السيد الرئيس .

ولما كان الطلاب لم يتفقوا بعد على فكر موحد لعرضه على السيد الرئيس حيث أنهم قد اختلفوا فى صياغة قراراتهم ولما كانت المنظمة قد كلفت أحد أعضائها وهو علاء حمروش مقرر وحدة الآداب للانضمام للمجموعة للسيطرة على ما يصدر منها من مطالب ورغبة فى عدم اعتصامهم فى الجامعة فقد اتفق على انتقالهم الى مقر مكتب تنفيذى الجيزة لاستكمال مناقشاتهم حول مطالبهم . واستمر تواجدهم الى الساعة الثانية من صباح الخميس ١٩٦٨/٢/٢٢ .

(٢) الخميس ١٩٦٨/٢/٢٢ :

وقد وافق هذا اليوم عطلة عيد الوحدة ..

- تجمع الطلاب فى العاشرة والنصف صباحا بجامعة القاهرة للاتفاق على الصياغة النهائية لمطالبهم وللتنجيم لمقابلة السيد / سامى شرف سكرتير السيد الرئيس للمعلومات بصحبة السيد الدكتور موسى احمد مدير الجامعة وفى تمام الساعة الثانية عشر ظهراً . كوعده لهم فى اليوم السابق .

- غيرت ادارة الجامعة موقفها وظهر ان هناك عدة تبريرات للحيلولة دون توجيههم إلى مكتب السيد الرئيس منها .

عدم شرعية العمل الذى يقومون به . وعدم شرعية تمثيلهم لاجمالي الطلاب البالغ عددهم ٥٥ ألف طالب .

- جرت اتصالات عن طريق ادارة الجامعة مع مجلس اتحاد طلاب الجامعة تستهدف دعوتهم لعقد اجتماع طارئ لتوضيح موقف الاتحاد من هذه الحركة وإظهار استنكاره لها .

- حضر السيد الدكتور لبيب شقير وزير التعليم العالى للقاء اللجنة التنفيذية واثار موضوع عدم الشرعية وقضية عدم تمثيلهم للطلاب - ثم قضية الانحرافات التنظيمية فى الأسلوب الذى تم اتخاذه

فى التعبير عن وجهة نظرهم مثل المرور على الطلاب بالكليات المختلفة أثناء الدراسة للتهييج والإثارة وافتعال موقف جماهيرى وفرض أنفسهم عليه .

ثم طرح أسلوب للعمل لا بد من اتباعه وهو أن تحال المطالب المتعلقة بكل جهاز من الأجهزة القائمة داخل الجامعة لدراستها ثم تبقى قضية الأحكام ويتم رفعها ببرقية منهم كأفراد إلى الرئيس للنظر فيها .

تبيت فى لقاء السيد الوزير قضية المؤتمر الذى تم الاتفاق على انعقاده يوم السبت وقد حدد السيد الوزير موقفاً خاطئاً يقضى بعدم عقد أى مؤتمرات يوم السبت فاقترحت عليه اللجنة مجموعة من الاقتراحات منها ..

أن تدعو إدارة الجامعة الاتحاد الاشتراكى أو اتحاد الطلاب أو منظمة الشباب إلى عقد هذا المؤتمر بشكل شرعى ويعرض فيه نتيجة ما توصل إليه .. ولكن السيد الوزير رفض هذا الاقتراح .
- انصرف السيد الوزير وكان الموقف ملتهباً داخل اللجنة ومشحوناً بعواطف متعددة على اثر تهديد سيادته الطلاب بأنه ستتخذ ضدهم إجراءات رادعة إذا انعقدت أية مؤتمرات .
- انصرف الطلاب بعد ذلك كل إلى منزله .

يوم الجمعة ١٩٦٨/٢/٢٢ :

- اتضح فى هذا اليوم أن هناك إصراراً من جانب الطلاب لعقد المؤتمر فى موعده وجرت بالفعل بعض الاتصالات بين الكليات المختلفة للتمهيد لهذا المؤتمر .

- فى مواجهة هذا الموقف عقد اجتماع بمقر اللجنة المركزية برئاسة السيد الدكتور / عادل عبد الفتاح حضرته بعض قيادات المنظمة ببعض كليات الجامعة بهدف الاستعداد لما هو متوقع يوم السبت - طرحت فكرة أن تبادر المنظمة بعقد مؤتمر تمتص فيه شحنات الطلاب ويتم فيه التعبير عن آرائهم تحت السيطرة الكمية لأعضاء المنظمة وكان القرار أن لا بد من إجهاض أية محاولة للتجمع أو للتظاهر أو عقد مؤتمر يوم السبت على أن تبادر المنظمة بعقد مؤتمر آخر فى أسرع وقت ممكن .

- وفى نفس اليوم جرت محاولات من السيد الدكتور أسامة الخولى وكيل كلية الهندسة لعدم عقد مؤتمرات يوم السبت أيضاً بكلية الهندسة حيث التقى بمحمد فريد ورشيق رفعت واتفق معهم على أن يكون العمل من خلال اتحاد الطلاب بالكلية وليس شرطاً أن يكون يوم السبت .

يوم السبت ١٩٦٨/٢/٢٤ :

- حاولت عناصر استغلال اسم المنظمة أكثر من مرة لصبغ الشرعية على تجمعات يدعون لها وبرز هذا الموقف فى دعوة لمؤتمر وهمى فى كلية الحقوق تنظمه المنظمة وقيل أن السيد الدكتور مفيد شهاب وكان موجود بكلية الحقوق وقتئذ قد وافق على عقد هذا المؤتمر وإن عميد الكلية قد وافق أيضاً على عقده وقد تحقق السيد الدكتور طعيمة الجرف والسيد إبراهيم توفيق أمين شباب المحافظة أن شيئاً من هذا لم يحدث

إزاء هذا الموقف فقد كلفت سكرتارية لجنة المحافظة كل العاملين للتواجد بالكليات المختلفة لإمكان السيطرة على الموقف وبناء على تعليمات السيد / أحمد كامل أمين الشباب فقد اتفق على أن تكون الأوامر والتعليمات الصادرة من المنظمة لمستوياتها المختلفة مكتوبة .

- ظهرت عناصر من كليات خارج الحرم الجامعى مثل كلية الطب البيطرى وبدأت تدعو لعمل مظاهرة فى الجامعة طالما سوف لا ينعقد المؤتمر .

- حضر إلى كلية العلوم العناصر التى كانت متواجدة فى معسكر التدريب العسكرى - وتجمعوا فى بوفيه الكلية مستهدفين القيام بمظاهرات . وقد تم إقناعهم بالذهاب إلى مقر اتحاد الكلية والتقى بهم كل من أمين اتحاد الكلية والسيد رائد الشباب بالكلية والسيد الدكتور أسامة رفعت عضو مكتب تنفيذى المحافظة . وإبراهيم توفيق أمين الشباب بالمحافظة فى محاولات لإقناعهم بعدم جدوى أسلوب المظاهرات . بدأت تحركات فى مدرج السنة الأولى بكلية طب الأسنان تستهدف عقد مؤتمر بالكلية ليتمكن الطلاب من التعبير عن آرائهم واتضح وجود بعض العناصر من كلية الطب البشرى بمدرج السنة الأولى بطب الأسنان .

وقد توجه إلى الكلية السيد إبراهيم توفيق أمين شباب المحافظة وعقد اجتماع بمكتب السيد عميد الكلية حضره السيد رائد الشباب بالكلية وقيادات هذه الحركة .

تجمع بعض الطلبة فى كلية الحقوق مستهدفين عمل مؤتمر بها ونزل إليهم السيد الدكتور إيهاب إسماعيل مستشار رعاية الشباب فى الكلية ونظمهم من عقد مؤتمر ثم طرد بعض العناصر من كلية الطب البيطرى

خارج الكلية بأسلوب لم يخل من التعسف .
- نجح مجموعة من الطلبة وهم قلة في مدرج ٧٨ بكلية الآداب على أمل أن هناك مؤتمراً يبدأوا يتناقشون
في أسباب عدم انعقاده . وكانت أغليبيتهم من كلية الهندسة .

- حاولت قيادات التنظيم إقناع الطلاب بعدم جدوى المظاهرات بناء على تجمع الطلبة أمام الآداب وتحركوا
إلى كلية الحقوق وتجمعوا أمامها وبدأت الهتاف - وكانت نواة التحرك لا تتجاوز من ٢٥ - ٢٥ طالباً
- طافت المجموعة بكلية الحقوق وخرجت داخل الحرم الجامعي وهنا إزداد عدد الطلاب بدرجة كبيرة وبدأ
التحرك خارج الحرم الجامعي وكان خط سير المظاهرة إلى كلية الفنون فخلف مديرية أمن الجيزة بجوار
سور حديقة الأورمان ثم كوبري الجامعة فكلية الطب اليسرى ثم التحرك في شارع القصر العيني حتى
الوصول إلى مجلس الأمة - وكان عدد المتظاهرين يربو على ١٢ ألف طالب -
- كانت معظم الشعارات والهتافات المرفوعة معتدلة غير متطرفة - وكان يقص على المتطرف منهم بمجرد
سماعه ومن بين الهتافات .

الحرية الحرية .. نريد حرية الكلمة .. نريد حرية الصحافة .. تسقط دولة المخابرات . تسقط دولة
المباحث .. البلاد دي بلدنا واللى ماتوا اخوانا .. عاش نضال الطلبة مع العمال .. لا تعريض بعد اليوم ..
أنور .. أنور ياسادات فين قانون الحريات .

- توجهت المظاهرة إلى مجلس الأمة بعد مرورها على تجارة عين شمس وتجمعوا في فناء المجلس ودخل وفد
لمقابلة السيد / أنور السادات والقى فيهم كلمته التي عرض فيها المطالب ولخصها في :

(١) استنكار أحكام قضية الطيران

(٢) تدخل المباحث بصورة واضحة في الجامعة

ونتيجة لعدم وجود قيادة للمتظاهرين لم يحسنوا الاستماع ولم تكن لهم مطالب موحدة الأمر الذي دفع
رئيس مجلس الأمة إلى اعتذاره عن الاستمرار في الاستماع إليهم في نفس الوقت ترددت هتافات -
إلى التحرير إلى التحرير .. نريد مجلس نيابي سليم

بيقولوا مجلس امه وهم

فضلاً عن ترديد بعض الهتافات السابق ايضاحها .

- خرج المتظاهرون وانقسمت المظاهرة جزء إلى ميدان التحرير فشارع رمسيس وجزء إلى باب اللوق
وكلاهما اصطدم المتظاهرون بالبوليس - وفي الوقت الذي كانت تحاول قيادات منظمة الشباب معاونة
البوليس على اقناع المتظاهرين بفض المظاهرة بناء على طلب وزارة الداخلية تم القبض على البعض
منهم في حين نجا الآخرون وكانوا معرضين لنفس الموقف .

- والجدير بالذكر أن من العناصر التي هيلت للمظاهرة وقادت بدايتها ..

- درويش الطلوحى العلوم

- مصطفى السبع مكتب تنفيذى خريج حقوق

- شعبان الحقوق

فضلاً عن بعض العناصر من كلية الهندسة وكلية الطب البيطري التي تحركت ولم يتمكن من معرفة
أسمائها .

يوم الأحد ١٩٦٨/٢/٢٥ :

(١) في صباح الأحد الساعة الثانية تم القبض على بعض الطلاب منهم رشيق رفعت ، محمد فريد
"الهندسة" ، اسامة غيث "الاقتصاد" وافراد آخرون .

(١) احتشدت قوات الأمن أمام الجامعة بتشكيلاتها المختلفة وتجمع الطلاب خارج الجامعة مطالبين بعودة
زملائهم الذين تم إلقاء القبض عليهم كل ذلك بجوار النصب التذكاري لشهداء الجامعة .

(٢) بدأت قوات الأمن تتحرك وتقدم خط الدفاع الثانى (ذو البيل الصفراء) في المواجهة وبدأ يأخذ موقفاً
متقدماً - الأمر الذى أثار الطلاب فبدأوا يقطعون أفرع الأشجار لحماية أنفسهم وبدأ تبادل رمى الطوب
وبدأت موجات من المد والجزر .

(٤) تحركت كلية الفنون التطبيقية إلى الجامعة بقصد مواجهة عنيفة من قوات البوليس .

(٥) بدأ البوليس يستخدم العصي وقنابل الدخان والقنابل المسيلة للدموع - ووقعت عدة قنابل داخل الحرم
الجامعي بفزارة .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الإسكندرية

(٦) انحصر تحرك الطلاب في مواجهة ذلك بالشكل الآتي :

- صعد بعض الطلاب فوق أسطح الكليات وقاموا بقذف الحجارة على قوات الأمن .
- قام بعض الطلاب بإعادة قذف القنابل خارج الحرم الجامعي على قوات الأمن . في حين قام آخرون بوضع شكاثر الرمل على بعض القنابل لإفساد مقعولها .
- زاد الهجوم وزادت عدد القنابل وزاد عدد الجرحى من الطلاب - هجم الطلاب على إدارة الجامعة وصعد فريق منهم الى مكتب مدير الجامعة مستكبرين ما يحدث وناشدوه بالاتصال لوقف ذلك .
- رددت هتافات .. البوليس عدو الشعب
- ياشعراوى يا جيان عملت ايه فى عمال حلوان
- عبد الناصر إحنا معاك وإن نستنا راح ننسك
- فى نفس الوقت كان طلاب الهندسة معتصمين بداخلها من قبل بداية الاشتباكات وعلى إثر سماع صوت القنابل تجمعوا فى الكلية من الداخل وقامت قوات البوليس بقذف فناء الكلية بالقنابل المسيلة للدموع الذى دفع الطلاب إلى قذفهم بالحجارة والهجوم عليهم - وأخذ الأمر يشكل موجات من المد والجذر واعترض اساتذة الكلية وطلابها على الوضع .
- فى نفس اللحظات كان أمين المكتب التنفيذي يتواجد بكلية الهندسة ، عد مالات " بالسيد على صبرى ليناشده بعود البوليس عن موقفه .
- واثر الاشتباكات والقذف بالحجارة تم تكسير زجاج كلية الفنون التطبيقية وتكسير بعض العربات الموجودة بما فيها عربة اسعاف تابعة لمستشفى الجامعة والاستيلاء على عربة مطافى وادخالها فى كلية الهندسة .
- حوالى الساعة الواحدة والنصف ظهراً تجمع البوليس وخرج الطلاب فى مظاهراتهم متوجهين إلى كوبرى الجامعة .
- ترك البوليس الفرصة للطلاب للتقدم وحاصرهم من جميع الاتجاهات وعبر موجات من المد والجذر من قوات البوليس سقط مجموعة من الفرسان جرحى .. واستمرت المعركة دائرة لفترة من الوقت حتى تمكنت الشرطة من السيطرة على الموقف .
- يوما الاثنين والثلاثاء ٢٦ ، ٢٧ / ١٩٦٨ :
- قامت مجموعات من الطلبة بمدرسة السعيدية الثانوية ومدرسة الجزيرة الثانوية وأبو الهول الاعدادية والهرام التجارية والتجارة الثانوية ومدرسة امبابية الثانوية بالتظاهر استنكارا للموقف وتأييدا لطلبة الجامعة .
- ولكن الشرطة تمكنت فى كل موقع من السيطرة عليه .

ثانياً : تحليل الأحداث

(١) فيما يتعلق بصدور الأحكام :

من الواضح أن هذه الأحكام لا تتناسب بأى شكل من الأشكال مع ضخامة النكسة التى أدى إليها عدم قيام المسؤولين عن الطيران بأعباء مسئولياتهم بشرف وجدية .. وهذا أدى بدوره إلى استنكار الأحكام منذ اللحظة الأولى لسماعها .. واخذ الاستنكار اشكالا متعددة بين الجماهير .. بين مذهول من وقع المفاجأة .. ويأس من الأمل فى إمكانية التغيير فى المجتمع وإزالة النكسة .. وتوقع لاستمرار المجاملة والتهاون حتى فى مصير أمة بأسرها .. وغاضب من العبث الذى تسبب فى نكسة نعانى منها وسوف يؤدى إلى ضربة قاصمة تؤدى بالبقية الباقية من كيان هذه الأمة .

وهذا الاستنكار - المشوب بالخوف من المستقبل .. وانعدام الثقة فى كل أمل .. يأخذ شكل الغليان الذى لا يهدأ .. حتى أن المرء لم يكن يستطيع حتى أن يسكت أو يفكر .. وما زاد من خطورة ذلك .. الحملة الصحفية التى سبقت اعلان الأحكام فى نفس اليوم مما هب الأذهان إلى ترقب موقف حاسم مع المسؤولين عن النكسة .

- مرور الوقت بعد صدور الأحكام دون وضوح حقيقتها وحيثياتها .
- صدور أحكام بهذه الثقافة وإذاعتها قبل التصديق عليها .
- صدور الأحكام فى وقت تظهر فيه لأول مرة حقائق مثيرة عن أوضاع مراكز القوى ومظاهر الفساد

الخلقى بين افراد كانوا يتحكمون فى مصير شعب بأسره .
- الوقت الذى كانت فيه المحاكمة سرية - مما أدى إلى تساؤلات مثيرة وغريبة بل وداعية لليأس
القاتل ..

- التفسير الوحيد الذى تطوعت إحدى الصحف بإبرازه كان منصبا على القانون الذى لا تعرفه
الجماهير .. ولا ترضى بحكمه إذا كانت هذه أحكامه .
- الانتظار الطويل بصبر فارغ لمسئول يتولى التفسير .. أو صحيفة تتولى التحقيق أو مجلس أمة
يناقش بوضوح .. أو تنظيم سياسى يملك الحقيقة .

(٢) فيما يتعلق بالمظاهرات وأساليب التعبير عن الاستنكار :

ولقد كان لكل العوامل السابقة الأثر الفعال فى تفجير الجماهير للكثير من القضايا الخطيرة التى
تعيش فى آلام معاناتها .. التعبير .. العدالة .. الحسم .. الجدية .. الحقيقة .. الأمان .. مراكز القوى ..
واتخذ تفجير هذه القضايا أشكالا متعددة .. بدأت من مجرد الهمس والحديث والنقاش بين مجموعات
صغيرة .. حتى أن وصلت إلى صخب المظاهرات وأصوات الحناجر والقنابل .
ولقد كان كل ذلك محتملا لدى كل مواطن هرته أزمة الأحكام .. وكان متوقعا أيضا أن تقابل هذه
الأساليب من جانب رجال الأمن ورجال التنظيم السياسى بما يوفر لها الفاعلية وقوى التأثير وما يضمن
لها أن تسير فى الطريق الصحيح دون إنحراف أو وما يتيح لأشكال الديمقراطية من أن ترسخ
قواعدها الطيبة لدى الجماهير .. وبالرغم من أن أسلوب المظاهرات يعتبر من أقل وسائل التعبير ضمانا
.. إلا أنه بجهود مخلصه وواعية كان يمكن أن ينجح .. إلا أن الرعب الذى سيطر على رجال الأمن
ومبادرتهم السريعة فى ضرب أول مظاهرة تقوم فى حلوان .. إنحرف بالمظاهرات عن الخط الذى كان
يمكن أن تسير فيه .. إلى جانب غياب دور التنظيم السياسى وجناحه الشبابى فى تنظيم المظاهرة .. بل
أن سوء فهم شرطة حلوان لحق الشعب فى أن يختار الأسلوب الذى يعبر به عن رأيه فى قضية اعتبرها
خطيرة .. كان يمكن أن يؤدى إلى عواقب وخيمة .. ربما تزيد آثارها النكسة نفسها .. والذى يدعو إلى
التأمل ثم الحسم مستقبلا .. هو ذلك الاتهام الخطير لأسلوب المظاهرات كتعبير عن رأى الجماهير فى
شكله كهذه .. وتصوير ذلك بأنه اندساس جماعة من المفرضين .. أو تدخل عناصر سيئة .. وحتى إن
كان ذلك صحيحا فإن ذلك لا ينفى أن كل المظاهرات خرجت معبرة عن رأى حر برىء من أى أغراض
.. وأن الجماهير التى خرجت مع كل مظاهرة كانت صادقة فى تعبيرها وواعية بظروف امتها .. مدركة
لابعاد النكسة التى نعيشها .. حتى بدأ التدخل لفضها .. ثم القرار بمنعها .. ثم الاستفزاز برؤية
الاستعدادات لردعها والذى سبقه القيام بسوء فهم لطبيعة الموقف بالقبض على بعض الطلبة من
الجامعات ممن سبق أن أعلنوا اعتصامهم لحين استجابة طلباتهم .. كل ذلك مما أخرج المظاهرات عن
الشكل الذى كان يمكن لها أن تدعم فيه أسس الديمقراطية مستقبلا ومن الغريب أنه بعد مظاهرات
حلوان كان واضحا أن هناك مظاهرات وأشكال للتعبير عن الرأى تفرض نفسها يوم السبت .. أول يوم
عمل بعد أجازة يومين .

ومن الغريب أيضا أن قيادات كثيرة نبهت بذلك .. وطلبت أن يكون للتنظيم السياسى دور فعال فى
الاستحواذ على هذه الأشكال حتى لا تتحرف وكان الرد الذى تسبب فيما حدث أنه غير مسموح على
الاطلاق بأى مظاهرات أو مؤتمرات فى الجامعة .

وبالرغم من تعليمات السيد رئيس الجمهورية التى صدرت يوم السبت والتى جاءت ببيان السيد
وزير الداخلية أمام مجلس الأمة فإن الطلبة الذين سبق أن أمنهم السيد رئيس مجلس الأمة عند لقائه
بهم يوم السبت قد تم القبض عليهم فى نفس اليوم ليلا فى منازلهم مما أدى إلى تفاقم الموقف صباح
الأحد علاوة على القرار بمنع المظاهرات تماما واستكمالا لجوانب البحث فى هذا الجانب ينبغى
الإشارة إلى أن الصدام بين رجال الأمن والطلبة عمقه دخول بعض العناصر التى وجدت فى ذلك
الصدام فرصة عمرها مما خلق حالة من الجزع والالام المشوب بالخوف والفرع .

(٢) إن المتتبع لموقف رجال الأمن خلال تطورات الأحداث يخرج بحقيقة واضحة لا يمكن إنكارها أن موقف
رجال الأمن كان عاملا رئيسيا إلى جانب عوامل أخرى فى تصعيد الأحداث إلى درجة الخطورة التى
وصلت إليها وتتضح صورة هذه الحقيقة فى المواقف التالية :

(١) الفهم الخاطيء للمظاهرات كأسلوب للتعبير عن رأى الشعب ولطبيعة الظروف التى أحاطت بالمظاهرات
مما أدى إلى اتخاذ مبادرة خاطئة أول بادرة منها فى حلوان - فبدلا من أن يكون دور رجال الأمن

حق الشعب فى إبداء رأيه فى قضية الأحكام كانت المواجهة المدوية لعمال حلوان بالصورة التى ظهر بها رجال الأمن أمام الجماهير وكأنهم يريدون إخماد أى حق لهم فى إبداء وجهة نظرهم بل وفرض السكوت عليهم ولو بالقوة المسلحة مما كان له أكبر الأثر فى اندلاع مظاهرة الطلبة فى جامعة القاهرة فى نفس اليوم .

- ٢ (ظهور رجال الأمن المدنيين بأعداد ضخمة وبكميات كبيرة بجامعة القاهرة فى يوم الأربعاء ٢١/٢/٦٨ بعد اعتصام الطلبة الذين أطلقوا على أنفسهم اللجنة التنفيذية العليا لطلاب جامعة القاهرة .
- ٢ (التصوير الخاطئ لحقيقة المتظاهرين ومشاعرهم وعدم التفريق بين إبداء الرأى عن طريق المظاهرة وانتهاز فرصة المظاهرة للفساد وتجلى ذلك بوضوح فى مواقف مختلفة لرجال الأمن تجاه المتظاهرين يومى السبت والأحد ٢٤ ، ٢٥/٢/٦٨ من القبض على الكثير من الطلبة أثناء المظاهرات وبعدها واحتجازهم لأكثر من ليلة فى أقسام البوليس ومعتقل القلعة وكثير منهم لم يشترك فى المظاهرة كما يظهر ذلك بصورة جلية فى قرار السيد وزير الداخلية بمنع المظاهرات مساء يوم السبت ٢٤/٢/٦٨ مع التحذير بالمواجهة الحاسمة لأى شكل من أشكال المظاهرة فى الوقت الذى لم تتبع فيه أى إجراءات تخفف من حدة الموقف بل على العكس قام رجال الأمن بالقبض على الطلبة الذين استقبلهم السيد رئيس مجلس الأمة فى نفس الليلة وبعد صدور القرار مما أدى إلى موقف تحدى خطير صباح الأحد بين طلبة الجامعة ورجال الأمن - كما كان له أثر مع احترام المواطنين لمجلس الأمة ومدى أمانهم فيه .
- ٤ (إلقاء التهم جزافا بشكل صارخ على كل من يلقى القبض عليه .. والأمتعة كثيرة مما أشاع فى النفوس أن هناك دولة جديدة تحكم بالقوة (دولة المباحث)
- ٥ (الأسلوب البدائى فى منع المظاهرات .. بالارهاب بأعداد كبيرة من رجال البوليس بزيهم العسكرى أمام الجامعة وبشكل يوحى بالاستقزاز خاصة يوم الأحد ٢٥/٢/٦٨
- ٦ (الأمر الذى يحتاج إلى الاهتمام المتزايد هو ذلك الادعاء الخطير بالاتفاق مع التنظيم السياسى والشبابى بعقد مؤتمرات داخلية مع العلم أنه فى الوقت الذى سمع السيد الرئيس فيه للأمن بعدم التعرض للمظاهرات يوم السبت كانت تعليمات التنظيم السياسى حتى لا مؤتمرات .
- ٧ (ويجدر الإشارة هنا الى أنه هناك محاولات مستمرة من جانب الأمن لدفع الحركة بالتأمر وأنها كانت مدبرة مسبقاً .

وسكرتارية لجنة المحافظة من خلال معاشيتها المستمرة للأحداث تؤكد وتحمل مسئولية هذا التأكيد أن المظاهرات كانت تلقائية وكانت تعبيرا لما يدور فى نفوس الطلبة وإحساسهم بما يدور حولهم فى المجتمع - وكان هذا أسلوبا من أساليب التعبير كرد فعل طبيعى لقرار السيد وزير التعليم العالى وتوجيهات التنظيم السياسى بمنع عقد أية مؤتمرات يوم السبت وأن تصعيد الموقف كانت استجابات طبيعية لاستقزازات رجال الشرطة . وعند هذا بدأت العناصر المندسة تنتهز الموقف أى أن المظاهرات لم تكن من تدبير الرجعية ولكن ما حدث فيها من انحرافات كانت من انتهاز الرجعية .

٤ (فيما يتعلق بدور التنظيم السياسى :

ولقد كان لموقف التنظيم السياسى أثر أيضا فيما وصلت اليه الأحداث .. فلم يكن التنظيم عند مستوى المسئولية التى تجعله طليعة للجماهير تنظم حركتها وتعبّر عن مشاعرها .. بل وقف التنظيم كعادته ينتظر التعليمات . ولقد ظهر واضحا أن التنظيم لم يكن متخلفا عن الجماهير .. بل أنه بأفراده كانوا يشاركون الجماهير انفعالها .. ولكن بدون الحركة كتتنظيم يمكن أن ينظم ويحمى ولقد تجلى ذلك واضحا فيما بلى ..

- ١ (عدم تنسيق العمل بين التنظيم السياسى ورجال الأمن
- ٢ (التضارب فى التعليمات بشكل صارخ .. بين قيادة أشكال التعبير .. ثم عدم المشاركة وتحويل أية مظاهرة الى مؤتمر .. مما أدى إلى إحتراق الكثير من القيادات فى المستويات التنظيمية وظهورها مؤسفة أمام قواعدها .. وحتى حينما أرادت بعض القيادات أن يكون لها دور يحافظ على كيانها وكيان التنظيم ويشارك فى أحداث الوطن كانت التعليمات بلا .. ولا .. دون البحث عن بديل لهما .
- ٢ (لقد أدى حرص قيادة التنظيم السياسى والشبابى على سمعة التنظيم من تقولات القوى المضادة الى حرمان التنظيم من دور طبيعى أن يقوم به كسبا لثقة الجماهير وقياسا لقدرات أعضاء التنظيم .. وتدعيما لخبراتها واكتشافا لقيادات جديدة .

التقرير الختامي للمجنة التحقيق في أحداث فبراير سنة ١٩٦٨

- أولا - تشكيل اللجنة - أعمالها - مصادر المعلومات :
- بناء على التكليف الصادر من السيد أمين الشباب بتشكيل لجنة من كل من السادة :
- العميد / جمال هدايت
 - السيد / سعيد حشمت
 - الدكتور / عادل عبد الفتاح
- لتقصي الحقائق فيما أثر حول موقف منظمة الشباب من أحداث المظاهرات التي حدثت في أواخر شهر فبراير ١٩٦٨ ، وما نسب إلى بعض أعضائها من أحاديث حول مفهوم النضال وموقف المنظمة من السلطة .. قامت اللجنة بإجراء الآتي :
- ١ - بدأت اللجنة أعمالها في يوم ١٩٦٨/٢/٢ وعقدت عدد خمسة عشر إجتماعا ناقشت خلالها ٢٥ عضوا من أعضاء المنظمة وقياداتها .
- ٢ - كذلك قامت اللجنة بمقابلة السيد / محمود أمين العالم رئيس مجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم والسيد / موسى صبرى رئيس التحرير للاسترشاد برأيهما فيما أثر حول موضوع السلطة ومفهوم النضال أثناء الاجتماع الذي عقد بدار أخبار اليوم لأعضاء المنظمة ..
- وقامت اللجنة أيضا بمقابلة السيد مدير عام مصنع ٢٦ للطائرات بحلوان بشأن موضوع مظاهرات حلوان .. كما قامت اللجنة بمناقشة السيد / عبد الحميد صالح بسام ناظر مدرسة التجارة الثانوية ببني سويف فيما ذكره عن تصرفات قيادات المنظمة ببني سويف يوم ٢١ فبراير ١٩٦٨ .
- ٣ - وقد اطلعت اللجنة على المذكرات والتقارير والبيانات الآتية :
- تقرير إدارة المباحث العامة بتاريخ ١٩٦٨/٢/٨ .. بشأن تصرفات بعض أعضاء منظمة الشباب أثناء المظاهرات وبعدها .
 - تقرير لجنة منظمة الشباب بمنطقة حلوان بشأن مظاهرات العمال يوم ١٩٦٨/٢/٢١ المقدم الى السيد / أمين الشباب .
 - تقرير لجنة منظمة الشباب بمنطقة حلوان بشأن مظاهرات العمال يوم ١٩٦٨/٢/٢١ المقدم الى مجلس الأمة .
 - التوجيهات والاشارات والبيانات الصادرة من مكتب أمانة الشباب ومن سكرتارية التنظيم باللجنة المركزية لمنظمة الشباب في العدة من ١٩٦٨/٢/٨٢ حتى يوم ١٩٦٨/٢/٨٢ .
 - محضر اجتماع أمناء لجان المنظمة بالمحافظات وأعضاء لجنتي القاهرة والجيزة وقيادات المنظمة بالجامعات برئاسة السيد أمين الشباب يوم ١٩٦٨/٢/٢٩ .
 - محضر اجتماع لجنة المنظمة بمنطقة شرق القاهرة مع لجان الأقسام بتاريخ ١٩٦٨/٢/٢ .
 - مذكرة إدارة المباحث العامة بشأن مظاهرات الطلبة .
 - المعلومات الشفوية التي ابلغت إلى السيد أمين الشباب شخصياً وتتضمن ما يلي :
- (١) معلومات وصلت للسيد الأمين العام للاتحاد الاشتراكي العربي تفيد بأن منظمة الشباب هي

التي دبرت المظاهرات ، وبأن المنظمة تنادى بالتضال ضد السلطة في اجتماعاتها التي عقدت في مناطق شرق وغرب ووسط وجنوب القاهرة .

(٢) معلومات وصلت إلى السيد وزير الداخلية تفيد بأن منظمة الشباب بمحافظة بورسعيد وزعت نشرة مطبوعة تطلب منها رأى القواعد فى أسلوب التغيير .. وأن أحد قادة المنظمة بلجنة الجيزة نزل إلى مدينة العياط وقال أن هناك تعليمات من المنظمة بمهاجمة أعضاء مجلس الأمة .

(٢) معلومات وصلت للسيد أمين هريدى وزير الدولة تفيد بأن السيد أمين الشباب توجه إلى مصنع ٩٩ يوم السبت ٢٤/٢/٦٨ وطلب العمال بالقيام بمظاهرات .

(٤) معلومات من سكرتارية مكتب الرئيس للمعلومات تفيد بأن أحد قادة المنظمة بمنطقة شبرا الخيمة قام بتوزيع اشارة مكتوبة بأعضاء السيد أحمد كامل أمين الشباب تطلب أعضاء المنظمة فى بعض الوحدات بتنظيم المظاهرات .

(٥) معلومات وصلت لسكرتارية مكتب الرئيس للمعلومات تفيد بأن علاء الدين عبد الفتاح على البنا سكرتير لجنة المنظمة بجامعة القاهرة تعرض بالنقد لشخص السيد الرئيس جمال عبد الناصر أثناء حديثه مع بعض أصدقائه بمدينة المنصورة خلال عطلة عيد الأضحى المبارك .

– المذكرة المقدمة من السيد ممدوح محمد حسين مقرر وحدة المنظمة بكلية الطب البيطرى بجامعة القاهرة بشأن تصرفات اثنتين من ضباط المباحث العامة مع أحد طلبة الكلية .

– مذكرة المباحث العامة المرفقة بكتاب سكرتارية السيد الرئيس للمعلومات بشأن موقف بعض أعضاء المنظمة فى بنى سويف .. رسالة ب خطاب من مكتب السيد الأمين العام للاتحاد الاشتراكى العربى .

هذا وقد اطلعت اللجنة على التقرير المعد بواسطة كل من السيدين الدكتور محمود شريف وعبد الغفار شكر والخاص بتقصى الحقائق حول الدور الايجابى للمنظمة فى هذه الفترة .

وعلى ضوء نتائج التحقيقات التى قامت بها اللجنة فى الوقائع المحددة التى وردت من مصادر المعلومات المشار إليها عاليه وما احتواه تقرير ايجابيات المنظمة أعدت اللجنة التقرير الختامى التالى متضمنا رأيها فى موقف المنظمة من هذه الأحداث .

ثانيا : رأى اللجنة بالنسبة للوقائع المتعلقة بالمظاهرات :

١ - بالنسبة لمظاهرات العمال فى حلوان :

بالرغم من بعض الملاحظات التى سنشير إليها فيما بعد .. تستبعد اللجنة أن تكون مظاهرة عمال مصنع ٢٦ للطائرات تم تدبيرها وتحريكها أساسا بواسطة قيادات المنظمة وذلك للأسباب الآتية :

أ - كانت تقارير اتجاهات الرأى العام التى تجمعت لسكرتارية اللجنة المركزية للمنظمة مساء يوم الثلاثاء ٢٠ فبراير ١٩٦٨ تشير إلى وجود رد فعل عنيف لدى الجماهير إزاء أحكام الطيران التى صدرت فى ذلك اليوم .. وكانت هذه التقارير تشير إلى احتمالات قوية لتحرك الجماهير للتعبير عن استنكارهم للأحكام وكانت التوقعات تشير بشكل أساسى إلى مصنع الطائرات فى حلوان بالذات نظراً لصلتها المباشرة بموضوع الأحكام .. ويعزز هذا الرأى أن أحد أعضاء المنظمة ويدعى سيد عبد المطلب قام فى تمام الساعة ٤٣٠ من بعد ظهر يوم الثلاثاء ٢٠/٢/١٩٦٨ بإبلاغ لجنة المنظمة بمحافظة القاهرة بأنه سمع عمال مصنع ٢٦ للطائرات يتحدثون فى مترو حلوان أثناء عودتهم إلى منازلهم بما يفيد عزمهم على الخروج فى مظاهرة فى اليوم التالى والتوجه إلى منزل السيد الرئيس احتجاجا على أحكام الطيران .. وهذا يؤكد أن النية كانت مبيتة منذ يوم الثلاثاء على الإضراب .. كما أشارت تقارير الرأى العام فى ذلك اليوم .

ب - أن السبب الواضح لاتهام قيادات المنظمة بتدبير هذه المظاهرة يرجع الى قيام مقرر وحدة المنظمة بالمصنع بقيادة المظاهرة مما دفع مدير المصنع وغيره من الأشخاص الى القول بأن المظاهرة من تدبير وتحريك قيادات المنظمة وهو اتهام سطحي سرعان ما انتشر وعم فى ذلك اليوم والأيام التالية والحقيقة التى توصلت إليها اللجنة أن مقرر المنظمة قام بهذا الدور القيادى للمظاهرة بعد تأكده من تصميم العمال على المظاهرة وإحساسه بالعجز عن إيقاف هذا التصميم ثم رغبته فى تجنب احتمالات التخريب داخل الورش بعد أن بدأ العمال يضربون بأيديهم على الآلات والعدد وهم فى حالة انفعال واضح .. وقد حدث ذلك كله قبل أن يصل مدير المصنع الذى وصل بعد أن خرج العمال من الورشة فعلا وتحركوا فى طريقهم إلى باب المصنع حيث حاول

مدير المصنع منعهم من الخروج باستخدام جنود الحراسة المسلحين مما زاد في استئثار العمال وإصرارهم على الخروج وهم يرددون هتافات عدائية مباشرة ضد مدير المصنع . وترى اللجنة .. أن مقرر وحدة منظمة الشباب بمصنع ٢٦ للطائرات بحلولاً قد تصرف وفقاً للتعليمات الصادرة له بعد أن تأكد من إصرار العمال على الخروج وأنه في ذلك الوقت نجح في تفادي اصطدام جنود الحراسة المسلحين بالعمال داخل المصنع وتفادي اصطدام العمال بمدير المصنع وفي تفادي احتمالات تخريب أجهزة وآلات الورش .. كذلك نجح بالتعاون مع زملائه من أعضاء المنظمة في ضمان سلامة المظاهرة وفي عدم انحرافها إلى أهداف تخريبية خارج المصنع أو تبني شعارات عدائية .. كما أن محاولة توجيهه المظاهرة إلى مقر المكتب التنفيذي بحلولاً كانت تعنى مضموناً سياسياً يؤكد ارتباط العمال بالتنظيم السياسي وثقتهم فيه .

وترى اللجنة .. أنه كان من الممكن أن تتم هذه المظاهرة بسلام باعتبارها مظهراً منظماً للتعبير عن رأى العمال لولا تدخل رجال الشرطة واعتداعهم على المتظاهرين دون مبرر واضح . وفي هذا المجال ترى اللجنة أهمية الإشارة إلى جهود قيادات المنظمة وأعضائها الموفقة في تحويل انفعالات الجماهير الساخطة في كثير من المواقع الهامة وتنظيمها على شكل مؤتمرات داخلية كوسيلة بديلة للمظاهرات في التعبير عن رأى الجماهير .. وقد حدث ذلك يوم ٢١ فبراير في كل من الوحدات الآتية : مصنع المطروقات بحلولاً - شركة حرير حلوان - مصنع ٦٢ الحربى - مصنع ٥٤ الحربى بالمعادي - مدرسة المعادي - وزارة العمل - هيئة التأمينات الاجتماعية - هيئة المواصلات السلوكية واللاسلكية - الهيئة العامة للسكك الحديدية - شركة المحاريت والهندسة - مجمع ميدان التحرير - محلات جاتينيو - البنك المركزي - بنك مصر - بنك القاهرة - البنك الأهلى - مدرسة شبرا الثانوية - ما قام به شباب منطقة شرق القاهرة بالنسبة لمظاهرات الوابلى .

٢ - بالنسبة لمظاهرات طلبة الجامعة :

ترى اللجنة .. أن هناك عدة عوامل رئيسية أدت إلى تقجير الموقف في الجامعات وإلى عدم إمكان السيطرة على مظاهرات الطلبة أو توجيهها وجهة سليمة في الوقت المناسب .. وهذه العوامل الرئيسية هي :

أ - ما نتج عن ترديد للشائعات والأخبار التي تضخم من نتائج الاصطدام في حلوان بين الشرطة والعمال ويدعى بوجود عدد من القتلى بين العمال .. ويعزز هذا الرأى أن طلبة كليات الطب والحقوق والتجارة بجامعة القاهرة كانوا قد عقدوا مؤتمرات للاحتفال بيوم الطلاب العالمى صباح يوم ١٩٦٨/٢/٢١ .. وتطرفت الكلمات في هذه المؤتمرات إلى أحكام الطيران وانتهت هذه المؤتمرات بإصدار التوصيات وإرسال البرقيات دون أن تتحول إلى مظاهرات .. ولم يتقجر الموقف إلا أثناء انعقاد مؤتمر كلية الهندسة في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر نتيجة لوصول أخبار مظاهرات حلوان التي كانت هي المفجر المباشر للموقف .

ب - الظروف الموضوعية الخاصة بكلية الهندسة بجامعة القاهرة والتي تتلخص فيما يلي :

(١) عقب اكتشاف التنظيم الخاص داخل منظمة الشباب في أكتوبر سنة ١٩٦٦ قبض على عدد من أعضاء المنظمة من كليات الهندسة وفصلوا من المنظمة مما أدى إلى وجود تيار مضاد لمنظمة الشباب بين عدد من طلبة الكلية ومن بينهم الطالب محمد فريد حسنين أحد زعماء المظاهرات الأخيرة في الجامعة .

(٢) في يوليو الماضى حدثت أزمة حادة في وحدة منظمة الشباب بكلية الهندسة أدت إلى صدور قرار تجريد اللجنة القيادية بالكلية .

ومن المعروف أن الشرارة الأولى للمظاهرات بدأت من كلية الهندسة بجامعة القاهرة .

ج - ضعف منظمة الشباب عموماً داخل الجامعات وعدم فاعليتها بين جماهير الطلاب .. بالإضافة إلى تعدد وتضارب التنظيمات السياسية والطلابية بالجامعات .. مما أتاح فرصة واسعة لتحرك العناصر المضادة بين الطلاب مستخدمة كل عوامل الإثارة ومستندة إلى المناخ النفسى السيئ السائد بين الطلاب في هذا اليوم .. ويعزز هذا الاتجاه هجوم المتحدثين في المؤتمرات التي عقدت في الجامعة على منظمة الشباب والاتحاد الاشتراكي العربى .

د - وجود تراكمات نفسية سيئة لدى الطلاب نتيجة لشعورهم بعدم الثقة في معظم القيادات السياسية والإدارية داخل الجامعة ونتيجة لتصرفات حرس الجامعة معهم .. وقد أكد هذا الاتجاه عجز

القيادات السياسية والاساتذة ومدير الجامعة عن السيطرة على حركة الطلاب أو إقناعهم بالمناقشة الجادة بالعدل عن التظاهر كما يؤكد إصرار الطلبة على تشكيل لجنة تنفيذية خاصة لصياغة مطالبهم ورفعها للسيد الرئيس مباشرة متجاهلين في ذلك كل التنظيمات والقيادات القائمة في الجامعة وخارجها .

هـ - ما أثير عن إصرار السيد وزير التعليم العالي على عدم السماح للطلبة بعقد مؤتمر صباح يوم السبت الموافق ١٩٦٨/٢/٢٤ .. وذلك أثناء الاجتماع الصحابي الذي عقده مع أعضاء اللجنة التنفيذية للطلبة التي شكلت مساء يوم الأربعاء الموافق ١٩٦٨/٢/٢١ على أساس أنها ستتنظم هذا المؤتمر لمناقشة البيان الذي أعدته لرفعه للسيد الرئيس . وإزاء هذه الظروف .. ترى اللجنة .. أن أعضاء منظمة الشباب بالجامعات لم يكونوا في موقف يسمح لهم بتوجيه حركة الطلاب والسيطرة عليها . وعلى الرغم من ذلك فقد تمكنت قيادة المنظمة وبعض أعضائها من القيام بدور ملموس في محاولة السيطرة على الموقف طوال أيام المظاهرات تسجيلها اللجنة فيما يلي :

(١) صدرت تعليمات قيادة المنظمة إلى بعض أعضائها من طلبة جامعة القاهرة بالاشتراك في عضوية اللجنة التنفيذية التي شكلها مؤتمر الطلبة في كلية الآداب بعد ظهر يوم ١٩٦٨/٢/٢١ وذلك بهدف محاولة السيطرة على التوصيات التي ستضعها اللجنة .. ولما ظهر اتجاه بين أعضاء اللجنة للاعتصام بالجامعة في أعقاب اجتماعهم بمدير الجامعة استطاع مسئول الشباب إقناعهم بالعدل عن الاعتصام والتوجه إلى مقر مكتب تنفيذي الجيزة لاستكمال أعداد بيان اللجنة .

(٢) تمكن بعض أعضاء المنظمة من السيطرة على محاولات التظاهر في كليتي الحقوق والعلوم بجامعة عين شمس صباح يوم ١٩٦٨/٢/٢١ مما حال دون حدوثها .

(٣) خلال يومي ٢/٢٢ ، ٢/٢٣ وهما يوما عطلة بذلت قيادة المنظمة جهودا كبيرة لمحاولة تصفية اللجنة التنفيذية التي شكلت بجامعة القاهرة .. وتم الاتصال بالسيد عميد كلية الهندسة لعقد اجتماع مع طلبة الكلية من أعضاء اللجنة والاتفاق معهم على نقل نشاط الطلاب إلى إطار الأمور الخاصة بالكلية وعلى أن يكون اتحاد الطلاب هو الهيئة الشرعية التي تتولى ذلك .. كذلك تمت عدة اتصالات واجتماعات مع عدد من العناصر النشيطة بالجامعات بغرض محاولة السيطرة على توقعات الموقف المنتظرة صباح السبت ١٩٦٨/٢/٢٤ .

(٤) صدرت تعليمات واضحة من قيادة المنظمة إلى أعضائها بالجامعة لتصفية أي تجمع يحدث يوم السبت ١٩٦٨/٢/٢٤ .

(٥) في مواجهة التحركات التي بدأت في كلية الهندسة بجامعة عين شمس يوم ١٩٦٨/٢/٢٤ للقيام بمظاهرة .. قرر عدد من أعضاء المنظمة عمل مؤتمر قاده عميد الكلية وأمين المكتب التنفيذي ورائد الشباب وأمين اتحاد الطلاب ومقرر المنظمة ورغم ذلك استطاعت بعض العناصر اليمينية التي كانت منظمة طوال العام تحت اسم " الجماعة الدينية " السيطرة على المؤتمر والهيب الحماس بإثارة نيبا اعتقال بعض أعضاء الجماعة وقد حضر السيد مدير الجامعة وحاول تهدئة الموقف فلم ينجح وخرج المؤتمر بعدة توصيات بعد أن استطاع مقرر المنظمة أن يعدل بعض القرارات المنحرفة .. وتم اختيار وفد يمثل الطلاب ضم مقرر المنظمة والمقرر المساعد وأمين الاتحاد وعضوا من الجماعة الدينية يرافقهم مدير الجامعة للتوجه إلى مكتب السيد سامي شرف لرفع التوصيات .. وبعد عودة الوفد قرر الطلبة الاعتصام بالكلية حتى تجاب مطالبهم وقد قرر أعضاء المنظمة البقاء معهم وتمكنوا من إنهاء الاعتصام بعد مناقشات استمرت حتى الساعة الثانية عشرة مساء .

(٦) عاود طلبة كلية الهندسة بجامعة عين شمس إصرارهم على الخروج في مظاهرة صباح يوم الأحد ١٩٦٨/٢/٢٥ ونجح المقرر المساعد لمنظمة الشباب في تحويلها إلى مسيرة صامتة تتوجه إلى حرم الجامعة لعقد مؤتمر غير أن الموقف أفلت من يديه بعد اصطدام البوليس مع المسيرة .

(٧) تمكن أعضاء المنظمة والادارة من تحويل تجمعات الطلاب في كليات المعلمين والزراعة والعلوم بجامعة عين شمس إلى مؤتمرات داخلية يوم ١٩٦٨/٢/٢٥ .

(٨) رفع مكتب الامانة مذكرة الى القيادة السياسية موضعا تطورات الموقف وخطورته .. وتضمنت المذكرة اقتراحات محددة لتدارك الموقف .. منها اقتراح ان يتحدث السيد الرئيس الى الجماهير التي تتركز ثقتها في سيادته .. كذلك اصدر مكتب الامانة عدة بيانات وتوجيهات تنظيمية لقيادات المنظمة شرح فيها تطورات الموقف ونبه الى محاولات الرجعية واستغلال الموقف وطالب أعضاء المنظمة باليقظة التامة لاهداف الرجعية وتحركاتها وحماية المجتمع من أى عمل تخريبي .

ثالثا : بالنسبة لموضوع أسلوب النضال وموقف المنظمة من السلطة :
مصادر المعلومات

- ١ - مذكرة السيد محمد ادريس امين مساعد امانة الفلاحين بشأن ما دار في اجتماع لمنظمة الشباب عقد بالعياط يوم الاحد الموافق ٢ مارس ١٩٦٨ محولة من مكتب السيد الامين العام للاتحاد الاشتراكي العربي بتاريخ ١٩٦٨/٣/٤ .
- ٢ - تبليغ شفوي من السيد الامين العام للاتحاد الاشتراكي العربي للسيد امين الشباب عن معلومات وصلت لسيادته تفيد بأن منظمة الشباب هي التي دبرت المظاهرات .. ويأن المنظمة تتحدى بالنضال ضد السلطة في اجتماعاتها التي عقدت في مناطق شرق وغرب ووسط وجنوب القاهرة .
- ٣ - معلومات مبلغة للسيد العميد جمال هدايت من سكرتارية مكتب الرئيس للمعلومات تفيد بنفس المضمون المشار إليه سابقا .

رأى اللجنة

- يرتبط هذا الموضوع ارتباطا مباشرا بالمظاهرات التي حدثت أيام ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ فبراير ١٩٦٨ وما تلاها من أحداث حتى يوم ٢٩ فبراير ١٩٦٨ .. وفي ذلك تبرز اللجنة النقاط التالية :
- ١ - منذ قيام مظاهرة العمال في حلوان ترددت شائعات قوية وواسعة تفيد بأن منظمة الشباب هي التي دبرت هذه المظاهرات في حلوان والجامعات ، ووصلت هذه الشائعات إلى حد الاتهام العلني الصريح الذي وجهه أحد أعضاء مجلس الأمة للمنظمة بتنظيم وتبدير المظاهرات .. وذلك في الاجتماع الذي عقد لمناقشة هذه الأحداث في مجلس الأمة .
 - ٢ - لفت نظر قيادة المنظمة بعض الوقائع التي حدثت خلال أيام المظاهرات وما بعدها .. وكان مضمون هذه الوقائع يشير إلى وجود محاولات منظمة ومقصودة لضرب المنظمة عن طريق تلفيق بعض الحوادث واختلاق الإشاعات التي ثبت بالدليل القاطع عدم صحتها .. بالإضافة إلى محاولة تصعيد الموقف وركوب شبكة اتصالات المنظمة بواسطة عناصر مجهولة ومخرية .. مثال ذلك مايلي :
 - ١ - وصلت معلومات للسيد امين هويدى وزير الدولة تفيد أن السيد أحمد كامل امين الشباب زار مصنع ٩٩ حربي وطالب العمال في هذا المصنع بالقيام بمظاهرات وكان ذلك يوم السبت الموافق ٢٤ فبراير ١٩٦٨ ، وقد اتضح بما لا يدع مجالا للشك عدم صحة هذه الواقعة وعدم قيام السيد امين الشباب بزيارة هذا المصنع أو غيره من المصانع أساسا .
 - ب - وصلت معلومات لسكرتارية مكتب الرئيس للمعلومات تفيد بأن امين لجنة منظمة الشباب بقسم مسطرد بمنطقة شبرا الخيمة يقوم بتوزيع اشارة مكتوبة بإمضاء السيد أحمد كامل امين الشباب تطالب عمال مصانع المنطقة بعمل مظاهرات .
 - وقد قامت لجنة من أعضاء مكتب الامانة فور تلقى هذه المعلومات ليلا بالانتقال إلى منطقة شبرا الخيمة وتأكدت من عدم وجود أى أساس من الصحة لهذه المعلومات .. وكانت الحالة هادئة تماما في منطقة شبرا الخيمة طوال أيام المظاهرات وبعدها .
 - ج - وصلت بعض المواقع التنظيمية لمنظمة الشباب في حلوان وفي جامعة القاهرة اشارات وتعليمات مدسوسة على المنظمة اتضح عدم صدورها من أى مستوى قيادى للمنظمة .
 - ٢ - نتيجة للمظاهرات تم القبض على عدد من أعضاء المنظمة ضمن الافراد الذين قبض عليهم في هذه الاحداث .. وأدى ذلك إلى حدوث استياء بين أفراد المنظمة وإلى كثرة التساؤلات حول مصير الأعضاء المعتقلين .
 - ٤ - عقد اجتماع لأعضاء مكتب امانة الشباب مع السيد الامين العام للاتحاد الاشتراكي العربي في أعقاب أحداث المظاهرات .. حيث شرح سيادته تفاصيل الموقف وأجاب على التساؤلات التي كانت

سائدة في ذلك الوقت وأعطى سيادته بعض التوجيهات الخاصة بمواجهة الموقف كما حدد بعض المهام الأساسية للمنظمة في هذه المرحلة وعلى ضوء ذلك كله رأت قيادة المنظمة أن الأمر يقتضي ضرورة عقد اجتماع عاجل لقيادات المنظمة بغرض شرح تفاصيل الموقف خلال الأيام السابقة وتجديد بعض المهام الأساسية لأعضاء المنظمة لمواجهة الموقف ونقل توجيهات السيد الأمين العام إلى الشباب .

ترى اللجنة

أ - أن جميع قيادات المنظمة في هذه المواقع (شرق وغرب ووسط وجنوب القاهرة والجيزة) خرجوا بمفهوم واضح وسليم لما دار في الاجتماعين اللذين عقدا برئاسة السيد أمين الشباب يومى ٢٩ فبراير وأول مارس ١٩٦٨ .

ب - أن معظم الاجتماعات التي عقدت لأعضاء المنظمة بعد ذلك كانت تسيطر عليها روح الحماس الزائد والتوتر وعدم الانضباط في بعض الأحيان وذلك بسبب المناخ النفسى السيء الذى كان يخيم على الشباب نتيجة للأحداث الأخيرة وخاصة نتيجة لاحتساسهم بالهجوم المتكرر على منظمة الشباب واتهام أعضائها بتدبير المظاهرات وتحريكها رغم ما بذله معظمهم من جهود لمحاولة السيطرة على الموقف .

ج - فى ظل هذا الجو المشحون بالحماس والتوتر أثار بعض الشباب عديد من القضايا والاستفسارات التي تتردد بين الجماهير والتي قد ينظر إليها على أنها محاولة للتشكيك فى بعض القيادات ونقد بعض تصرفاتها .. وقد تمكنت هذه الاجتماعات من الرد على ما أثير فيها من قضايا واستفسارات .. ومن المسلم به أن يمارس أعضاء المنظمة حقهم الكامل فى حرية الاستفسار والمناقشة داخل الاجتماعات التنظيمية للمنظمة بغرض التوصل لوحدية فكرية كاملة مبنية على الاقتناع والحوار الحر .. والمهم أن قدرة القيادة على الرد والتفسير بما يحقق وحدة الفكر والاقتناع .

د - حدث فى أحد هذه الاجتماعات بمنطقة شرق القاهرة أن قال أحد قادة المنظمة فى معرض حديثه عن دور المنظمة فى النضال " أن كل الشعب مؤمن بجمال عبد الناصر وأنا اليوم نتذكر ما قاله السيد الرئيس فى خطابه فى ٢٢ يوليو ١٩٦٧ حين قال أن الشعب يطالب ببداية جادة وأنا معه .. فهل هناك مراكز قوى تمنع من تحقيق مطالب الشعب ؟ .. فإذا كانت هناك فعليه أن يصدر القرار ونحن نموت من أجل تنفيذه .. وإذا كانت هناك معوقات تعوق تحقيق مطالب الجماهير فيجب إزالتها حتى ولو كان جمال عبد الناصر - وبالطبع أن أقوى حاجة نعتر بها جميعا هى سيادة الرئيس " .

وتعتقد اللجنة أن ذلك يعتبر خطأ وعدم انضباط يجب أن يحاسب عليه تنظيميا .. وإن كانت اللجنة لا تشك فى إخلاص هذا العضو ووطنيته والتزامه بقيادة الثورة الممثلة فى شخص السيد الرئيس . هـ - تعرض بعض أعضاء المنظمة فى هذه الاجتماعات بالنقد لبعض أعضاء مجلس الأمة الذين هاجموا المنظمة واتهموها بالانحراف .. ونادى بعضهم بضرورة التصدى لهذه العناصر والعمل على كشفها وتعريضها أمام الجماهير بالعمل السياسى المنظم .. وساعد على ذلك ما قام به بعض أعضاء مجلس الأمة من تحركات لمهاجمة المنظمة فى دوائرهم الانتخابية عقب اجتماع مجلس الأمة الذى ناقش موضوع المظاهرات استمرارا لهجومهم على المنظمة فى هذا الاجتماع .

و - على الرغم من سيطرة الاحساس بالتمزق والانفعال على غالبية المتحدثين فى هذه الاجتماعات نتيجة للظروف التى سبق الإشارة إليها .. إلا أنه كان من الواضح فى مضمون ما تردد من أحاديث ومناقشات شدة الولاء والتحمس لأهداف ومبادئ الثورة الاشتراكية والاستعداد للتضحية من أجل حمايتها وتدعيمها وإزالة كل المعوقات التى تعترض طريقها بروح وطنية خالصة .. ولم تشعر اللجنة بوجود أى احتمال بوجود تيار معاد للثورة أو لقيادتها فى هذه الاجتماعات .

رابعا : بالنسبة لبعض المعلومات الشفوية التى أبلغت للسيد أمين الشباب شخصياً :
مصدر المعلومات ومضمونها :

١ - معلومات وصلت للسيد وزير الداخلية تفيد بأن منظمة الشباب ببورسعيد قامت بتوزيع نشرة مطبوعة تطلب فيها الراى فى أسلوب التغيير ..

تأكد للجنة عدم صحة هذه المعلومات وأن قيادة المنظمة لم تصدر فى هذه المرحلة إلا نشرة واحدة تحتوى على توجيهات وكلمات من نص خطاب السيد الرئيس فى حلوان فى ٢ مارس ١٩٦٨ (مرفق نسخة) .

٢ - معلومات وصلت للسيد أمين هويدى وزير الدولة تفيد أن السيد أحمد كامل أمين الشباب ذهب يوم السبت ٢٤/٢/١٩٦٨ إلى مصنع ٩٩ الحربى وطلب من العمال القيام بمظاهرات .

٢ - معلومات وصلت لسكرتارية مكتب الرئيس للمعلومات تفيد بأن أحد قادة المنظمة في منطقة شبرا الخيمة يقوم بتوزيع إشارة بتوقيع السيد أحمد كامل أمين الشباب تطالب العمال بعمل مظاهرات ..

تأكد للجنة عدم صحة هذه المعلومات كما سبق ذكره .

٤ - معلومات وصلت لسكرتارية مكتب الرئيس للمعلومات تفيد بأن السيد علاء الدين عبد الفتاح البنا أحد قادة المنظمة بمحافظة الجيزة تعرض بحديث غير لائق لشخص السيد الرئيس أثناء وجوده في المنصورة لتمضية عطلة عيد الأضحى المبارك .

لم تستطع اللجنة أن تقطع برأى نهائى في هذه المعلومات نظرا لعدم إمكان تنظيم مواجهة مع الشخص الذى بلغ هذه المعلومات لسكرتارية مكتب الرئيس للمعلومات .. وقد توصلت اللجنة نتيجة للتحقيق الذى أجرته مع السيد علاء الدين عبد الفتاح البنا أنه اشترك في مناقشة شخصية حول بعض الأوضاع السياسية أثناء زيارته لشخص يدعى رجاء القاضى يعمل في مكتب السيد محمد توفيق عويضة سكرتير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ..

وقد ذكر السيد علاء الدين البنا في أقواله أن مضمون الحديث كان يدور حول إتهام السيد رجاء القاضى لمنظمة الشباب بأنها تنظم ماركسى ومحاولة رد السيد علاء الدين البنا على هذا الاتهام .. هذا بالإضافة الى بعض تعليقات حول محكمة الثورة لم يتعرض فيها الحديث لشخص السيد الرئيس .

خامساً : بعض الملاحظات العامة :

١ - ترى اللجنة أن السبب في ترديد الأقوال حول اتهام المنظمة بتدبير المظاهرات وتحريكها يرجع الى ما يلى :

أ - أن أول مظاهرة قامت صباح يوم ١٩٦٨/٢/٢١ في حلوان كان يقودها مقرر منظمة الشباب في مصنع ٢٦ للطائرات .. وقد سبق تحليل هذه الواقعة في التقرير .

ب - أن كثيرا من الشباب الذين اشتركوا في هذه الأحداث كانوا ينتمون لعضوية المنظمة انتماء اسميا فقط دون أن يربطهم بها أى التزام أو ارتباط تنظيمي منذ فترة طويلة .. بل أن بعض هؤلاء الشباب محسوب على عضوية المنظمة لمجرد أنه حضر معسكر المرحلة الأولى .. للتدريب السياسى وانقطعت صلة المنظمة بعد ذلك .. هذا علاوة على أن بعض هؤلاء الشباب يعتبرون من العناصر المضادة للمنظمة بعد أن صدرت قرارات بفصلهم أو تجميدهم كما سبق توضيحه في التقرير .. والحقيقة التى يجب إبرازها في هذا المجال أن نسبة الأعضاء الملتزمين في المنظمة لا يزيد عن ٢٠ ٪ من عدد الأعضاء المسجلين بها فعلا . وقد تضمنت خطة المنظمة لعام ١٩٦٨ برنامج خاص لتدارك هذه الظاهرة السلبية .

ج - أن كثيرا من العناصر المنحرفة والرجعية في المجتمع والتي كانت تتحين للهجوم على منظمة الشباب وعلى التنظيم السياسى القائد لتحالف قوى الشعب العامل .. تحركت بنشاط واضح ولموس لتحقيق مآربها للنيل من هذه التنظيمات كموسيلة لضرب النظام الاشتراكي والتشكيك في منجزاته وقياداته ..

وتستدل اللجنة على ذلك بالتطبيقات بالمعلومات المملوكة التى وصلت لبعض كبار المسؤولين ولاجهزة الأمن والمعلومات والتي ثبت عدم وجود أى أسس من الصحة لها .. وكانت كل هذه المعلومات تحاول ضرب منظمة الشباب والتشكيك في موقف قيادتها .

٢ - ترى اللجنة أن تحليل هذا الموضوع والحكم على إبعاده يجب أن يتم من خلال ادراكنا الكامل لحقيقتين أساسيتين هما :

أ - أن طبيعة المرحلة العمرية للشباب وخصائصها النفسية تشير الى أن الشباب تسيطر عليه روح التبرم بالأوضاع القائمة والسعى دائما نحو الكمال وتعشق المثاليات وعدم القبول بما هو دونها .. وهو بذلك العنصر الذى يتجسد فيه ارادة التغيير فى أى مجتمع من المجتمعات .. وهو العنصر الذى تتمثل فيه غالبا روح الثورة بنقائنها وطهارتها ..

وان واجبنا الأساسى هو حماية هذه الخصائص وتأكيد وجودها لدى الشباب مع بذل مزيد من الجهد لضمان صقلها وتوجيهها الوجهة السليمة التى تتفق مع ظروف المجتمع وواقعه وإمكاناته

مع اعتبار كامل لتحركات القوى المضادة في المجتمع التي ستحاول جاهدة أن تؤثر في الشباب وتجذبهم .

ب - إن ظروف قيام منظمة الشباب واتساع قاعدة عضويتها في فترة زمنية قصيرة لم تتيح فرصة كافية حتى الآن لضمان كل مقومات النجاح اللازمة للمنظمة وخاصة في مجال الكوادر الكافية والقادرة على تحريك هذه القاعدة بنجاح .. وهذا يعني أن منظمة الشباب قد تعرضت خلال أحداث فبراير ١٩٦٨ لتجربة صعبة ولمسئولية تفوق قدراتها الحقيقية في هذه المرحلة .
والله يوفقنا لما فيه خير الوطن ..

أعضاء اللجنة

عميد جمال هدايت	سعيد حشمت	د. عادل عبد الفتاح
أمين مساعد أمانة الشباب	أمين مساعد أمانة الشباب	سكرتير التنظيم للجنة
		المركزية لمنظمة الشباب

فهرس

٥	عن المحاولة وعن الرجل
١٠	هذه شهادتى للأجيال القادمة والتاريخ
١٣	كيف اصبحت رئيسا لجهاز المخابرات وماذا حدث ؟
٢٠	من قمة جهاز المخابرات الى قاع السجن
٢٩	بعض ملامح تجربتى فى رئاسة المخابرات
٣٨	إنعكاسات هزيمة يونية على جهاز المخابرات العامة
٤٣	محاولة لبناء استراتيجية جديدة للمخابرات
٥٠	محاولة على سفح القمة لفرض قرار الحرب
٥٦	الصورة فى عمق المسرح السياسى بعد رحيل عبدالناصر
٦٣	على حافة الزنزانة فى السجن الحربى
٧٠	وتبددت فرصة تاريخية للتصحيح
	عندما تمردت الاجيال الجديدة ومنعت من المشاركة
٧٩	فى رفع انقاض الهزيمة
٨٨	فى اتون تجربة منظمة الشباب
٩٨	من اسبوط الى الاسكندرية الى رئاسة الجمهورية
١٠٦	رؤية من داخل التنظيم الطليعى او السرى
١١٣	هكذا تآكلت الثورة مبكرا من داخلها
١٢١	هكذا قرر الثوار ان يتحولوا الى حكام
١٢٨	شئ من الجذور
١٣٦	فى لهيب محنة حرب عام ١٩٤٨
١٤٤	جمال عبدالناصر صورة من قريب
١٥١	عن معضلة العمل السياسى فى بلادنا
١٦٥	صور ووثائق

كتب صدرت عن دار الهلال

- هزيمة يونيو - حقائق وأسرار تأليف : طه المجدوب
- أضواء المسرح الغربى تأليف : الفريد فرج
- توفيق الحكيم وأسطورة الحضارة ... تأليف : ناجى نجيب
- ثورة حضارية زاحفة وماذا عن مستقبل مصر تأليف : راجى عنایت
- « الكمبيوتر » ساحر المستقبل تأليف : د . بهاء الدين حلمى
- التفكير فريضة اسلامية تأليف : عباس محمود العقاد
- الفلسفة القرآنية تأليف : عباس محمود العقاد
- عبقرية محمد تأليف : عباس محمود العقاد
- الأعمدة السبعة للشخصية المصرية ... تأليف : د . ميلاد حنا
- فرنسا والفرنسيون على لسان الرائد طومسون تعريب د . ثروت عكاشة

تطلب من مؤسسة دار الهلال والمؤسسات الشهيرة

مصر المجاهد
في العصر الحديث
(ستة أجزاء)

تأليف المؤرخ الكبير

عبد الرحمن الرافعي

مذكرات
في السياسة والثقافة

الدكتور ثروت عكاشة

تطلب من مؤسسة دار الهلال والمكتبات الشهيرة

رقم الإيداع : ٥٠٨٧ / ١٩٩٠
I . S . B . U .
977 — 07 — 0008 — 8

Bibliotheca Alexandrina



0417252

١٠٠٠